



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

المثلُّ العَلِيَّاءُ فِي تُرَاثِ أَهْلِ الْبَيْتِ الْحَضَارِيِّ

بقلم

الدكتور محمد حسين علي الصغير

الأستاذ الأول للمدرّس في جامعة الحكمة

إصدار
الطبعة الأولى: ١٤٣٥ هـ
الطبعة الثانية: ١٤٣٦ هـ
الطبعة الثالثة: ١٤٣٧ هـ
١٤٣٨ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المثل العليا فى تراث اهل البيت الحضارى

كاتب:

محمد حسين على الصغير

نشرت فى الطباعة:

العتبه الحسينيه المقدسه

رقمى الناشر:

مركز القائميّه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٧	المثل العليا فى تراث اهل البيت الحضارى
٧	اشاره
٧	هويه الكتاب
١١	المقدمه
١٧	الفصل الأول: المثلُ الرُّوحِيَّة
١٧	اشاره
١٩	القرآن العظيم فى آثار أهل البيت
٦٢	الاحتجاج وعلم الكلام فى ضوء التوحيد
٩٤	الإخبات والإنايه لله تعالى
١١٣	حياه الدنيا والآخرة وعالم الغيب
١٣٧	الفصل الثانى: المثل الأخلاقية
١٣٧	اشاره
١٣٩	السلوك الإنسانى فى منظور أخلاقى
١٦٧	نظرات فى العفو والغضب والمغفره
١٧٩	«بِرُّ الوالدين... وصله الأرحام»
١٩٣	«من مساوئ الصفات: الغيبه والحسد والعجب»
١٩٣	اشاره
١٩٤	١ - الغيبه
٢٠١	٢ - الحسد
٢٠٤	٣ - العُجب
٢٠٩	الفصل الثالث: المثلُ المتقابله
٢٠٩	اشاره
٢١١	«الرساله واستعلاء الطواغيت»

٢٣٥	«ظواهر الابتلاء وعوائد العافيه»
٢٥٥	مكاره الدهر وانتظار الفرج
٢٧٥	ارتكاب الذنوب.. والغفله عن ذكر الله
٢٧٥	اشاره
٢٨٤	١ - الهموم والأحزان
٢٨٤	٢ - الأمراض
٢٨٧	٣ - الأعراض في الحياه الدنيا
٢٨٨	٤ - الحسنات والأخلاق الكريمة
٢٨٩	٥ - السجود واستغفار الملائكه
٢٩٠	٦ - الحج والعمره والصلاه على النبي وآله
٢٩٥	الفصل الرابع: المثل الاجتماعيه
٢٩٥	اشاره
٢٩٧	أفضل الأعمال في الموروث الإسلامى
٣٢٠	فضائل العلم ومنازل العلماء
٣٣٥	قضاء الحوائج فى الميزان
٣٤٥	آدابُ الدعاء وتهذيبُ النفس
٣٤١	المصادر والمراجع
٣٤٥	المحتويات
٣٤٧	تعريف مركز

المثل العليا في تراث اهل البيت الحضاري

اشاره

سرشناسه: محمد حسين علي الصغير

عنوان و نام پديدآور: المثل العليا في تراث اهل البيت الحضاري / تاليف محمد حسين علي الصغير

مشخصات نشر: كربلاى معلى - عراق

ناشر: العتبه الحسينيه المقدسه، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ١٤٣٦

مشخصات ظاهري: ٣٦٠ ص

يادداشت: عربي.

يادداشت: كتابنامه.

موضوع: اقتصاد اسلامى

موضوع: احكام اسلامى

ص: ١

هويه الكتاب

المثل العليا فى تراث اهل البيت الحضارى / بقلم محمد حسين على الصغير. - الطبعة الأولى. - كربلاء: العتبه الحسينيه المقدسه،
قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبه الدراسات والبحوث الإسلاميه ١٤٣٥ ق. = ٢٠١٤ م.

ص ٣٦٧. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ١٤٤).

المصادر: ص ٣٥٥-٣٥٧؛ وكذلك فى الحاشيه.

١. الأربعة عشر معصوم - الاخلاق - احاديث. ٢. الأربعة عشر معصوم - آثا. ٣. الأربعة عشر معصوم - فى القرآن. ٤. الأخلاق
الإسلاميه - الشيعة. ٥. أحاديث أخلاقيه. ٦. حديث الشيعة - روايه. ٧. القرآن - دفع مطاعن. ٨. عقائد الشيعة الاماميه. ٩. الوعظ
والارشاد. ألف. السلسله. ب. العنوان

تمت الفهرسه قبل النشر فى مكتبه العتبه الحسينيه المقدسه

المقدمه

فى حياه العظماء غنى من العطاء، وإثراء فى المسيره الإنسانيه من الهبات الروحيه، ولمحات ذات إشعاع أنيق تجذب إليها من نأى عنها ليكون قريباً منها.

وهكذا كان الرسول الأ-عظم صلى الله عليه وآله وسلم والأئمه المعصومون عليهم السلام شعله من النور لا- تخبو، ومعيناً من الإفاضه لا ينضب.. وفى ضوء ذلك ارتفعوا بالإنسان المسلم إلى الذروه من التوجيه والنصح الكريم، ليحتل مكانته الممتازه على مدى العصور، وقد أثمر هذا السمو الرفيع أن خلق كوكباً من القاده والهداه فى كل جيل، يتوارث منه الخلف عن السلف تلك الأمجاد الشامخه التى لا- تحد بحدود، فهى تتجاوز أبعاد الزمان والمكان، وتتحدى عواصف النكبات والنكسات لتستقر فى مستودع حضارى من الآثار والطرائف والعبير والعظات.

وحيثما أكملت بتوفيق من الله تعالى (موسوعه أهل البيت الحضاريه) في أربعة عشر مجلداً، وتوجتها في مجلد ضخيم عن الرسول الأعظم، أحببت أن أتبعها برديفها من المثل العليا في تراث أهل البيت عليهم السلام، فكانت هذه الشذرات الثمينه التي التقطتها من خضم بحرهم الزاخر بالأدب والعرفان والوعى العظيم، فكم من حكمه التمستها من مكانها، وكم من جوامع الكلم السائره وقفت عندها موقف المتأنى المتأمل شارحاً، ومعلقاً وموضحاً ومنظراً وهي تصب كلها في مجرى التجديد والرشد والأصالة مما شكل روافد من المثل العليا التي لا تجارى، والأهداف النبيله التي لا تبارى، وظواهر الإصلاح الاجتماعى رقيقاً ورقيقاً في آن واحد.

وسميت هذا الجهد المتواضع من عملى هذا:

«المثل العليا في تراث أهل البيت الحضارى» عسى أن يجد فيه الفكر المتنور تقويماً للسلوك الإنسانى، وإصحاراً به من عالم المادة إلى عالم الحياه الخالده.

وكانت طبيعه هذه الرساله أن انتظمت في أربعة فصول كالآتى:

الفصل الأول، وكان بعنوان: «المثل الروحيه»، وقد أشتمل على المباحث الآتيه:

١ - القرآن العظيم فى آثار أهل البيت.

٢ - الاحتجاج وعلم الكلام فى ضوء التوحيد.

٣ - الإخبات والإنباه لله تعالى.

٤ - حياه الدنيا والآخره وعالم الغيب.

ص:٦

وكان الفصل الثاني بعنوان: «المثل الأخلاقيه»، وقد أشتمل على المباحث الآتيه:

- ١ - السلوك الإنساني ومكارم الأخلاق.
- ٢ - نظرات في العفو والغضب والمغفره.
- ٣ - من مساوي الأخلاق: الغيبه والحسد والعجب.
- ٤ - بر الوالدين وصله الأرحام.

وكان الفصل الثالث بعنوان: «المثل المتقابله»، وقد أشتمل على المباحث الآتيه:

- ١ - الرساله واستعلاء الطواغيت.
- ٢ - ظواهر الابتلاء وعوائد العافيه.
- ٣ - مكاره الدهر وانتظار الفرج.
- ٤ - ارتكاب الذنوب والغفله عن ذكر الله.

وكان الفصل الرابع بعنوان: «المثل الاجتماعيه»، وقد اشتمل على المباحث الآتيه:

- ١ - أفضل الأعمال في الموروث الإسلامى.
- ٢ - فضائل العلم ومنازل العلماء.
- ٣ - قضاء الحوائج فى الميزان.
- ٤ - أدب الدعاء وتهذيب النفس.

وهذه المباحث عبارته عن مقالات حديثه مبرمجه على هذه العنوانات، وقد نظرت فيها الى قول الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام إلى أبي الصلت الهروي فيما رواه الصدوق: قال الإمام الرضا عليه السلام لأبي الصلت: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا» فقال له أبو الصلت فكيف يحيى أمركم؟.

قال الإمام الرضا عليه السلام: يتعلم علومنا، ويعلمها الناس، فأن الناس لو علموا محاسن كلامنا لأتبعونا»(١).

والإمام واثق بما قال عندما يدعو الى تعلم علوم أهل البيت عليهم السلام وتعليم الناس لها من موارد النقيه.

وكانت مصادر البحث ومراجعته قد استقت الأحاديث من ينابيعها الأولى في كتب الحديث الأربعة عند الإماميه، وكتب الحديث عند الجمهور، والموسوعات الحديثية الأخرى، كوسائل الشيعة للحر العاملي، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي، وسواها من المجاميع وروافد الروايات.

وهذه الأحاديث في البحث على قسمين:

الأول: ما ادخرته لنفسى وأثبت نصوصها كما هي لدى دون الرجوع إلى مصدر، وأبقيتها على حالها حفظاً أو استنساخاً. فهي سنن وتعليمات وآداب.

ص: ٨

والثانى: ما أرجعته إلى مصادره الأصلية بأسمائها وأجزائها وصفحاتها أو أرقام أحاديثها وما أشبه ذلك.

وكان الوازع الدينى، وتذكير النفس، والدلالة على منهج الحق لإخوانى وتلاميذى وأصدقائى وأحبابى، وطلبه العلوم الدينيه، والدراسات العليا، والجيل الأكاديمى، هو الهدف من وراء ذلك، رجاءً لما عند الله عزّ وجل، والفضل له وحده فى ما أوردت عسى أن يتقبل من عبده الذليل العاصى.

النجف الأشرف

محمد حسين على الصغير

ص: ٩

الفصل الأول: المثلُ الرُّوحِيَّة

أشاره

١ - القرآن العظيم في آثار أهل البيت

٢ - الاحتجاج وعلم الكلام في التوحيد

٣ - الإخبات والإنابه لله تعالى

٤ - حياه الدنيا والآخره وعالم الغيب

ص: ١١

القرآن العظيم في آثار أهل البيت

القرآن الكريم كتاب الله الأكبر، ورساله الإسلام العظمى، له ظاهر وله باطن، وفيه خير من قبلنا وخير من بعدنا، وعليه المعول في استنباط أحكام الشريعة المقدسه، وبه علم ما كان ويكون من ملكوت السماوات والأرض، والحديث عنه متوافر في كتب علوم القرآن والتفسير، وقد وردت الآثار الشريفة في الحث على التعمق فيه، والتدبر بآياته، والتبصر في جميع مكوناته، ومن تلك الآثار:

١. «أثيروا دقائق القرآن».

٢. «من أراد العلم فليثور القرآن».

٣. «أثيروا القرآن فان فيه خير الأولين والآخرين».

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«أن البيوت التي يصلّى فيها بالليل ويتلى فيها القرآن، تضئ لأهل

السماء كما يضيئ الكوكب الدرى لأهل الأرض».

ودلاله هذه المآثورات واضحه المعالم فى إرشاد الناس الى حقائق القران ودقائقه، والعمل بمحكم آياته وإمعان النظر فى معانيه ومغازيه، والامتثال لأوامره ونواهيه، والاعتبار بحكمه وأمثاله، وإثاره ما فى مكنوناته من العبر والقصص وتاريخ الأمم والشعوب، والتأمل فى إشاراتهِ ولفتاته. والاستقاء من نمير علومه ومعارفه، والانتقال بين رياضه وظلاله، فقد لا يدرك القرآن إلا بالرجوع الى أصوله وفروعه من ينابيعها الأولى، وقد أجمع علماء الأمة أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام هو المرجع الأعظم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى كشف تلك الكنوز الثمينه التى أشتمل عليها، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آيه من القرآن إلا- أقرأنيها، وأملاها على فكتبتها بخطه، وعلمنى تأويلها، وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطينى فهمها وحفظها».

وبهذا يكون الإمام على عليه السلام مدوّن القرآن من فم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومؤسس علوم القرآن، ومبرمج الدراسات القرآنيه المتخصصه فى ضوء ما سبق من قوله، وفى ظل ما فيه من تفسيره وكشف أسرارهِ، ومعرفته بعلومه كافه.

وليس فى هذا التقدير والتقرير آيه مبالغه ومغالاه على الإطلاق،

ص: ١٤

ويعضده قوله عليه السلام:

«سلوني قبل أن تفقدوني، والذي فلق الحبه وبرأ النسمه لو سألتموني عن آيه فى ليل نزلت أو نهار، مكّيتها ومدنيها، سفيها وحضريها، ناسخها ومنسوخها، محكمها ومتشابهها تأويلها وتنزيلها، لأخبرتكم به».

لذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام أسبق القوم الى معرفه القرآن، وأول من فتق القول بهذه العلوم، فهو المفسر والشارح والحافظ والمؤول، ويضاف إلى هذا كله أنه صلوات الله عليه قد جمع القرآن العظيم بحسب النزول، وقد بحثنا ذلك فى كتابنا «تأريخ القرآن» فى فصل «جمع القرآن».

قال العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين - قدس سره - فى المراجعات:

«وأول شىءٍ دونه أمير المؤمنين عليه السلام كتاب الله عز وجل، فإنه بعد فراغه من تجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آلى على نفسه أن لا يرتدى إلا للصلاه أو يجمع القرآن، فجمعه مرتباً على حسب النزول».

وقد ندب أمير المؤمنين إلى الاتجاه نحو القرآن، وعدم تركه إلى غيره، وأعتبر فهم القرآن وقراءته وتدبره دليل الفقهاء فيما روى أنه قال لأصحابه:

«ألا أخبركم بالفقيه حقاً؟».

قالوا: بلى يا أمير المؤمنين!! فقال عليه السلام:

«من لم يقنط الناس من رحمه الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم

يرخص لهم فى معاصى الله، ولم يترك القرآن رغبه عنه الى غيره. ألا لا خير فى علم ليس فيه تفهّم، ولا خير فى قراءه ليس فيها تدبر، ولا خير فى عبادته ليس فيها تفقه».

ومن أعطى حمل القرآن وفهمه، فقد أعطاه الله كنزاً لا يفنى، ولو قورن ذلك بملك الدنيا، لكان القرآن أفضل مما ملك. فقد ذكر السيد المرتضى علم الهدى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن أن أحداً أعطى أفضل مما أعطى، لأنه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل مما ملك».

وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«البيت الذى يقرأ فيه القرآن، ويذكر الله عز وجل تكثر بركته، وتحضره الملائكه، وتهجره الشياطين، ويضىء لأهل السماء كما تضىء الكواكب لأهل الأرض، وأن البيت الذى لا يقرأ فيه القرآن، ولا يذكر الله عز وجل فيه تقل بركته، وتهجره الملائكه، وتحضره الشياطين».

ولو قدر لأمير المؤمنين عليه السلام أن يتولى قياده الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأرتفع بمستوى الأمة إلى قمه الفقاها والأصالة، ولجمع البشريه فى نظام واحد، يستلهم من كتب الله المنزله معارفها، ومن آيات القرآن مداخلها ومخارجها فقد روى عنه انه قال:

«لو كسرت لى الوساده ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراه بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل

والله ما من آية أنزلت في بر أو بحر، أو سهل أو جبل، أو سماء أو أرض، أو ليل أو نهار، إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وفي أي شيء نزلت».

وقد روى المناوي في «فيض القدير» عن أبي حامد الغزالي أنه قال: «قد علم الأولون والآخرون أن فهم كتاب الله منحصر إلى علم على عليه السلام، ومن جهل ذلك، فقد ضل عن الباب الذي من ورائه يرفع الله عن القلوب الحجاب، حتى يتحقق اليقين الذي لا يتغير بكشف الغطاء».

قال السيد محمد السيد على نقى الحيدري رحمه الله:

«إن الغزالي يشير بقوله «فقد ضل عن الباب» إلى قول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم «أنا مدينة العلم وعلى بابها».

ويشير بقوله: «حتى يتحقق اليقين الذي لا يتغير بكشف الغطاء» إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً».

والقرآن يضم بين دفتيه تبيان كل شيء، ويكشف عن كل أمر مختلف بين الناس، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله عز وجل؟، ولكن لا تبلغه عقول الرجال».

ولهذا أمر الأئمة عليهم السلام بقراءة القرآن يومياً لأنه عهد الله إلى خلقه فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «القرآن عهد الله إلى خلقه، فينبغي للمسلم أن ينظر في عهده، وأن يقرأ منه كل يوم خمسين آية».

ويبدو أن قراءه القرآن في المصحف أفضل من قراءته على ظهر قلب، لأن النظر في المصحف عباده، فعن إسحاق بن بكار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام (يعني الإمام الصادق): جعلت فداك إني أحفظ القرآن على ظهر قلبي، فأقرؤه على ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف؟ قال: «بل أقرأه وأنظر في المصحف؛ أما علمت أن النظر في المصحف عباده».

وقد روى في هذا الملحظ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من قرأ بالمصحف متّع ببصره وخفف الله عن والديه».

وكانت سيره السلف الصالح ختم القرآن كل على حسبه، فقد روى أبو جعفر المؤدب أن أبا إسحاق عمر بن عبد الله السبيعي «وهو من ثقات الإمام زين العابدين عليه السلام صلى أربعين سنه الغداه بوضوء العتمه!!، وكان يختم القرآن في كل ليله، ولم يكن في زمانه أعبد منه، ولا أوثق في الحديث عن الخاص والعام».

وتحدث الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن القرآن الكريم في كلياته ودقائق خصائصه، فروى انه قال: «كتاب الله على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء».

وينبغي النظر في خزائن القرآن، والتبصر فيها بدقه وإمعان، فقد ورد عن زين العابدين عليه السلام أنه قال:

«آيات القرآن خزائن كلما فتحت خزائنه ينبغي لك أن تنظر فيها».

وعلى قارئ القرآن أن يرى فيه بعين البصيره، وأن يميز بين آراء المفسرين له، ولا يأخذ الأحكام على عواهنها، فقد تشكل فيه بعض القضايا، وقد تنعقد، ولكن النظر الفاحص المبتنى على الإدراك السليم يبدد ذلك.

فقد ذهب بعض المفسرين - سامحهم الله - إن الذى: «عبس وتولى» هو النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما دخل عليه ابن أم مكتوم وعنده صناديد قريش.

وقد رد السيد المرتضى علم الهدى قدس سره هذا الزعم ورفضه مستنداً الى ما روى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إن الذى عبس كان رجلاً من بنى أميه لا النبى صلى الله عليه وآله».

قال السيد المرتضى: «إن العبوس ليس من صفاته مع الأعداء المباينين، فضلاً عن المؤمنين المسترشدين، وكذا التصدى للأغنياء والتلهى عن الفقراء، ليسا من سماته، كيف وهو القائل «الفقر فخرى» والوارد فى شأنه «وإنك لعلى خلق عظيم».

والأئمة عليهم السلام يصدر بعضهم عن بعض فى علمهم، لأن مصدره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والعلم اللدنى، ولقد كان للقرآن فى فكر الإمام الرضا عليه السلام وهج خاص متسع، وكذلك الأئمة من أبنائه، فاخترته نموذجاً يقف عنده المتلقى موقف الإنصات والاعتبار، وهو بذلك يمثل وجهه نظر أهل البيت فى القرآن، وكذلك الأئمة من بعده،

وهو يعرض بإيجاز دقيق لأهم مبادئه، وتدبر معانيه، وقد عبر عنه بالقول: «إنه المهيمن على الكتب كلها، وأنه حق من فاتحته الى خاتمته تؤمن بمحكمه ومتشابهه وخاصة وعامه ووعدده ووعيدة وناسخه ومنسوخه وقصصه وأخباره، لا يقدر أحد الملحوقين أن يأتي بمثله»(١).

ويتحدث الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام عن القرآن بالقول:

«هو جبل الله المتين وعروته الوثقى، وطريقته المثلى المؤدى الى الجنة، المنجى من النار، لا يخلق على الأزمته، ولا يغث على الألسنه، لأنه لم يجعل لزمان دون زمان، بل جعل دليل البرهان والحجه على كل إنسان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد...»(٢).

وفى العرض ألمح الإمام عليه السلام إلى إعجاز القرآن من وجه، والى سيورته وعالميته من وجه آخر.

وكان عليه السلام يختم القرآن فى ثلاثه أيام...»(٣).

«وكان يكثر بالليل فى فراشه من تلاوه القرآن، فإذا مر بآيه فيها ذكر الجنة والنار بكى وسأل الله الجنة، وتعوذ من النار»(٤).

وكانت ريادة الإمام الرضا عليه السلام فى الغوص بأعماق القرآن ضمن

ص: ٢٠

١- (١) الصدوق عيون أخبار الرضا: / ١١٢/٢.

٢- (٢) المصدر نفسه: ١٣٠/٢.

٣- (٣) المصدر نفسه: ١٨٠/٢.

٤- (٤) الصدوق / عيون أخبار الرضا: ١٨٠/٢.

إيحاء تقويمي للذات الإنسانية، ولأول مره فى تأريخ القرآن نشاهد الإمام الرضا عليه السلام يرى من خلال إعجاز القرآن: أن معجزه كل نبي تتمشى باتجاه ما يلاءم عصر ذلك النبي، وبما ينسجم مع فنون جيله، ويتقارب من تجارب زمنه، ويعزى إلى حياه قومه، ولو فى وجه بارز من الوجوه الناظره للأعجاز.

فقد سأل ابن السكيت الإمام الرضا عليه السلام قائلاً: «لماذا بعث الله عز وجل موسى بن عمران بالعصا ويده البيضاء وآله السحر؟ وبعث عيسى بالطب، وبعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالكلام والخطب؟»

قال الإمام الرضا عليه السلام فى جوابه:

«إن الله تبارك وتعالى لما بعث موسى عليه السلام كان الأغلب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن فى وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحججه عليهم.

وأن الله بعث عيسى عليه السلام فى وقت قد ظهرت فيه الزمانات، وأحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيا به الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بأذن الله، وأثبت به الحججه عليهم.

وأن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فى وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام وأظنه قال: الشعر - فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت الحججه عليهم.

فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك قط! فما الحججه على الخلق اليوم؟ قال الإمام: «العقل فيعرض به الصادق على الله فيصدقه، والكاذب

على الله فيكذبه» فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب(١).

والإمام عليه السلام يدعو إلى ظاهره أخرى في رده متشابه القرآن إلى محكمه كما في قوله عليه السلام:

(ومن ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدى إلى صراط مستقيم)(٢).

ولما كان الإمام من الراسخين في العلم، فهو أولى من يرد متشابه القرآن إلى محكمه. وعنى الإمام بالتفسير الدلالى للقران، والذي تترشح عنه نظريه (معنى المعنى) والإمام فى إفاضته التفسيريه يؤكد على المعنى الأولى فى الآيه كما يؤكد على المعنى الثانوى والإضافى لها، وقد نهض الإمام الرضا عليه السلام بهذه المهمه مظفراً، وسجل فيها سبقاً علمياً وفكراً موضوعياً.

فقد سأل رجل الإمام عليه السلام عن معنى قوله تعالى:

«مَنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ» .

فأفاض الإمام عليه السلام مبادئ المعانى للتوكل على الله تعالى، وأضاف المفاهيم الدلاليه لدرجات التوكل على الله، وأهميه تفويض العبد أمره إلى الله، فقال: «التوكل درجات منها: أن تثق به فى أمرك كله فيما فعل لك فما فعل بك كنت راضياً وتعلم انه لم يأتك إلا خيراً ونظراً وتعلم أن الحكم فى ذلك له، فتوكل عليه بتفويض ذلك إليه، ومن ذلك الإيمان بغيوب

ص: ٢٢

١- (١) الكليني / أصول الكافي: ٢٤/١.

٢- (٢) الصدوق / عيون أخبار الرضا: ٢٩٠/١.

الله التي لم يحط علمك بها، فوكلت علمها إليه والى أمنائه عليها وثقب فيها وفي غيرها»(١).

وكان نهج الإمام الرضا عليه السلام في إرادته المعاني الثانويه للآيه متوافراً على لمسات حيه يعرضها الإمام بأداء مقارن لطبيعته التوجه من السؤال فيما يتردد بين العلماء من آراء وبحوث.

روى الحسن بن علي بن فضال قال سألت الرضا علي بن موسى عليه السلام عن قوله عز وجل «كَلَّا- إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ ۚ» .

فقال الإمام عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان يحل فيه فيحجب عنه عبادته، ولكنه يعني أنهم عن ثواب ربهم محجوبون(٢).

وهنا نلاحظ تنزيه الإمام عليه السلام للباري عز وجل بتجرده عن المكان، وأعطى للآيه دلالتها الإيحائية في حجب العباد عن الثواب.

وسئل عن قوله «وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۚ» .

فقال الإمام: «إن الله عز وجل لا- يوصف بالمجئ والذهاب، تعالى الله عن الانتقال، إنما يعني بذلك: وجاء أمر ربك والملك صفًّا صفًّا»(٣).

ص: ٢٣

١- (١) ابن شعبه / تحف العقول: ٤٤٣.

٢- (٣) الصدوق / عيون أخبار الرضا: ١٢٥/١.

٣- (٥) الصدوق / عيون أخبار الرضا / ١٢٥/١.

قال: وسألته عن قول الله عز وجل: «سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١» .

وعن قوله تعالى: «وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاكِرِينَ ۝٢» .

وعن قوله عز وجل: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ۝٣» . فقال الإمام الرضا عليه السلام: «إن الله لا يسخر، ولا يستهزئ، ولا يمكر، ولا يخادع، ولكنه عز وجل يجازيهم جزاء السخريه، وجزاء الاستهزاء، وجزاء المكر والخديعه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً» (١).

وتمه انطلاقات قيمه للإمام فى مجال التوحيد من خلال تفسيره للقرآن، فى قوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٥» . قال الإمام الرضا عليه السلام: «للناس فى التوحيد ثلاثه مذاهب: نفى وتشبيه، وإثبات بغير تشبيه، فمذهب النفى لا يجوز ومذهب التشبيه لا يجوز، لان الله تبارك وتعالى لا يشبهه شىء، والسبيل بالطريق الثالث إثبات بلا تشبيه».

روى هذا السيد الطباطبائى فى الميزان، وعلق عليه شارحاً: «والمراد بمذهب النفى: نفى معانى الصفات عنه تعالى، كما ذهبت إليه المعتزله. وفى معناه إرجاع الصفات الثبوتيه إلى نفى ما يقابلها، كالقول بأن معنى القادر أنه

ص: ٢٤

ليس بعاجز، ومعنى العالم أنه ليس بجاهل. والمراد بمذهب التشبيه أو يشبهه تعالى بغيره - وليس كمثله شيء - أي أن يثبت له من الصفه معناه المحدود الذى فينا المتميز من غيره من الصفات، بأن يكون قدرته كقدرتنا، وعلمه كعلمنا، وهكذا، ولو كان ماله من الصفه كصفتنا، أحتاج كاحتياجنا، فلم يكن واجباً، تعالى عن ذلك. والمراد بمذهب الإثبات من غير تشبيه: أن يثبت له من الصفه أصل معناه، وتنفى عن خصوصيته التى قارنته فى الممكنات المخلوقه؛ أى تثبت الصفه وتنفى الحدّ»(١).

وفى قوله تعالى «يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ۚ». سئل الإمام عليه السلام عن إرادته العباد وإرادته الله فقال: «إن الإرادة من العباد الضمير، وما يبدو بعد ذلك من الفعل، وأما من الله عز وجل فالإرادة للفعل إحدائه، إنما يقول: «كُنْ فَيَكُونُ ۚ» بلا تعب ولا كيف»(٢).

ونحن نرى الإمام فى الآيه الأولى متحدثاً عن التوحيد فى إطار كلامى وفلسفى، وأن الله واحد لا شريك له، ونفى معانى الصفات عنه، ونفى المعنى المحدود بمذهب التشبيه له تعالى وأثبت للبارى من الصفه أصل المعنى مع نفى الحدّ.

ص: ٢٥

١- (١) الطباطبائى / الميزان فى تفسير القرآن: ٤١/٧-٤٢.

٢- (٢) السبزوارى / مواهب الرحمن: ١٤٠/١، وانظر مصدره.

وفى الآيه الثانيه: نرى الإمام متحدثاً حديثاً تكوينياً عن الفروق المميزه بين إرادته الله وإرادته العباد.

وفى الآيتين بدأ البعد الكلامى مسيطراً على التفسير فى دلالتة وفقاً لما يتطلبه الوعى العقائدى الذى يسعى إليه الإمام.

وفى قوله تعالى: «وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝١». يقول الإمام الرضا عليه السلام: «إن الله لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه، ولكنه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر والضلاله، منعهم المعاونه واللفظ، وخلق بينهم وبين اختيارهم..»(١).

وكان الزخم المتصاعد فى هذه الإيرادات منطلقاً من سياسه قصد إليها النظام العباسى فى إثارة الشبهات من وجه، وإشغال الأمه عن التفكير فى مصيرها المتأرجح من وجه آخر، لذا نجد الإمام قد علم دخائل الأمور - جاداً فى عطائه الذى لا ينفذ.

وعن عبد العزيز بن مسلم، قال: سألت الإمام الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۝٣» .

فقال: «إن الله لا ينسى ولا يسهو، وإنما ينسى ويسهو المخلوق المحدث، ألا تسمعه عز وجل يقول: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٤»، وإنما يجازى من نسيه

ص: ٢٦

ونسى لقاء يومه بأن ينسيهم أنفسهم كما قال الله عز وجل «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝١»
، وقال تعالى «فَالْيَوْمَ نُنَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا» ، أى نتركهم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا..»(١).

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «الإقرار بأن لا إله غيره، ولا شبيه له ولا نظير له، وأنه مثبت قديم، موجود غير مقيد، أنه «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»(٤)» ٥ .

وعن إبراهيم بن أبي محمود، وقد سأل الإمام الرضا عليه السلام عن قوله تعالى: «خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَ عَلَىٰ سَمْعِهِمْ ٦» . قال الإمام: الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبه على كفرهم كما قال عز وجل: «بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا»(٧)

قال وسألته عن الله عز وجل هل يجبر عباده على المعاصي؟ فقال الإمام

ص: ٢٧

بل يخيرهم ويمهلهم حتى يتوبوا.

قلت فهل يكلف عباده ما لا يطيقون؟

فقال: كيف يفعل ذلك؟ وهو يقول: «وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١»، ثم قال عليه السلام: حدثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال:

«من زعم أن الله تعالى يجبر عباده على المعاصي، أو يكلفهم ما لا يطيقون فلا تأكلوا ذبيحته، ولا تقبلوا شهادته، ولا تصلوا خلفه، ولا تعطوه من الزكاه شيئاً» (١).

وأنت ترى في جميع هذه الشذرات الثمينه من إفاضات الإمام التفسيري، أنه لا يعطى المعنى التحليلي أو اللغوي، وإنما يؤكد على المراد الدلالي منها في تنزيه الله سبحانه وتعالى عما يصفه به بعض المتكلمين، فهو في هذا كله يبحث عن (معنى المعنى) في الآيه.

وكما نزه الإمام الله تعالى في هذا النحو من التفسير، فقد نزه الأنبياء عن الزلل والخطل والشرك والذنب في موارد كثيره، وهنا نورد إجابته عليه السلام لصفوان بن يحيى، وهو يسأل عن قوله تعالى: «وَلَكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۝٣» .

قال للإمام: أكان في قلب إبراهيم شك؟.

ص: ٢٨

قال الإمام: لا، كان على يقين، ولكنه أراد من الله الزيادة في يقينه»(١).

وللإمام الرضا عليه السلام أبعاد موضوعيه في التفسير العام للقرآن، وكشف المراد منه، ولم يكن رجوع العلماء والسائلين للإمام عليه السلام في بيانه لمبهمات القرآن، ولا- الاتجاه والالتجاء إليه في تفسير آيات القرآن أمراً اعتبارياً، بل كان نظراً موضوعياً يعتمد الإمعان والتدقيق ويرفض الارتجال.

فالإمام من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل القرآن، ومورده أعذب الموارد التي يصدر عنها الناس، فهو نبع صافٍ خالٍ من الشوائب، يتحرى البيان البهي دون إبهام، ويتبنى الإيضاح السليم دون إغلاق، يتعد عن مبهم الدلالة وينأى عن غريب التعبير، فجاء تفسيره العام لآيات من القرآن سمحاً ينساب برقه، وغزيراً يتدفق بدفء، وهو يمتلك كأبائه وأبنائه من الأئمة المعصومين تلك الأداه المعبره عن المعنى القرآني بأسلوب رائع رصين(٢).

ونماذج تفسير الإمام لكثير من آيات القرآن، ينهض بعمل أكاديمي مستقل، وذلك لأتساعها وشمولها وإحاطتها، ولا يسعنا إلا أن نقتطف باقه ذكيه من ذلك الحقل البهيج، وللمتلقى أن يستدل على ما نذكره على ما لم نذكر.

فعن أبي الصلت الهروي، قال: سأل المؤمنون أبا الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام عن قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ»

ص: ٢٩

١- (١) القمي، التفسير / تفسيره للآيه.

٢- (٢) ظ: المؤلف / الإمام على الرضا / قياده الأمه وولايه العهد: ١٣٣.

وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ۱ . فقال الإمام الرضا عليه السلام:

إن الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السماوات والأرض، فكانت الملائكة تستدل بأنفسها وبالعرش وبالماء على الله عز وجل ثم جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة، فاعلموا أنه على كل شيء قدير.

ثم رفع العرش بقدرته ونقله وجعله فوق السماوات السبع، ثم خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وهو مستوٍ على عرشه، وكان قادراً أن يخلقها في طرفه عين، ولكنه تعالى خلقها في ستة أيام ليظهر للملائكة منها شيئاً بعد شيء، فيستدل بحدوث ما يحدث مره بعد مره ولم يخلق الله العرش لحاجه به إليه، لأنه غنى عن العرش، وعن جميع ما خلق، لا- يوصف بالكون على شيء لأنه ليس بجسم، تعالى عن صفه خلقه علواً كبيراً.

وأما قوله تعالى: «لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ۲»، خلقهم ليلوهم بتكليف طاعته وعبادته، لا على سبيل الامتحان والتجربه، لأنه لم يزل عليماً بكل شيء..»(١).

ومن بديع ما ذهب إليه الإمام الرضا عليه السلام ما أجاب به الحسين

ص: ٣٠

بن خالد عندما سأل الإمام: أخبرني عن قول الله تعالى «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝١». قال الإمام: هي محبوبه الى الأرض، وشبكت بين أصابعه.

فقلت: كيف تكون محبوبه الى الأرض والله يقول «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۝٢».

فقال الإمام: أليس الله يقول: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۝٣».

فقلت بلى، فقال الإمام: فثم عمدٍ ولكن لا ترونها»^(١).

وقد يجب الإمام بإيجاز بليغ، مؤكداً على المعنى بتعبير حى.

ففى قوله تعالى: «فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۝٥».

قال الإمام: العفو من غير عتاب^(٢).

وكذلك هى الحال فى قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ۝٧».

قال الإمام عليه السلام: خوفاً للمسافر وطمعاً للمقيم^(٣).

ص: ٣١

١- (٤) القمى / التفسير / تفسيره الآية.

٢- (٦) الصدوق / عيون أخبار الرضا: ٢٩٤/١.

٣- (٨) الصدوق / عيون أخبار الرضا: ٢٩٤/١.

وحدّث ياسر الخادم قال: سمعت الإمام أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: «إنَّ أوحشَ ما يكون هذا الخلق في ثلاثه مواطن:

يوم يولد، ويخرج من بطن أمه ويرى الدنيا.

ويوم يموت فيعابن الآخرة وأهلها.

ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها.

وقد سلم الله على يحيى في هذه المواطن الثلاثة وأمن روعته، فقال «وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ١» .

وقد سلم عيسى على نفسه في هذه الثلاثة مواطن فقال: «وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٢» .

وأكد الإمام الرضا عليه السلام على قياده أئمه أهل البيت حينما سئل عن قوله تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ٣» . فحدث الإمام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن المراد بأولى الأمر في الآية: «الأئمة من ولد علي وفاطمة الى أن تقوم الساعة»(١).

وفي قوله تعالى: «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى

ص: ٣٢

وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنِي ١ . كشف الإمام النقب عما يجول في أحاسيس الناس من الشبهات البعيده عن الفهم القرآنى الأصيل وقد أجاب بذلك المؤمن: قال الإمام: قال الله تعالى لنبىه: «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ٢ . يقول ألم يجدك وحيداً فأوى إليك الناس؟

«وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ٣» يعنى عند قومك «فهدى» أى هداهم الى معرفتك «وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنِي ٤» .

يقول أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً.

فقال المؤمن: بارك الله فيك يا ابن رسول الله(ﷺ).

وقد يتناول الإمام الآيه بفكر جديد، يخوض به أبعادها الى تلك الوظيفه الرادعه التى تحمل الإنسان على الكف عن المعاصى بإرادته نفسيه، وقد تتجه به إلى الله تعالى فى لمححه خاطفه تمثل صدق النيه وتأنيب الضمير، عسى أن يخفف الله العقاب ويدراً العذاب.

فالإمام عندما يقف عند قوله تعالى: «فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَتَّعْنَاهُمْ إِلَى

ص: ٣٣

١- (٥) البحرانى / البرهان فى تفسير القرآن: تفسيره للآيات.

حيناً ١ . فانه عليه السلام يذكر تلك الحاله المؤثره التي كان عليها قوم يونس وهم يستقبلون من ذنوبهم، ويستقبلون التوبه الصادقه من أعماقهم ويضجون الى الله تعالى منيبين مستغفرين، فيقول: «إن يونس أمره الله بما أمره، فأعلم قومه، فأظلم العذاب، ففرقوا بينهم وبين أولادهم، وبين البهائم وأولادها، ثم عَجَّوا الى الله، وضجوا، فكفَّ الله العذاب عنهم»(١).

والإمام حينما يتحدث عن الهدايه والضلال في مدارج قوله تعالى: «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٣ .

فانه يعهد بالتفسير العام للآيه إلى الإيماء بالهدايه بمرغباتها، والى التحذير من الضلال بالابتعاد عن مسبباته فيقول عليه السلام:

«... من يرد الله أن يهديه بأيمانه في الدنيا الى جنته ودار كرامته في الآخره يشرح صدره للتسليم لله، والثقه به، والسكون إلى ما وعده من ثوابه حتى يطمئن إليه «ومن يرد أن يضلّه» عن جنته ودار كرامته في الآخره لكفره به، عصيانه له في الدنيا، يجعل صدره حرجاً ضيقاً حتى يشك في كفره، ويضطرب في اعتقاد قلبه حتى يصير: «كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ

ص: ٣٤

١- (٢) الطباطبائي / الميزان في تفسير القرآن: ١/١٣٠، نقلاً عن تفسير العياشي.

وكان عصر الإمام محمد الجواد عليه السلام عصر انشطار في الفرق الإسلامية جماعات وتكتلات ومذاهب كلامية، فأتجه الإمام إلى إصلاح ما فسد من عقائد المسلمين، وإثراء الشعلة الوهاجة في درب الموحدين من خلال مهمته الرسالية، فشمّر عن ساعديه جداً ونشاطاً وحيوية، فرد الشبهات، وفند ما جاء فيها من نزغات جارحه، وأعاد الحق إلى نصابه في ضوء معطيات القرآن العظيم. فقد روى أبو هاشم الجعفرى قائلاً:

«كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام - يعنى الإمام محمد الجواد عليه السلام - فسأله رجل: أخبرنى عن الرب تبارك وتعالى، له أسماء وصفات فى كتابه، فأسماءه وصفاته هى هو؟»

فانبرى الإمام محمد الجواد محللاً ومبرمجاً ومقسماً فقال:

«إن لهذا الكلام وجهين، إن كنت تقول: هو هى: أى أنه ذو عدد وكثره!! فتعالى الله عن ذلك».

وإن كنت تقول: لم تزل هذه الصفات والأسماء فان (لم تزل) يحتمل معنيين: فان قلت: لم تزل عنده فعلمه، وهو مستحقها، فنعم. وإن كنت تقول لم يزل تصويرها، وهجاؤها، وتقطيع حروفها، فمعاذ الله أن يكون معه

شئ غير، بل كان الله ولا خلق، ثم خلقها وسيله بينه وبين خلقه، يتضرعون به إليه، ويعبدونه، وهي ذكره، وكان الله ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم، الذى لم يزل والأسماء والصفات مخلوقات المعانى والمعنى بها هو الله الذى لا- يليق به الاختلاف والائتلاف، وإنما يختلف ويأتلف المتجزئ، فلا يقال الله مؤتلف، ولا الله كثير، ولا قليل، ولكنه القديم فى ذاته، لأن ما سوى الواحد متجزئ والله واحد لا- متجزئ، ولا- متوهم بالقله والكثره، وكل متجزئ متوهم بالقله والكثره فهو مخلوق دال على خالق له.

فقولك: إن الله قدير خبرت أن لا- يعجزه شئ فنفيت بالكلمه العجز، وجعلت العجز سواه، وكذلك قولك، عالم، إنما نفيت بالكلمه الجهل، وجعلت الجهل سواه، فإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصور والهجاء، ولا ينقطع ولا يزال، من لم يزل عالماً.

فقال الرجل فكيف سمينا ربنا سميعاً؟ فقال الإمام الجواد عليه السلام:

«أنه لا- يخفى عليه ما يدرك بالإسماع!!، ولم نصفه بالسمع المعقول بالرأس، وكذلك سمينا بصيراً، لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار من لون وشخص وغير ذلك، ولم نصفه بنظر لحظ العين، وكذلك سمينا لطيفاً لعلمه بالشئ اللطيف مثل البعوضه وأخفى، وموضع النشوء منها، والعقل، والشهوه للسفاد والحدب على نسلها، وإفهام بعضها عن بعض ونقلها الطعام والشراب الى أولادها فى الجبال والمفاوز والأودية والقفار، فعلمنا أن خالقها لطيف بلا كيف وإنما الكيفيه للمخلوق المكيف.

وكذلك سمي ربنا قوياً لا- بقوه البطش المعروف من المخلوق، لأحتمل التشبيه ولأحتمل الزيادة، وما أحتمل الزيادة أحتمل النقصان، وما كان ناقصاً كان غير قديم، وما كان غير قديم كان عاجزاً.

فربنا تبارك وتعالى لا- شريك له ولا شبيه له ولا ضد، ولا ند، ولا كيف، ولا نهاية، ولا تبصار بصر، ومحرم على القلوب أن تمثله، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الضمائر أن تكونه، جلّ وعزّ عن أداء خلقه وسمات بريته. وتعالى عن ذلك علواً كبيراً^(١).

وينظر إلى إفاده الإمام محمد الجواد في هذا العرض الفلسفي الدقيق في مستويين:

المستوى الأول: كون الإمام عليه السلام منظرّاً على سويه عالميه بحيث أستطاع من خلال إجابته المنظمه أن يستوعب قضايا التوحيد في جزئياتها المتشعبه، فلم يغادر كبيره ولا صغيره في موضوع السؤال إلا أستقطبها شرحاً وتفصيلاً ملك على السائل سمعه وبصره وفكره.

المستوى الثاني: أن الإمام عليه السلام بحث ما يسمى بعلم الكلام بالصفات الثبوتيه والسلبيه وأستدل على مفاهيمها بالدليل البديهي تاره وبالاستقراء المنطقي تاره أخرى فانه سميع، بصير، لطيف لا يشمل الحواس المتداوله فيما تعارفنا عليه، فهو سميع بمعنى أنه لا يخفى عليه ما يدرك

ص: ٣٧

١- (١) ظ: الكليني، الكافي: ١١٦-١١٧ + الصدوق / التوحيد: ١٤٢ + الطبرسي / الاحتجاج: ٢-٤٦٧-٤٦٨.

بالأسماع، وهو بصير بمعنى أن لا يخفى عليه ما يرى بالأبصار، وهو لطيف بمعنى أن علمه باللطيف الدقيق من حقائق الأشياء، وأجناس المخلوقات في حركاتها وسكناتها وتصرفاتها وخفيات الأمور في العوالم المرئية والمتخيلة والمتصوره، وما جرى هذا المجرى، فالله سبحانه وتعالى في هذا الضوء: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» (١).

ومن هذا الباب سأله أحدهم:

هل يجوز أن يقال لله تعالى: انه شيء؟

فقال الإمام عليه السلام في هذا الضوء:

«نعم، ويخرجه عن حد التعطيل وحد التشبيه» (١).

ومن هذا القبيل ما سأله به محمد بن عيسى قائلاً: إني أتوهم، فأجاب الإمام عليه السلام: «نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام، إنما يتصور شيء غير معقول لا محدود» (٢).

والإمام عليه السلام يعالج المناظره في الألفاظ القرآنيه، السميع، البصير، العليم، اللطيف، الشيء في صيغه كلاميه واضحه بحيث يستوعبها السائل بحسب ثقافته وإدراكه، فتبدو له الإجابة يسيره الفهم، واضحه البعد دقيقه

ص: ٣٨

١- (٢) الكليني / الكافي: ٨٢/١.

٢- (٣) الصدوق / التوحيد: ١٦٤.

وفى هذا السياق سأله أبو هاشم الجعفرى عن قوله تعالى: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» ٢.

فقال الإمام محمد الجواد - عليه السلام -:

«يا أبا هاشم أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها، لم تدركها ببصرك، فأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون» (٢).

وروى أن أحد أصحابه سأله عن معنى الواحد، فقال عليه السلام: «إجماع الألسن عليه بالوحدانيه» كقوله تعالى: «وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» ٤» ٥.

وفى هذا السياق يسأله داوود بن القاسم عن معنى الصمد فى قوله تعالى: «اللَّهُ الصَّمَدُ» ٦.

فيقول الإمام: «يعنى المصمود إليه فى القليل والكثير» (٣).

ص: ٣٩

١- (١) ظ: المؤلف / الإمام محمد الجواد معجزه السماء فى الأرض: ٢٣٥-٢٣٧.

٢- (٣) الصدوق / التوحيد: ٦٩.

٣- (٧) الكلينى / الكافى: ١/١٢٣.

وفى تنزيه الأنبياء فى قوله تعالى «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا» .

قال الإمام الجواد عليه السلام:

«فقد أخذ الله ميثاق النبيين، فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه، وكان الأنبياء عليهم السلام لم يشركوا طرفه عين...»(١).

وكما كانت إفاضات الإمام محمد الجواد عليه السلام ذات طابع دلالى باعتبار متطلبات العصر فى دفع الشبهات وإزاله الشوائب، فإننا نجد ولده الإمام على الهادى عليه السلام متمحصاً لرد هذه الشبهات والتى تصدر عن البلاط العباسى تاره، وفقهاء السلاطين تاره أخرى.

وكان ذلك ضمن إجابات للإمام عليه السلام اشتملت على قبسات لامعه من أضواء القران الكريم، وهى متعدد الروافد، إلا أن أبرزها ما جاء فى إجاباته عليه السلام لقاضى القضاة يحيى بن أكرم فى مسائله التى وجهها للإمام، فما كان من الإمام إلا أن نهى للإجابة عليها مع علمه أن الغرض وراء ذلك سياسى محض قصد به التعتت(٢).

ص: ٤٠

١- (٢) الطبرسى / الاحتجاج: ٢٣٠/٢.

٢- (٣) نص إجابات الإمام الهادى عليه السلام جميعاً فى تحف العقول لأبن شعبه: ٤٧٧-٤٨١، وفى المناقب لابن شهر آشوب: ٤٣٣/٣، اقتصرنا على ما جاء فيها من قبسات القرآن.

١ - سأله عن قوله عز وجل: «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا» .

فقال الإمام على الهادي عليه السلام: «فهو آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان عليه السلام عن معرفه ما عرف آصف، ولكن صلوات الله عليه أحب أن يعرف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده، وذلك من علم سليمان أودعه عند آصف بأمر الله ففهمه ذلك لثلا يختلف عليه في إمامته ودلالته...»

٢ - وسأل يحيى بن أكتم الإمام عن قوله تعالى: «وَرَفَعَ أَبْوَيْه عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا» .

فأجاب الإمام على الهادي: أن سجود يعقوب عليه السلام وولده كان طاعه لله ومحبه ليوسف، كما أن السجود من الملائكة لآدم عليه السلام لم يكن لآدم عليه السلام وإنما كان ذلك طاعه لله ومحبه منهم لآدم عليه السلام، فسجود يعقوب وولده ويوسف عليه السلام معهم كان شكراً لله باجتماع شملهم، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت: «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝٣» .

٣ - وسأله يحيى بن أكتم عن قوله تعالى: «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

فَسَأَلَ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝۱ .

قال الإمام على الهادى عليه السلام بعد ذكر الآيه:

«فإن المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن فى شك مما أنزلنا اليه، ولكن قالت الجهله: كيف لم يبعث الله نجياً من الملائكه، إذ لم يفرق بين نبيه وبيننا فى الاستغناء عن المآكل والمشارب والمشى فى الأسواق؟. فأوحى الله إلى نبيه «فسأل الذين يقرؤون الكتاب» بمحضر الجهله:

هل بعث الله رسولاً قبلك إلا وهو يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق؟، ولك بهم أسوه، وإنما قال: «فأن كنت فى شك» ولم يكن فى شك ولكن للمنفعه، كم قال: «تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين ۝۲ . ولو قال (عليكم لم يجيوا إلى المباهله، وقد علم الله أن نبيه يؤدى عنه رسالته وما هو من الكاذبين فكذلك عرف النبى أنه صادق فيما يقول، ولكن أحب أن ينصف من نفسه».

٤ - وسأل يحيى بن أكرم عن قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَفْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمِيْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۝۳ . فأجاب

الأمام على الهادي عليه السلام بقوله:

«فهو كذلك ولو أن أشجار الدنيا أقلام والبحر يمدّه سبعة أبحر، وانفجرت الأرض عيوناً لنفدت قبل أن تنفذ كلمات الله....».

٥ - وسأل يحيى بن أكتم عن قوله تعالى: «مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١» .

فاشتهت نفس آدم عليه السلام أكل البر، فأكل وأطعم وفيها ما تشتهي الأنفس، فكيف عوقب؟.

فأجاب الإمام على الهادي عليه السلام:

«وأما الجنة فإن فيها من المآكل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وأباح ذلك كله لآدم عليه السلام. والشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته أن يأكلا منها:

شجرة الحسد، عهد إليهما أن لا ينظر الى ما فضل الله على خلانقه بعين الحسد «وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ۝٢» .

٦ - وسال بن أكتم عن قوله تعالى: «أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۝٣» .

يزوج الله عباده الذكران، وقد عوقب قوم فعلوا ذلك؟

ص: ٤٣

فأجاب الإمام الهادي بعد ذكر الآيه بالقول:

«أى يولد له ذكور، ويولد له إناث، يقال لكل أثنين مقرنين زوجان، وكل واحد منهما زوج، ومعاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبست به على نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا»^(١).

وفى الإجابة تعريض مهذب بيحيى بن أكرم، إن لم يكن تصريحاً كما لا يخفى.

٧- ولو أردنا استعراض هذا الجانب لوجدنا بعض نماذجه فى كتب التفسير، فعن العياشى بإسناده عن حمدويه عن محمد بن عيسى، قال سمعته يقول: كتب إليه - يعنى الإمام على الهادى - إبراهيم بن غبه: إن رأى سيدى ومولاي أن يخبرنى عن قوله تعالى «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ^٢ . جعلت فداك، فكتب عليه السلام: «كل ما قومر به فهو الميسر، وكل مسكر حرام»^(١).

٨- وقد يفيد الإمام عليه السلام من القرآن حكماً شرعياً أشكل على بعض الفقهاء علمه، واستعصى على بعض العلماء حكمه، كما أفاد الإمام من قوله تعالى: «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ^٤» أحد مصاديق الشئ

ص: ٤٤

١- (٣) العياشى / التفسير: ١٠٦/١.

الكثير، فعن أبي عبد الله الزيادي: لَمَّا سُمَّ المتوكل نذر الله إن رزقه الله العافية أن يتصدق بمال كثير، فلما عوفى أختلف الفقهاء بالمال الكثير فقال له الحسن حاجبه: إن أتيتك بالصواب فمالي عندك؟، قال المتوكل: عشرة آلاف درهم، وإلا ضربتكم مائة مفرعه!! قال: رضيت، فأتى أبا الحسن عليه السلام، فسأله عن ذلك؛ فقال الإمام: قل له يتصدق بثمانين درهماً!! فأخبر المتوكل، فسأله ما العلة؟ فأتاه، فسأله، فقال: إن الله قال لنبىه صلى الله عليه وآله وسلم: «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۝ ١»، فعددنا مواطن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبلغت ثمانين موطناً، فرجع إليه، فأخبره ففرح، وأعطاه عشرة آلاف درهم» (١).

٩ - وقد يستدل الإمام على الهادى عليه السلام على عظيم منزله الرسول الأعمم صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن الكريم، ويستنبط طاعته وطاعه الأئمة المعصومين من آياته، فقد قال الإمام عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد قرنه الجليل باسمه، وشرکه فى عطائه، وأوجب لمن أطاعه جزاء إطاعته، إذ يقول «وَمَا تَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَعْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ۝ ٣» .

وقال وهو يحكى قول من ترك طاعته، وهو يعذب بين أطباق نيرانها، وسرايل قطرانها:

ص: ٤٥

١- (٢) ابن شهر آشوب / المناقب: ٤٠٢/٤، ورواه الكليني / الكافي: ٤٦٣/٧، بفرق جزئى.

«يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَ ۗ» .

أم كيف يوصف بكنهه من قرن الجليل طاعتهم بطاعه رسوله حيث قال:

«أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۗ» .

وقال: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ ۗ» .

وقال: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ۗ» .

وقال: «فَسئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۗ» ٥٥» ٦ .

فأنت تجد الإمام عليه السلام يستغرق هذه النصوص القرآنيه المقدسه فى مجال التحدث عن منزله النبى صلى الله عليه وآله وسلم والأئمه الطاهرين عليهم السلام مستدلاً على الولاية فى الأرض بأنها منصب إلهى، إذ قرن الله تعالى طاعته بطاعه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأولى الأمر من أهل بيته كلاً غير قابل للانفصال فى حياته التكوينية(١).

ص: ٤٦

١- (٧) ظ: المؤلف / الإمام على الهادى، النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلى / ٢٢٢.

١٠ - وطالما أستند الإمام الهادي عليه السلام في أقواله وأعماله وتوجيهاته على القرآن العظيم، وهو أمر مفروغ عنه، وكذلك الحال في استيحاء مدرّك الحكم الشرعي، فقد استفته المتوكل برجل نصراني فجر بامرأه مسلمه، وأراد أن يقيم عليه الحد!! فأسلم، فأفتى الإمام يضرب حتى يموت. فأنكر يحيى بن أكرم ذلك وطلب مدرّك الحكم من الإمام فأجاب عليه السلام بعد البسملة بقوله تعالى: «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ۝١» ٢. فقد أبان الإمام - عن صحت الروايه - من خلال القرآن؛ إن إسلام الرجل قد أعلن في اللحظات الأخيره خوفاً من الحد الشرعي، وهو لا يقبل منه لأنه غير صادر عن حاله طبيعيه.

١١ - وعن أحمد بن محمد، قال: قال أبو الحسن - يعنى الإمام الهادي - فى قول الله عز وجل: «وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝٣» .

قال: طواف الفريضة طواف النساء(١).

١٢ - ونادى المتوكل أحد أصحابه، وكان نصرانياً: يا أبا نوح!! فأنكر

ص: ٤٧

١- (٤) الكليني / الكافي: ٥١٢/٤.

عليه بعض من حضره أن يكنى الكتائبون، فاستفتى الفقهاء، فاختلفوا، فبعث إلى الإمام الهادي عليه السلام فوقع الإمام عليه السلام: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١» .

فعلم المتوكل أنه يحل ذلك، لأن الله قد كنى الكافر(١).

فإذا ودعنا الإمام على الهادي عليه السلام واستقبلنا ولده الإمام الحسن العسكري عليه السلام لوجدنا الإمام العسكري ضمن الخط العام لأئمة أهل البيت، مرتبطاً بالتمسك بالقرآن العظيم، وملتزمًا بالكشف عن كنوزه ومدخراته، باعتباره كتاب الله الأكبر الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، فهو دستور الإسلام ومصدر التشريع الذي أتخذه الأبرار أماماً. ولما كان أئمة الهدى عدلاً للقرآن فهم أولى الناس بالتوجه إليه، والعمل بما ضم بين دفتيه وهذا أمر مطرد بالدليل الاستقرائي ولا يحتاج إلى تكلف الإثبات فهو قائم بالوجدان منذ عهد أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام إلى نهاية عهد الإمام الحسن العسكري: تطبيقاً وتنظيراً وعملاً واستشهاداً وهو متعبّد به تلاوةً وتفسيراً واستظهاراً.

واستمرت المسيره في هذا الاتجاه في الغيبة الصغرى لصاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف وفي الغيبة الكبرى حيث مرجعيه فقهاء أهل البيت

ص: ٤٨

١- (٢) ظ: محمد حسن آل ياسين / الإمام على بن محمد الهادي / ٦٥، وانظر مصادره.

عليهم السلام.

وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام معنياً بالقرآن في عصر أبتعد عن القرآن، ويكفي بالتدليل عن ابتعاد العصر عن القرآن أن تصدى الإمام للفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي عن غيئه، وألغى مشروعه.

وقد تناثرت للإمام العسكري هنا وهناك نجوم تفسيريه وقطع إيضاحيه لنصوصه مما هو مأثور عنه (١).

وينسب إليه التفسير المسمى باسمه (تفسير العسكري).. ويصفه المحقق الشيخ أغا بزرك «إنه من إملاء أبي محمد الحسن بن علي العسكري، وإن نسخه متداوله، وأن له عدة طبقات..» (٢).

ورغم اختلاف العلماء في صحه نسبه رفضاً وقبولاً، والتشكيك في أصل صدوره عن الإمام، فهذا لا يمنع عن التحقيق بذلك إيجازاً.

عرض سيدنا الأستاذ الخوئي - قدس سره - إلى رواه هذا التفسير وقال: وهو مروى عن أبي الحسن بن محمد بن سيار، ويوسف بن محمد بن زياد، ووضفهما بالقول: (وكلاهما مجهول الحال) (٣).

وكيف يؤخذ بروايه مجهول الحال؟ هذا من ناحيه السند.. وأما من ناحيه المتن، فقد قال السيد الخوئي (ت ١٤١٣ هـ -) (إن الناظر في هذا التفسير

ص: ٤٩

١- (١) ظ: المؤلف / الإمام الحسن العسكري / وحده الهدف وتعدّد الأساليب / ٢٠٣-٢٠٤.

٢- (٢) أغا بزرك / الذريعه إلى تصانيف الشيعة: ٢٨٥/٤.

٣- (٣) الخوئي / معجم رجال الحديث: ٢٠/١٢ + ٢٠٩/١٥٩.

لا يشك أنه موضوع، وجلّ مقام عالم محقق أن يكتب مثل هذا التفسير، فكيف بالإمام عليه السلام(١).

إذن فالسيد الخوئي قدس سره ينفى صحه هذا التفسير سناً وامتناً، وقد يكون هنالك تفسير للإمام العسكري ولكنه مفقود واختفى في نكبات المكتبات.

ومع هذا لم نحرم من شذرات تفسيريه تناقلها الرواه والمفسرون عن الإمام العسكري يذكر بعضها، والعهد على رواتها وهم وما دونه.

ذكر السيد الأمين قدس سره قال:

«وروى عن الإمام الحسن العسكري في تفسير الحروف المقطعه في أوائل السور القرآنيه ما حاصله: إنها إشاره إلى إن هذا القرآن من جنس هذه الحروف فأتوا بمثله إن كان من عند غير الله»(٢).

فكان الإمام - عليه السلام - يريد أن يعبر عن الملحظ الإعجازي في إيراد هذه الحروف، لتنادى العرب: أن القرآن مركب من جنس حروف لغتكم فأتوا بمثله، فما استطاعوا ولن يستطيعوا ولهذا تحداهم القرآن أن يأتوا بسوره واحده من مثله قال تعالى:

«وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ

ص: ٥٠

١- (١) الخوئي / معجم رجال الحديث: ١٦٠/١٢.

٢- (٢) الخوئي / معجم رجال الحديث: ١٦٠/١٢.

دُونَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۱» .

وفى قوله تعالى: «وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٌّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۲» . قال الإمام فيما روى عنه: إن الأمي منسوب إلى أمه أى كما خرج من بطن أمه لا يقرأ ولا يكتب (لا يعلمون الكتاب) المنزل من السماء ولا المكذب به، لا يميزون بينهما إلا (أمانى) أى إلا أن يقرأ عليهم، ويقال لهم: إن هذا كتاب الله وكلامه، لا يعرفون إن قرئ من الكتاب خلاف ما فيه، (وإن هم إلا يظنون) أى ما يقرأ عليهم رؤسائهم من تكذيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهم يقلدونهم مع أنه محرم عليهم تقليدهم «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۳» ۴ .

وسئل الإمام العسكرى عن تفسير قوله تعالى: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ۵» . وقد أجاب الإمام عن ذلك بتفصيل دقيق أعقبه تفسير الآية إتماماً للفائدة وتحديثاً بنعمه الله على البشير.

وكان أسلوب الإمام فى ذلك - كعادته فى البيان - بليغاً رصيناً، لا غرابه فيه ولا إيغال، بل جاء بالسهل الممتنع مقترناً بالذائقه الفنيه فى التعبير

ص: ٥١

والنظره المترسله فى التيسير.

قال الإمام:

«جعلها متلائمه لطباعكم، موافقه لأجسامكم، لم يجعلها شديده الحمه والحراره فتحرقكم ولا شديده البروده فتجمدكم، ولا شديده الريح فتصرع هامتكم، ولا شديده التن فتعطبكم، ولا شديده اللين كالماء فتغرقكم ولا شديده الصلابه فتمتنع عليكم فى حرثكم، وأبنتكم ودفن موتاكم، ولكنه جعل منها من المتانہ ما تنتفعون به وتتماسكون، وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لحرثكم وقبوركم وكثير من منافعكم، فلذلك: «جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا ۱» .

وما اكتفى الإمام بهذا البيان العذب فى تفسير هذا الجزء من الآيه حتى أردف ذلك بتفسير جزء وآخر منها «وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ۲» .

قال عليه السلام: «يعنى سقفاً من فوقكم محفوظاً يدير شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم.

ثم قال:

«وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۳» .

يعنى المطر ينزله من علو ليبلغ به قلال جبالكم وتلالكم وهضابكم

ص: ٥٢

وأوهادكم، ثم فرقه رذاذاً وأوبالاً وهطلاً وطلاً لتنشفه أرضوكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعه واحده، ففسد أراضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم. ثم قال:

«فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ» .

يعنى ما يخرج من الأرض رزقاً لكم.

«فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ۗ» .

أى أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التى لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شىء «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۗ» أنها لا تقدر على شىء من هذه النعم الجليلة التى أنعمها الله عليكم ربكم»(١).

وسئل الإمام عن قوله تعالى «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ» فقال عليه السلام: «له الأمر من قبل أن يأمر به، وله الأمر من بعد أن يأمر بما يشاء.» فقلت فى نفسى هذا قول الله «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۗ» . فاقبل على فقال: هو كما أسرت فى نفسك «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ»

ص: ٥٣

«الْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ١» قلت: أشهد أنك حجة الله وأبن حجته فى خلقه (١).

وسأله محمد بن صالح عن قوله تعالى: «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ٣». فقال عليه السلام: هل يمحو إلا ما كان؟ وهل يثبت إلا ما لم يكن؟ فقال السائل فى نفسه: هذا خلاف ما ينقل عن بعضهم من أنه لا يعلم الشىء حتى يكون!! فأدرك الإمام لُديناً ما يجول فى ذهن السائل، فنظر اليه قائلاً: «تعالى الله الجبار العالم بالشىء قبل كونه. الخالق إذ لا مخلوق والرب إذ لا مربوب والقادر قبل المقدور عليه» (٢).

وروى عن أبى هاشم الجعفرى أنه سأل الإمام العسكرى عن قوله تعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ٥». .

قال: كلهم من آل محمد، الظالم لنفسه الذى لا يقر بالإمام، والمقتصد العارف بالإمام، السابق بالخيرات الإمام، فجعلت أفكر فى نفسى عظم ما أعطى الله آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويكتب فنظر إلى فقال: «الأمر

ص: ٥٤

١- (٢) الإربلى / كشف الغمه: ٢١٦/٣.

٢- (٤) المسعودى / إثبات الوصيه / ٢١٠.

أعظم مما حدثتك به نفسك من عظم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأحمد الله أن جعلك متمسكاً بحبلهم تدعى يوم
القيامة بهم إذا دعى كل أناس بإمامهم، إنك على خير»(١).

وفى ختام هذا المبحث نشير إننا لم نعرض لمعطيات الإمامين الصادقين محمد الباقر عليه السلام وجعفر الصادق عليه السلام لأن
التفاسير مشتمله على الآلاف من أحاديثهم فى وعن القرآن العظيم.

ص: ٥٥

١- (١) القط الراوندى / مختار الخرائج / ٢٣٩.

كان من جزاء السياسه الأمويه والعباسيه أن فتقا علم الكلام والاحتجاج لإشغال الناس عن مشاكلهم الاقتصايه والاجتماعيه والسياسيه، وعن التفكير فى الانقضاخ على طغاه الحاكمين باسم الإسلام، وهم لا يمثلون من الإسلام إلا اسمه، ولا يعرفون من القرآن إلا رسمه فنشأت عقيدته الأرجاء فى ظل الحكم الأموى حتى عاد الإرجاء مذهبهم الرسمى تخديراً للشعب المسلم، وترك الأمور على عواهنها، ونشأت القدريه فى قبال الاعتزال وأهل العقل، ونشأت الفرق الإسلاميه وهى تصب فى رافد واحد منقسم بين سلاطين الخلفاء وفقهاء البلاطين الأموى والعباسى.

ونشأ علم الكلام مشرباً فى ظل القول بخلق القرآن، وهل هو حادث أو قديم وسفكت دماء الأمة بإزاء ذلك ظلماً وعدواناً، ووقف منها فقهاء المذاهب فريقين: فريق يقول بالقدم وفريق يقول بالحدوث، وعانى كل فريق منها صنوف الاضطهاد حيناً، ورضا المتسلطين حيناً آخر.

ولو أمعنا النظر فى هذه المخلفات السياسيه لوجدناها فى أغلب طروحاتها قد ابتعدت عن جوهر الإسلام لغايات سلطويه إلا من عصم الله، فكان قول الحق صادعاً من لسانه وفى بيانه وفى فكره التبر.

إن هذا الاختلاف الذى ناء بكلكله على الساحة الإسلاميه لا يمثل إلا الإسراف والتفريط فى كيان الشعب المسلم الذى انقسم على جماعات وفئات وعناصر، ولكل منها أنصار ومشايعون وأولياء، فمئيت الأمه بخبط وشماس، وبلاء وامتحان، وشده بعد شده، والحاكمون يتنعمون فى ظل القصور والخمور والفجور، وموائد الفسق والطرب والمغنيات.

ويدراً هذا الانحراف والانحطاط الذى شمل ساحه العالم الإسلامى حتى اليوم: أن الآثار والأحاديث تدل أن من شهد الشهادتين: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله» فهو المسلم، وعلى ذلك تترتب الآثار، إذ من شهدهما يحقن ماله ودمه وعرضه، وبهما يتم التعامل والتزواج وما شرع الإسلام العظيم.

الإيمان أعلى درجه، وأرقى منزله من الإسلام، فهو كما فى المأثور فى ضوء التوحيد والعمل الصالح والنيه الخالصه: «اعتقاد فى الجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان».

وهذا ما يميز الإيمان عن الإسلام فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، وبينهما عموم وخصوص من مطلق كما يقول أهل المنطق.

ونرى فى هذا الضوء، وأبعد منه شأواً ما روى عن الإمام على بن

موسى الرضا عليه السلام أنه قال:

«إن الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة واليقين فوق التقوى بدرجة».

هذا التفاوت بالدرجات ناظر إلى ما عليه المسلمون فى اختلاف مراتبهم الإيمانية، فمنهم المسلمون الاعتياديون، وفوقهم منزله أهل الإيمان، إذ أقروا، واعتقدوا، وعملوا، وفوقهم أهل التقوى بدرجة لاحتياطهم لأنفسهم وأمنهم فى كل جزئيه وكنئيه، وأرفعها درجه ومنزله، ما يتمتع به الأولياء والصديقون والصالحون الأبرار، وتلك مرتبه اليقين التى لا تدانيها مرتبه، وليست هذه المرتبه متوافره اعتباطا لدى كل المسلمين، ولكنها محدوده لدى الأبرار، وإمامهم وسيدهم أمير المؤمنين القائل: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً».

وأمير المؤمنين عليه السلام هو المتمرس بأعلى درجات التوحيد، وأرقى منازل الإنابه فى هذا المجال وسواه وهو القائل - يا له من قول -: «ما رأيت شيئاً إلا - ورأيت الله قبله، ومعهُ، وبعده» وهو عليه السلام يستند على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أكثرُوا من قول لا - إله إلا - الله، فأنها مثقله للميزان، خفيفه على اللسان، وتسكن غضب الرحمان وتذيب الذنوب كما تذيب النار الشيء».

وقد قام الإسلام على التوحيد الخالص بكلمه التوحيد (لا إله إلا الله) والتي تدعو الى توحيد كلمه الأمه؛ وهى عبارته رقيقه فى الأداء، ثقيله فى الميزان، خفيفه على النطق، لا عنت فيها ولا عسر وعائديتها عظيمه الأثر،

فهي تسكن غضب الله سبحانه وتعالى، وهي تذيب الذنوب كما تذيب النار الأجسام القابلة للذوبان.

هذه العبارة الموجزة لا تكلف الإنسان جهداً، ولا ترهقه من أمره عسراً، فهي رقيقه أنيقه، قام بها الكون، واستقرت بها الحياه وخضع لها الملائكة والجن والإنس، وسبح لله في ظلها الوريث من في الأرض والسماء، وما في الأرض وما في السماء «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ۝۱» هذا في الحياه الدنيا، وأما في الآخرة فقد روى الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«لَقِنُوا مَوْتَكُمْ كَلِمَةً: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ مِنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وشرف هذه الكلمه أنها كلمه الإخلاص، فإذا نطقت عند الموت، وكانت آخر كلام المسلم فقد كتبت له الجنة، ودخلها آمناً مستقراً.

وعوداً على بدء، فقد حدث أبو الصلت الهروي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبي الحسن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن الإمام محمد الباقر عليه السلام عن الإمام زين العابدين عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الإيمان عقد في القلب، ونطق باللسان، وعمل بالأركان» قال من

سمع: فعدت إلى أبي العباس احمد بن محمد بن الفرات بالخبر، فحدثته بالحديث، وكان في مجلسه ابن راهويه المتفقه!! فقال: ما هذا الإسناد؟ قال ابن رشيد الكاتب، فقلت له: هذا سعوط الشليثا، الذى إذا سعط به المجنون برئ وضح.

ولقد بدأت لغه الاحتجاج فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع المشركين واليهود، وقد ردّهم القرآن العظيم فى أكثر من موقع وموقع من آياته، حتى إذا جاء أمير المؤمنين عليه السلام كثرت تلك الأصداء من قبل الخوارج، ونشأت فكره القضاء والقدر، وقال قوم بالجب، وآخرون بالتفويض، فدفع أمير المؤمنين ذلك كله، وفى ذلك تنطق الآثار، فقد أقبل أحد اليهود على أمير المؤمنين عليه السلام متسائلاً ومحتجاً بما أفلجه به أمير المؤمنين عليه السلام وكان اليهود وما زالوا يكيدون للإسلام بشتى الطرق ومختلف الأساليب، ويتحينون الفرص لإبراز مكنونات الضمائر، والإفصاح عما فى الدخائل من الأحقاد والإحزن، ابتغاء الفتنة، وفى فجر الإسلام علموا أن علياً عليه السلام يمثل القمه الصاعده فى بناء الكيان الإسلامى، وهو النموذج الأرقى لتطبيق الإسلام روحاً ونصاً ومضموناً، وقد حاول بعضهم إثارة الشبه فى طريق الإسلام فيتوجه إليه احد اليهود بالقول:

(ما لكم لم تلبثوا بعد نبيكم إلا خمس عشر سنه حتى تقاتلتم؟)

فقال على عليه السلام:

«ولم انتم لم تجف أقدامكم من البلل حتى قلتم: يا موسى اجعل لنا إلهاً

ص: ٦٠

كما لهم آلهة».

وكانت إجابته الإمام عليه السلام قد سدت منافذ الطريق بين يدي هذا المتهور الذي أراد اغتنام المناخ الانشاقى بين المسلمين لينفذ من خلاله الى ما أضمر من مخطط، ولكن أمير المؤمنين قرع الحجج بالحجج، وأبطل الفتنه، بما يصطلح عليه ب - (الأجوبه المسكته).

وحيثما رفع المارقون من الخوارج شعار (لا حكم إلا لله) قال أمير المؤمنين عليه السلام فى كشف النقاب عن هذا الاستغلال فقال: «كلمه حق يراد بها باطل».

وقد ردّ أمير المؤمنين كثيراً من الافتراضات والمقولات التى لم يرد بها وجه الله تعالى، وأرجع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى المعيار والميزان الحقيقى، فقال فى قبالتها:

«السنه سنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والبدعه مخالفتها، والجماعه أهل الحق وإن قَلُوا، والفرقه أهل الباطل وإن كثروا».

وكان الحجاج يتظاهر بحب الوصول الى الحقيقه، وهو ليس هناك، ولكنه يحاول أن يؤثر عنه ذلك. فقد روى أنه كتب الى الحسن بن الحسن البصرى، والى واصل بن عطاء، والى عامر الشعبي، والى عمر بن عبيد، يسألهم عن القضاء والقدر!!

فكتب إليه الحسن البصرى: أحسن ما سمعت فى القضاء والقدر قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام:

«أتظنّ الذى نهاك دهاك؟ وإنما دهاك أسفلك وأعلاك؛ والله برئ من ذلك».

وكتب إليه عمرو بن عبید:

أحسن ما سمعت فى القضاء والقدر قول على بن أبى طالب عليه السلام:

«أيدلك على الطريق؟ ويأخذ عليك بالمضيق؟».

وكتب إليه عامر الشعبي:

أحسن ما سمعت فى القضاء والقدر قول على بن أبى طالب عليه السلام:

«كل ما استغفرت الله منهم فهو منك، وكل ما حمدت الله عليه فهو منه».

فلما وصلت الأجوبه للحجاج قال:

«قاتلهم الله لقد أخذوها من عين صافيه».

أقول إجابات أمير والمؤمنين وإفاضاته تعد من الحكم البالغه، فيها الدقه، والإيجاز، والبلاغه، وفصل الخطاب. وقد قسم أمير المؤمنين عليه السلام الناس فى مراتبهم بالإيمان والكفر والعصيان والإطاعه، وما ورد عنه، وقد سئل عن العاصى يخلد فى النار؟ فأجاب عليه السلام فيما روى عنه بأعجب ما مرّ علىّ فى تصنيف الناس فقال: بنو آدم على قسمين: كافر ومؤمن،

فالكافر مخلد في النار بالإجماع، والمؤمن على ضربين: طائع وعاصٍ، فالطائع في الجنة بالإجماع والعاصي على ضربين: تائب ومصيّر، فالتائب في الجنة بالإجماع، والمصيّر على ضربين: مصيّر على الصغائر مجتنب للكبائر، ومصيّر على الكبائر فالمصيّر على الصغائر مسؤول عنها غير معذب عليها، والمصيّر على الكبائر على ضربين، قائل بتحليلها وقائل بتحريمها، فالقائل بتحليلها في النار بالإجماع، والقائل بتحريمها بمشيئة الله سبحانه وتعالى، والله غفور رحيم).

وحيثما انطلقت مقوله المجبره بالجبر، ومقوله المفوضه بالتفويض، ردّها الإمام جعفر الصادق عليه السلام بالقول: «لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين».

وقيل إنّ الجعد بن درهم جعل في قاروره ماءً وتراباً.. فاستحال دوداً وهواماً، فقال لأصحابه: إني خلقت ذلك لأنني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر الصادق عليه السلام فقال:

«ليقل كم هي؟ وكم الذكران منه والإناث، إن كان خلقه؟ وكم وزن كل واحده منهنّ، وليأمر الذي سعى إلى هذا الوجه أن يرجع إلى غيره».

فأنقطع الجعد وهرب.

وسأل الفضل بن سهل الإمام الرضا عليه السلام في مجلس المأمون، فقال يا أبا الحسن!! الناس مجبورون؟ فقال الإمام:

«الله أعدل من أن يجبر ويعذب».

قال: فمطلقون؟ قال الإمام عليه السلام: «الله أحكم منه أن يهمل عبده، ويكله إلى نفسه».

وظاهره الاحتجاج وعلم الكلام غزت العالم الإسلامي نتيجة امتزاج الثقافه الإنسانيه بعضها ببعض، وألقت ثقلها المتراكم منذ العهد الإغريقي حتى العصر العباسي فاتسعت حركه الترجمة الى العربيه، وأشربت حياه الفكر في التلاقح الثقافى بينها وبين المسلمين، وعاد التراث العالمى فى الحكمه والفلسفه فى تناول العلماء والمتخصصين، وهبت رياح الزندقه والإلحاد والشعوبيه، وتطير غبار الجدل والخصام، وتعاضم المد الإسلامى فى التشعب العقلى، فكانت الأماميه والأشاعره والمعتزله والمرجئه والقدرية وسواها وكثر الإنكار والاستفسار، وبدأت علامات الاستفهام تتعالى من الأفواه، وشق المتكلمون طريقهم فى ظل شبهات مبهمه، وانفجر المخزون التراثى للأمم يتدافع فى موجات متلاحقه، وسادت حاله من الغموض المتعدد فى المجتمع العربى الإسلامى.. واختفت ظواهر الاطمئنان والتعايش السلمى المستقر، وغزا الأفق سحاب كثيف من التعدد المذهبى، وكان من مهمته أن يعصف بالفكر الأمامى، وهو أقدامها تاريخاً وأنصعها فصولاً، وأقربها برسول الله صله ولحمه وأواصر، وساعد المناخ السياسى بما استطاع من حول وطول أن يمدّ هذا التوجه بزخم كبير من الدعم والتشجيع عسى أن يطاح بذلك الشاخص المائل أمام الأنظار.. وهو مبدأ أهل البيت عليهم السلام فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، وان كثر الضغط، وتنمر المسئولون،

وتطاول الإرهاب وصدورت الحريه الفكرية.

والحق إن عصر المأمون قد احترم فيه الصراع الكلامي بين فصائل لا-التقاء بين أكثرها، فالدهريون في دوامه من الارتداد، والزنادقة في متاهات من الشك والارتياب، والمسلمون في تراحم فلسفي واحتجاجي وعقائدي لا أول له ولا آخر. حتى عادت الأحاديث متوتره والعواطف ساخنه، والحكم في مأمون من اليقظه الشعبيه أو الوعي الجماعي، فقد خدرت أطراف الشعب الأعزل، وشدت أعصابه بوثاق من حديد.

وكانت حياه الزهد المصطنع والتكشف الزائف نتيجة البذخ والسرف في العصر قد استعادت كيانها والتقطت أنفاسها، فعاد للتصوف المختلط حضور بارز على السطح وللدجل والرياء مكان معروف في المهاوى السحيقه.

وكان الفضل بن سهل بأمر مباشر من المأمون يتولى كبر هذا المناخ في الأخذ والرد والجذب والشد في هدف مزدوج:

فما استطاع إفحام الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ولو مره واحده، وإلهاء الحياه العامه بهذا عن الوعي والزعيق والصراخ وبوادر الثوره.

وكان لابد للإمام الرضا عليه السلام أن يقابل هذا الانقضا الصاعق بحكمه وأناه، وان يجابه هذه المفارقات بحزم وعلم، وان يأخذ بيد الأمه المسلمه إلى شواطئ الثقه والأمان.

ونهد الإمام بهذه المهمه الشاقه، فألتزم العرض الموضوعي في أطاريحه، وانتهج السبيل القويم في معالجاته، وبذلك أعاد للأمه وعيها، وللجدل البناء

أصالته، وهو يقرع الحجج بالحجج(١).

وشاء المأمون أن يجمع أصحاب المقالات، لمناظره الإمام الرضا عليه السلام وحقق الفضل بن سهل ذلك، فأحضر (الجائليق ورأس الجالوت، ورؤساء الصابئين، والهريذ الأكبر، وأصحاب زرادشت ونسطاس الرومي، وسواهم من المتكلمين).

ورحب بهم المأمون وأمرهم بالتبكير عليه، لمناظره الإمام الرضا عليه السلام ففعلوا ذلك، فبدأ الحديث مع الجائليق فأحتج عليه الإمام بالإنجيل، لنكران الجائليق القرآن، وكانت الجوله قد تناولت النبوه فى الإنجيل، وبشارته بنبوه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم بالإمامه التى ذكرت فيه... الخ وكانت نتيجة الجوله أن أنتصر الإمام على الجائليق.

وناظره رأس الجالوت (زعيم اليهود) فترنح رأسه حينما أستشهد الإمام بالتوراه، وتلا منها بعض الفقرات، وشمل الاحتجاج: الذى مرّ على قريه وهى خاويه على عروشها، وعن الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وعن إبراهيم الخليل، وعن أصحاب موسى السبعين، ثم أنكروا على الجائليق اتخاذ النصارى المسيح رباً!!

وقد أفحم الإمام الجائليق ورأس الجالوت بتناوله التوراه، وحكم العقل، والدليل الاستقرائى فى آيات موسى عليه السلام ولم يحر رأس الجالوت جواباً.

ص: ٦٦

١- (١) ظ، المؤلف / الإمام على الرضا / قياده الأمه.. وولاية العهد / ١٧٣-١٧٤.

ثم دعا الإمام عليه السلام الهرىذ الأكربر؁ وهو كبر علماء المروس وءاءه؁ وءاءله؁ وناقشه؁ فأنقء الهرىذ مكانه.

ثم قام للإمام عمران الصابى؁ فءاءه الإمام فى التوءىء؁ وءءوء ءلق الله؁ وهو يسأل؁ والإمام الرضا فببب فى مفاهبم واصءلاءاء كلاءمه معءه: فى الإباء؁ والمشبئه؁ والإراءه؁ والكنبونه المءلقه؁ والءروف وءألفها؁ والسكون؁ والءركه؁ والءساب؁ والءواب والءقاب؁ والاستءلال على وءءانبه الله ءعالى....

وكانء نءببب ذلك أن قال الإمام لءمران الصابى: أفهءمء با عمران؟ قال: نعم با سبىءى قء فهءمء؁ وأشهب الله على ما وصفء ووءءء؁ وأشهب أن مءمءاً عبءه المبعوء بالهءى وءبب الءق.

ثم ءرّ ساءءاً نءو القبلة وأسلم(١).

وكان المأمون فبببب الإءباب بءلك وفضمر الكبء للإمام فقء أسءءعى سلبمان المروزى مءكلم ءراسان؁ فأكرمه المأمون ووصله...

وقال له: إنما وءببب إلبك لمءرفءب بقوءك؁ ولبس مرابى إلا أن ءقءعه - فببب الإمام الرضا - فى ءببب واءءه فقء...

فأءببب بالإمام الرضا علىه السلام بءبوان المأمون؁ وءربب الءبببب عن (البءاء) فأءبببب الإمام الرضا علىه السلام من القرآن؁ وقال:

(إن لله عز وءل علمبب؁ علماً مءزونا مءكوناً لا فببببب إلا هو؛ ومن

ص: ٤٧

١- (١) ظ: ءفصبل ذلك: الصءوق / عبون آءبار الرضا: ١٥٤/١-١٧٧.

ذلك يكون البداء، وعلماً علمه ملائكته ورسله فالعلماء من أهل بيت نبينا يعلمونه. وإذا بسليمان المروزي يقول للإمام: زدني، جعلت فداك!!، فردّ الإمام عليه السلام على اليهود مقالتهم: «وقالت اليهود يد الله مغلولة»^(١).

ثم جرى الحديث عن ليله القدر.. قال الإمام: يا سليمان؛ «ليه القدر يقدر الله عز وجل فيها ما يكون من السنه إلى السنه من حياه أو موت، أو خير أو شر أو رزق فما قدره في تلك الليله الله من المحتوم.

وجرى الحديث عن الإراده اسماً وصفه، وعن علم الله في الخلق في جميع ما في الجنه والنار، وتناول الاحتجاج الخلود في الجنه والنار!! وسأله الإمام عن الإراده: أفعُل هي أم غير فعل؟ فغالط سليمان في الجواب؛ وأعتبر الإراده إنساء!!

وتحدث الإمام: أن نفى المعلوم ليس نفيًا للعلم، ونفى المراد نفى الإراده أن تكون ووألزمه الحجه بذلك.....

واستطال الحديث بهذا الموضوع، فأنقطع سليمان، فقال له المأمون: وهو يشير إلى الإمام الرضا عليه السلام: «يا سليمان هذا أعلم هاشمي». وقد عنى الإمام الرضا عليه السلام بالإلهيات وتنزيه الباري عنايه خاصه، وذلك لارتباطه بتوحيد الله تعالى، وما يتفرع عن ذلك من أفكار وطروحات تعنى بمسائل التوحيد، والقدم، والأزليه، والتشبيه، والجبر، والتفويض، والأمر بين الأمرين، والإراداه، والمشيه، والصفات والتجسيم. ففي مجال التوحيد ونفى

ص: ٦٨

١- (١) ظ: الصدوق / عيون أخبار الرضا: ١٧٩/١-١٩١.

الصفات، خطب الإمام بمحضر المأمون، وجمع من بني هاشم فقال عليه السلام:

«... أول عباده الله تعالى معرفته، وأصل معرفه الله توحيداً، ونظام توحيد الله نفى الصفات عنه لشهادته القول أن كل صفة وموصوف مخلوق، وشهادته كل موصوف أن له خالقاً ليس بصفه وموصوف، وشهادته كل صفة وموصوف بالاقتران، وشهادته الاقتران بالحدوث وشهادته الحدوث بالامتناع عن الأزل الممتنع من الحدوث.

فليس من الله من عرف بالتشبيه ذاته ولا إياه وجد من إكتنهه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا به صدق من نهاه، ولا صمد صمده من أشار إليه، ولا إياه عنى من شبهه، ولا له تدلل من بعضه، ولا إياه أراد من توهمه، كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم فى سواه معلول، ب صنع الله يستدل عليه، وبالقول تعتقد معرفته، وبالفطره تثبت حجته..»(1).

وهنا يبدأ الإمام بأصل المعرفة، وهى توحيد الله عز وجل، ونفى الصفات عنه باعتبارها محدثه، والمحدث مخلوق، وهو القديم الأزلى الخالق العظيم، ثم ينفى عن البارى الشبه والتوهم، والإدراك فلا يشار إليه، ولا يدرك كنهه، ولا يمثل بشيء.

وعرض الإمام للقدم والأزليه والأسماء بقوله:

«إن الله تبارك وتعالى قديم، والقدم صفة دلت العاقل على أنه لا شيء

ص: ٦٩

قبله، ولا شىء فى ديمومته... وبطل قول من زعم: أنه كان قبله وكان معه شىء، وذلك أنه لو كان معه شىء فى بقائه لم يجز أن يكون خالقاً له ولأنه لم يزل معه، فكيف يكون خالقاً لمن لم يزل معه.

ولو كان قبله شىء، كان الأول ذلك الشىء لا هذا، وكان الأول أولى أن يكون خالقاً للأول، ثم وصف نفسه تبارك وتعالى بأسماء... فسمى نفسه: سمياً بصيراً، قادراً، قاهراً حياً، قيوماً ظاهراً، باطناً، لطيفاً، خبيراً، قوياً عزيزاً، حكيماً، عليماً، وما أشبه هذه الأسماء...»(١).

وقد يسأل الإمام عن صفه الله تعالى، ويجب الإمام باستحاله ذلك، لأن أيه صفه مهما عظمت فلا تحيط بالذات الإلهية، لأنها حقيقته كبرى فوق حقائق الأشياء.

فقد سأله أبو هاشم الجعفرى: هل يوصف الله؟.

قال الإمام: أما تقرأ القرآن؟ قال بلى...

قال الإمام: أما تقرأ قوله تعالى «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ».

قال: وما هى؟ أبصار العيون!!

قال الإمام: «إن أوهم القلوب أكبر من أبصار العيون، فهو لا تدركه

ص: ٧٠

الأوهام، وهو يدرك الأوهام»(١).

وفى مجال آخر يفند الإمام الرّويه ويّرّد على دعوى الصّفة. يقول عليه السلام (سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك، فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك، لوصفوك بما وصفت به نفسك، سبحانك كيف طاوعتهم أن يشبهوك بغيرك؟ اللهم لا أصفك إلا بما وصفت به نفسك، ولا أشبهك بخلقك، أنت أهل لكل خير، فلا تجعلني من القوم الظالمين).

ثمّ التفت الإمام إلى السائلين فقال (ما توهمتم من شيء فتوهموا الله غيره..)(٢).

ونفى الإمام عن الله تعالى دعوى الجبر والتفويض، فقد سأله الحسن بن على الوشا قائلاً:

الله فوض الأمر إلى العباد؟.

قال الإمام الرضا عليه السلام: «هو أعز من ذلك».

فقال الوشا: أجبرهم على المعاصي؟.

قال الإمام الرضا عليه السلام: «الله أعدل وأحكم من ذلك».

ثم قال: قال الله عز وجل: «يا ابن آدم، أنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيئاتك مني، عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك»(٣).

ص: ٧١

١- (١) الكليني / أصول الكافي: ٩٩/١.

٢- (٢) الكليني / أصول الكافي: ١٠١/١.

٣- (٣) الصدوق / عيون أخبار الرضا: ١٤٣/١.

وذكر عنده الجبر والتفويض فقال لأصحابه:

ألا أعطيكم في هذا أصلاً، لا تختلفون فيه، ولا يخاصمكم عليه أحد إلا كسرتموه؟

قلنا: إن رأيت ذلك؛ فقال الإمام عليه السلام:

«إن الله لم يطع بإكراه، ولم يعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فأن ائتمر العباد بطاعته؛ لم يكن الله عنها صادراً ولا- منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصيته، فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يحل فعلوا، فليس هو الذي أدخلهم فيه.

ثم قال عليه السلام: «من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه»^(١).

وفصل الإمام عليه السلام القول بالجبر والتفويض بما رواه بريد بن عمير بن معاوية الشامي قال: دخلت على علي بن موسى الرضا بمرو فقلت له: يا ابن رسول الله، روى لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «لا- جبر ولا- تفويض، بل أمر بين أمرين» فما معناه؟.

قال الإمام عليه السلام: «من زعم أن الله يفعل أفعالنا، ثم يعذبنا عليها، فقد قال بالجبر، ومن زعم أن الله عز وجل فوض أمر الخلق والرزق الى حجته عليهم السلام فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك.

ص: ٧٢

١- (١) الصدوق / عيون أخبار الرضا: ١/١٤٤.

فقلت له: يا بن رسول الله فما أمر بين أمرين؟

فقال الإمام: وجود السبيل الى إثبات ما أمروا به، وترك ما نهو عنه، فقلت له، فهل لله عز وجل مشيئة في ذلك؟

فقال الإمام: فأما الطاعات فإرادة الله ومشيتته فيها: الأمر بها والرضا لها، والمعاونه عليها، وإرادته ومشيتته في المعاصي: النهي عنها، والسخط عليها. قلت: فهل لله فيها القضاء؟ قال الإمام: نعم، ما من فعل يفعله العباد من خيرٍ أو شرٍ، إلا لله فيه القضاء؟ قلت: ما معنى هذا القضاء؟

قال الإمام: الحكم عليها بما يستحقونه على أفعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة»(١).

وتحدث الإمام عن الكون والكيف والأين، وهي مصطلحات كلامية، فعن ابن أبي نصر البزنطي قال: جاء قوم من وراء النهر إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام فقالوا: جئنا نسألك عن ثلاث مسائل، فإن أجبتنا علمنا إنك عالم!! فقال سلوا؛ فقالوا أخبرنا عن الله تعالى: أين كان؟ وكيف كان؟ وعلى أي شيء كان اعتماده؟

فقال عليه السلام: «إن الله تعالى كيف الكيف فهو بلا كيف، وأين الأين فهو بلا أين، وكان اعتماده على قدرته»

فقالوا نشهد إنك عالم(٢).

ص: ٧٣

١- (١) الصدوق / عيون أخبار الرضا: ١/١٢٤.

٢- (٢) الصدوق / عيون أخبار الرضا: ١/١١٧.

ويتحدث الإمام عن هذه القدره التي كان اعتمادها عليها، فيعدّها ذاته المقدسه، لأن القدره من صفات الذات، فعن عيسى بن محمد بن عرفه قال: قلت للرضا عليه السلام: خلق الله الأشياء بالقدره أم بغير القدره؟.

قال الإمام عليه السلام: «لا يجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدره لأنك إذا قلت، خلق الأشياء بالقدره، فكأنك قد جعلت القدره شيئاً غيره، وجعلتها آله له، بها خلق الأشياء وهذا شرك.

وإذا قلت: خلق الأشياء بغير قدره، فإنما تصفه أنه جعلها باقتدار عليها وقدره، ولكن ليس هو بضعيف، ولا عاجز، ولا محتاج إلى غيره، بل هو سبحانه قادر بذاته لا بالقدره»(١).

وأكد الإمام الرضا عليه السلام هذا الأمر باعتبار صفاته عين ذاته، فعن الحسين بن خالد، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول:

«لم يزل الله عالماً، قادراً، حياً، قديماً، سميعاً، بصيراً».

فقلت له: يا ابن رسول الله: إن قوماً يقولون: لم يزل الله عالماً بعلم، وقادراً بقدره، وحياً بحياه، وقديماً بقدم، وسميعاً بسمع، وبصيراً ببصر!!، فقال عليه السلام: «من قال ذلك ودان به، فقد أتخذ مع الله آلهه أخرى، وليس من ولايتنا بشيء، ثم قال: لم يزل الله عز وجل عليمًا، قادراً، حياً، سميعاً، بصيراً لذاته، تعالى الله عما يقولون المشركون والمشبهون علواً كبيراً»(٢).

ص: ٧٤

١- (١) الصدوق / عيون أخبار الرضا: ١١٨/١.

٢- (٢) الصدوق / عيون أخبار الرضا: ١١٩/١.

وفند الإمام شبهات القدرية، ونهى عن القول بقولهم، وأنكر مقالتهم، وأستشهد على ذلك بآيات من القرآن العظيم (١)، ودفع شبهات المتكلمين بتوهم أن الأنبياء غير معصومين (٢).

وأستدل الإمام عيه السلام على إمامه أهل البيت عليهم السلام فى منهج اجتماعى يعتمد القرآن العظيم فى دلالة على ذلك مضافاً إلى السنة النبوية، وأعتبر الإمامه هى منزله الأنبياء، وإرث الأوصياء، وخلافه الله عز وجل، وخلافه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين، وإرث الحسن والحسين عليهم السلام، ثم تحدث عن منزله الإمامين بما لا يزيد عليه (٣).

وكان الإمام منفتحاً على كتاب الله الأعظم والسنة النبوية فى تفضيل العتره، يصدر عنهما، ويستدل بهما (٤).

وجاء ولده الإمام محمد الجواد عليه السلام ليكمل مسيره الاحتجاج فى شتى مسالكه، والتأكيد على التوحيد الإلهي، حيث ازدهرت الحياه العقلية فى عصره، وبلغت النهضة الحضارية قمتها فى عهده، فأولاهها الإمام جهاده وجهوده، وربى جيلاً متحفزاً من العلماء النابهين، وترعم جمهوره من الفقهاء الأكابر، وثقف طائفه من المتكلمين وعلماء الاحتجاج.

ص: ٧٥

١- (١) المصدر نفسه: ١٩١/١-١٩٥.

٢- (٢) المصدر نفسه: ٢٩٥/١-٢٠٢ + ١٩٦.

٣- (٣) المصدر نفسه: ٢١٦-٢١٨ + الكليني / أصول الكافي: ١٩٣/١.

٤- (٤) ظ: الصدوق / عيون أخبار الرضا: ٢٢٩/١ + - ٢٣١/١-٢٤٠.

وكانت حواضر العالم الإسلامي تَعِيَجُ بالعلماء والمتعلمين في كل من مكة المكرمة، والمدينه المنوره، والكوفه الغراء، والبصره الفيحاء، وخراسان وبغداد دار السلام لكونها مقر الدوله آنذاك(١).

يقول الدكتور غوستاف لوبون:

«كان العلماء ورجال الفن والأدباء من جميع الملل والنحل من يونان، وفرنس، وأقباط، وكلدان، يتقاطرون إلى بغداد، ويجعلون منها مركزاً للثقافه في الدنيا»(٢).

وكان المكر السياسي للسلطه العباسيه يشجع الخوض بمتاهات علم الكلام، حتى انحرف الهدف لهذا العلم عن الخط الذي ينبغي أن يسير عليه، وتحول إلى صراع غبي مقيت بين المعتزله والأشاعره إلى الحد الذي كفر بعضهم بعضاً.

بينما وقف الإماميه موقف الحذر المتيقظ من هذا المناخ فأعرض صفحاً عن المهاترات، واتجه لتقض شبهات المنحرفين، ورّد مزاعم الزندقه والإلحاد، في خط هادئ متزن في خضم تلك الصراعات في صخبها وضجيجها وكانت حتميه تجربه السماء الفطريه تقتضى أن ينتصر الاتجاه العقلي الرصين على تلك التهاويل الغريبه، فأتجه الإمام محمد الجواد عليه السلام بثقله الرسالي إلى إصلاح ما فسد من عقائد المسلمين، وأكد على قضايا التوحيد الإلهي، وما

ص: ٧٦

١- (١) ظ: المؤلف / الإمام محمد الجواد / معجزه السماء في الأرض / ٢٢٩-٢٣٠.

٢- (٢) غوستاف لوبون / حضاره العرب / ٢١٨.

يدور فى فلك معرفه الله تعالى.

قال الإمام محمد الجواد عليه السلام: «إن الله خلق الإسلام فجعل له عرصه، وجعل له نوراً، وجعل له حصناً وجعل له ناصرًا، فأما عرصته فالقرآن، وأما نوره فالحكمه، وأما معينه فالمعروف، وأما أنصاره فأنا وأهل بيتي»(١).

والإمام فى هذا العصر يصدر عن واقعيه لا-مبالغه معها، ويؤكد على نظام الإسلام، وقياده القرآن، وولايه أهل البيت، عليهم السلام رغم كل المخاطر التى تحيط بهذا التصريح الجزئى، لأنه بمثابه الثوره المضاده لكل ولايه ظالمه وخلافه مدعاه(٢).

وانبرى الإمام بكل ما أوتى من علم لدنى للدفاع عن قضايا التوحيد، وشبه المتكلمين فى الأسماء والصفات، والعلم والقدرة، والسمع والبصر وإضراب ذلك مما يدور بهذا الفلك.

وختم ذلك بقوله (وكذلك سمي ربنا قوياً لا يقوه البطش المعروف من المخلوق، لوقع التشبيه، ولأحتمل الزيادة، وما أحتمل الزيادة والنقصان، وما كان ناقصاً كان غير قديم، وما كان غير قديم كان عاجزاً فربنا تعالى لا شبه له ولا ضد، ولا ند، ولا كيف، ولا نهايه، ولا تبصار بصر، ومحرم على القلوب أن تمثله وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الضمائر أن تكونه، جل وعز عن أداه

ص: ٧٧

١- (١) الكلينى / الكافى: ٤٦/٢.

٢- (٢) ظ: المؤلف / الإمام محمد الجواد / معجزه السماء فى الأرض / ٢٣٤-٢٣٥.

خلقه وسمات بريته، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً»(١).

ودافع الإمام في ظل التوحيد عن السنه النبويه بما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في حجه الوداع:

«قد كثرت عليّ الكذابه، وستكثر، فمن كذّب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه عليّ كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به»(٢).

وهكذا كان الإمام محمد الجواد عليه السلام كما قال سبط بن الجوزي:

«كان عليّ منهاج أبيه في العلم والتقوى والزهد والجود»(٣)، وقد فرضت على الإمام محمد الجواد عليه السلام مسائل في هذا المحور من قبل فقهاء البلاط العباسي زمن المأمون والمعتصم، وأضطر معها الإمام الجواد عليه السلام الى الإجابة في ضوء القرآن الكريم والسنه النبويه، في تفصيلات مضنيه، كان الهدف منها إثارة الفتنة، وإشاعه الفرقة بين المسلمين، ولكن الإمام الجواد قابلها بنضج عقلي متميز، في ردود حاسمه ضيقت الفرصه على الحاكمين الطغاه(٤).

وكان عصر الإمام علي الهادي عليه السلام عصر جدل واحتجاج

ص: ٧٨

١- (١) ظ: الكليني / الكافي: ١١٦/١-١١٧ + الصدوق / التوحيد: ١٤٢-١٤٣.

٢- (٢) ظ: الطبرسي / الاحتجاج / ٢٢٩-٢٣٠ + المجلسي / بحار الأنوار: ٨٠-٨٣.

٣- (٣) سبط ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ٣٦٨.

٤- (٤) ظ: المفيد / الإرشاد / ٣٦٠-٣٦٣ + المجلسي / البحار: ٥٠/٧-٥٠، وسواهما.

ومناظره فى رحاب علم الكلام، ومسائل الاعتقاد والتوحيد واختلاف المدارس فى الرؤيه والتجسيم، والقضاء والقدر، والجبر والتفويض، والأمر بين الأمرين، وسوى ذلك مما تناوله المتكلمون.

وكان للإمام على الهادى عليه السلام فى هذا الميدان سبق التقرير وقصب السبق ودقه الملاحظه، وقد فصل القول تاره وأجمله تاره أخرى فى دفع الشبهات، ونفى الرؤيه والتجسيم، ونفى التشبيه والمثل، ودحض مقاله التفويض وإبطال نظريه الجبر.

١. فى التوحيد وتقديس الذات الإلهيه كان الإمام مجلياً فى نفى المثل وتعدر الوصف وعجز الإدراك فيما تناله الأوهام أو تدركه الخطرات، أو تحيط به الأبصار تصوراً أو مشاهده.

ففيما أفاده للفتح بن يزيد الجرجانى قوله:

«.. إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأنى يوصف الذى تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والأبصار عن الإحاطه به، جلّ عما يصفه الواصفون، وتعالى عما ينعت الناعتون، نأى فى قربه وقرب فى نأيه، فهو فى نأيه قريب، وفى قربه بعيد، كيف الكيف فلا يقال كيف، وأين الأين فلا يقال أين.. هو الواحد الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، جلّ جلاله وتقدست أسماؤه»(١).

ص: ٧٩

١- (١) ظ: الكلينى / الكافى: ١٣٧/١-١٣٨ + المسعودى / إثبات الوصيه: ١٩٦ + ابن شعبه / تحف العقول: ٣٩١، الإربلى / كشف الغمه: ١٧٩/٣، وسواها.

٢ - وفي حديث الإمام نفسه نفى الجسميه والتجسيم والتجزئه، فقال: «... وكل جسم مغذوٌ بهذا إلا الخالق الرازق، لأنه جسّم الأجسام، وهو لم يجسم ولم يجزأ ببناءه، ولم يتزايد ولم يتناقص، مبرءاً من ذاته، ما ركّب في ذات من جسمه، فنشأ الأشياء، مجسم الأجسام، وهو السميع العليم، اللطيف الخبير، الرؤوف الرحيم، تبارك عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ولو كان كما يوصف لم يعرف الرب من المربوب، ولا الخالق من المخلوق، ولا المنشئ من المنشأ، لكنه فرق بينه وبين جسمه، وشيء الأشياء إذا كان لا يشبهه شيء يرى، ولا يشبهه شيئاً» (١).

٣ - وفي نفى الرؤيه عنه تعالى أجاب الإمام عليه السلام: أحمد بن اسحاق بالقول:

«لا تجوز الرؤيه ما لم تكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فمتى انقطع الهواء وعدم الضياء لم تصح الرؤيه، وفي اتصال الضياء بين الرائي والمرئي وجوب الاشتباه، والله تعالى منزّه عن الاشتباه، فثبت أنه لا تجوز عليه الرؤيه بالأبصار، لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات» (٢).

وفي علاقه الهواء اتصالاً وانقطاعاً بالرؤيه مع وجود الضياء وعدمه؛ لتحقق الرؤيه وعدمها؛ مباحث طريفه للعلم الحديث في القرن العشرين، وكان الإمام على الهادى عليه السلام قد سبق إليها قبل إثني عشر قرناً.

ص: ٨٠

١- (١) ظ: الكليني / الكافي: ١٣٧/١-١٣٨ + المسعودي / إثبات الوصيه: ١٩٦ + ابن شعبه / تحف العقول: ٣٩١، الإربلي / كشف الغمه: ١٧٩/٣، وسواها.

٢- (٢) الكليني / الكافي: ٩٧/١ + الطبرسي / الاحتجاج: ٤٨٦/٢.

٤ - وفي نفى الصورة الجسم أجاب الإمام بشر بن بشار النيسابوري على مقالته: إن من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول جسم، ومنهم من يقول صورته!!

فكتب إليه الإمام: «سبحان من لا يحد، ولا يوصف، ولا يشبهه شيء، وليس كمثلته شيء، وهو السميع البصير»^(١).

٥ - وفي تشابه الاسم في الوجدانية بين الله والإنسان قال الإمام: «إنما التشبيه في المعاني، فأما في الأسماء فهي واحدة، وهي داله على المسلمين، وذلك إن الإنسان إن قيل واحد، فإنه يخبر أنه جثه واحدة وليس باثنين، والإنسان ليس بواحد، لأن أعضاءه مختلفة، وألوانه مختلفة، ومن ألوانه مختلفه غير واحد، وهو أجزاء مجزأه ليست بسواء، دمه غير لحمه ولحمه غير دمه، وعصبه غير عروقه، وشعره غير بشره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر جميع الخلق، فالإنسان واحد في الاسم لا واحد في المعنى، والله جلّ جلاله هو واحد لا- واحد غيره، لا- اختلاف فيه ولا- تفاوت، ولا زياده ولا نقصان، فأما الإنسان المخلوق المصنوع المؤلف من أجزاء مختلفة، وجواهر شتى، غير أنه بالإجماع شيء واحد»^(٢).

٦ - وعن أدنى حدود المعرفة بالله تعالى قال الإمام الهادي عليه السلام: «الإقرار بأنه لا إله غيره، ولا شبه، ولا نظير، وأنه قديم مثبت موجود غير

ص: ٨١

١- (١) الكليني / الكافي: ١٠٢/١.

٢- (٢) الصدوق / التوحيد: ١٨٥ + الكليني / الكافي: ١١٨/١.

فقيد، وأنه ليس كمثلته شيء»^(١).

٧ - وعن علم الله بالأشياء قبل خلقها وبعدها، كتب أبو أيوب بن نوح الى الإمام يسأله عن الله عز وجل: «أكان يعلم الأشياء قبل خلق الأشياء وكونها، أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها، فعلم ما خلق عندما خلق، وما كوّن عندما كوّن»، فوقع الإمام الهادي بخط يده:

«لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء، كعلمه بالأشياء بعدما خلق الأشياء»^(٢).

٨ - وللإمام على الهادي عليه السلام تفصيل دقيق مستفيض عن كيفية علم الله تعالى حينما سئل فأجاب:

«علم وأشياء، وأراد، وقدر، وقضى، وأبدى، فأمضى ما أقضى، وقضى ما قدّر، وقدّر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة، وبمشيئته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء.

فالعلم متقدم المشيئة والمشيئة ثانيه، والإرادة ثالثه، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء، فله تعالى البدء فيما علم متى شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء.. والله يفعل ما يشاء وبالعلم علم الأشياء قبل كونها لا، وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها، وأنشأ إظهارها وقدّر أوقاتها، وعرف أولها وآخرها، وبالقضاء أبان للناس أماكنها، ودلّ

ص: ٨٢

١- (١) الصدوق / التوحيد: ٢٨٣.

٢- (٢) الصدوق / التوحيد: ١٤٥.

عليها، وبالإمضاء شرح عللها، وأبان أمرها، وذلك تقدير العزيز العليم»(١).

٩ - وللإمام الهادى عليه السلام رساله فى الجبر والتفويض بعث بها الى أهل الأهواز وقد سألوه عن ذلك.

والجبر عند الأشاعره يعنى أن العباد لا- يمتلكون الحريه فى الأعمال، ولا- الإراده فى الأفعال، وأنهم محجوبون على ذلك جبراً حتمياً. والتفويض لدى القائلين به من المعتزله: أن العباد غير مقيدين فى التصرف، لأن الله تعالى قد فوض إليهم التحكم فى الأفعال والأعمال، وترك لهم الإراده المطلقه فى الاختيار فلا سلطان عليهم.

وجاءت أطروحه الإمام الهادى عليه السلام تأكيداً لاستمراريه المبدأ الذى عليه أئمه أهل البيت عليه السلام لدى برمجه الإمام الصادق عليه السلام فى قوله (لا جبر ولا تفويض، ولكن أمر بين أمرين).

وقد ركز الإمام الهادى عليه السلام على هذا المبدأ فى رسالته تلك، بدراسه معمقه فريده كشفت الإبهام عن الحقائق، وقدمت كشفاً كلامياً أزال الأوهام العالقه فى الأفق الجدلى، وأنار السبيل بين يدى المتعلمين، ومهد لهذا الموضوع الخطير بأمرين مهمين أجال فيه النظر فى القرآن الكريم والحديث الشريف، وأحال عليهما(٢).

ص: ٨٣

١- (١) الصدوق / التوحيد: ٣٣٤.

٢- (٢) ظ: المؤلف / الإمام على الهادى / النموذج الأرقى للتخطيط الرسالى: ٢٤١-٢٤٢، وقد أورد الرساله كامله مع التعليق والتدقيق المناسب، مضافاً إلى تبويبها وبرمجتها.

والرساله متوافره فى الكتب المعتمده، فقد أوردها ابن شعبه فى تحف القول كامله (٣٤١-٣٥٦) وأوردها الطبرسى فى الاحتجاج جزءاً لا كلاً فى فقرات قد تصل إلى نصفها (٢/٤٨٧-٤٩٦) وأوردها كامله المغفور له الشيخ محمد حسن آل ياسين الكاظمى فى كتابه (الإمام على بن محمد الهادى (١١١-١٢٨)).

وهى صالحه لعمل مستقل قائم بذاته يستأهل البحث والتحقيق، وقد أشرنا إليها عسى أن تجد من يتفرغ لها بحثاً وتمحيصاً.

فإذا وقفنا عند ولده الإمام المفترض الطاعه الحسن العسكرى عليه السلام أدركنا مدى الجهود المضنيه التى بذلها للحيلولة دون الوقوع فى متاهات الضلال المتراكمه نتيجة التلاقح الفكرى بين الأمم، ففى عصر الإمام العسكرى عليه السلام على قصره علقنا بعض الأوشاب فى الذهنيه السطحيه لدى بعض المسلمين، فانبرى الإمام عليه السلام بثباته المتزن وحسن تأنيه للأمر جاداً فى تنفيذ ذلك، وأحاول تأشير ذلك بصورة موجزه على سبيل النموذج والمثال فى نقاط:

١ - نجم قرن الشيطان عن ميلاد فرقه سميت (الثنويه) متأثره بالمجوسيه حيناً وبالزرادشتيه حيناً آخر، وهى تحاول فى زعمها أن تثبت مع القديم قديماً غيره، ومع الإله آلهه تقابله، وهذا هو الإشراك بعينه، وقد اعتمدت هذه الفرقة الضالاه مبدأ قائماً بين إلهين: إله النور وإله الظلمه، فإله النور بزعمهم

ص: ٨٤

يمثل مبدأ الخير، وإله الظلمه يمثل مبدأ الشر، وربما أنجذب عنق من الناس لهذا البريق الكاذب، فنهد الإمام لانقاذهم.

فقد روى الشيخ الكليني (ت ٣٢٩ هـ -) قائلاً:

أخبرني محمد بن الربيع المشائي الشيباني، قال: ناظرت رجلاً من الثنويه بالأهواز ثم قدمت (سر من رأى) وقد علق بقلبي شيء مما قاله، فإني لجالس على باب أحمد بن الخصيب إذ أقبل أبو محمد عليه السلام - يعني الحسن العسكري - من دار العامه يوم المركب، فنظر إلى وأشار بسبابته: أحد، أحد، فسقطت مغشياً عليّ (١).

٢ - وحينما شاهد المسلمون كرامات الأئمه المعصومين تترى، وإفاضاتهم بلمح الغيب تتوالى، نشأ سحاب كثيف يغطي الرؤيه لدى فريق من الناس، فقالوا بالغلو، مما ينافى في أدنى مبادئ أهل البيت عليهم السلام فما كان من الإمام العسكري إلا أن يدرأ هذا الاعتقاد الهدام، ويحمل على هذه الدعوات الضاله.

ففي المناقب عن إدريس بن زياد والكفرتوثائي، قال: كنت أقول فيهم قولاً عظيماً - يعني أهل البيت - فخرجت إلى العسكر للقاء أبي محمد عليه السلام فقدمت وعليّ أثر السفر ووعثاؤه، فألقيت نفسي على دكان حمام، فذهب بي النوم، فما انتبهت إلا بمقرعه أبي محمد عليه السلام قد قرعني بها حتى استيقظت فعرفته، فقممت قائماً أقبل قدميه وفخذي، وهو راكب،

ص: ٨٥

١- (١) الكليني / الكافي: ١/ ٥١١ + ابن شهر آشوب / المناقب: ٣/ ٥٣٠.

والغلمان من حوله، فكان أول ما تلقاني به أن قال يا إدريس «بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْتَفِهُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِه يَعْمَلُونَ ۝١» .

فقلت حسبي يا مولاي، وإنما جئت لأسأل عن هذا، فتركني ومضى»(١).

٣ - قال سهل بن زياد: «كتبت إلى أبي محمد سنة خمس وخمسين ومائتين: قد اختلفت يا سيدي أصحابنا في التوحيد!! منهم من يقول: هو جسم، ومنهم من يقول: هو صورة، فأن رأيت سيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه، فعلت متطولاً على عبدك. فوقع الإمام الحسن العسكري عليه السلام بخطه:

«سألت عن التوحيد... الله واحد أحد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، خالق وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء، وليس بصوره جلّ ثناؤه، وتقدرت أسماؤه أن يكون له شبيهه، هو لا غيره، ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير»(٢).

٤ - وفي محنه خلق القرآن، قدمه وحدوثه، وما سفك فيها من الدماء، وما أعتدّ فيها على العلماء، اختصر الإمام الحسن العسكري إيضاح الأمر بالقول الفصل: «الله خالق كل شيء، وما سواه مخلوق»(٣).

ص: ٨٤

١- (٢) ابن شهر آشوب ٣ / المناقب: ٥٢٩/٣.

٢- (٣) الكليني / الكافي: ١٠٣/١.

٣- (٤) ابن شهر آشوب / المناقب: ٤٣٦/٤.

٥ - وفي قضايا الرؤيه، روى الكليني مسنداً عن أحمد بن إسحاق، قال: كتبت الى أبي محمد عليه السلام أسأله:

«كيف يعبد العبد ربه وهو لا يراه؟»

فوقع عليه السلام: «يا أبا يوسف جلّ سيدى ومولاي والمنعم علىّ وعلى آبائى أن يرى».

قال: وسألته هل رأى رسول الله ربه؟ فوقع عليه السلام: (إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحبّ)(١).

إن هذه الأسئلة من هذا العالم الجليل ليس الباعث فيها الشك والجهل، ولكنها - والله العالم - على سبيل إيصال الحقائق للآخرين، مشفوعه بتوقيع الإمام وحكمه، لتتم عملية التغيير الاجتماعى.

ويؤيده ما روى عن أحمد بن إسحاق نفسه، قال: دخلت على مولانا أبي محمد الحسن بن على العسكرى عليه السلام فقال:

«ما كان حالكم فيما كان فيه الناس من الشك والارتياب؟ فقلت له: يا سيدى لما ورد الكتاب لم يبق رجل ولا امرأه ولا غلام بلغ الفهم إلا قال بالحق. فقال: أحمد الله على ذلك يا أحمد، أما علمتم أن الأرض لا تخلو من حجه؟ وأنا ذلك الحجه، أو قال: أنا الحجه»(٢).

ص: ٨٧

١- (١) الكليني / الكافي: ٩٥/١.

٢- (٢) الصدوق / إكمال الدين / ٢٢٢.

من صفات الأولياء المقربين الإنابه لله تعالى، والإخبات إليه، والتوكل عليه، والاستعانه به، ولا يعنى هذا الانعزال والابتعاد عن واقع الحياه الاجتماعيه، بل العمل فى صميم الحياه الاجتماعيه قد يكون نوعاً من الإنابه لله عز وجل، وذلك فى مخالطه الناس بتوادٍ وتراحم، وبشر ومحبه، كما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمه أهل البيت عليهم السلام فلذلك جانب ولهذا جانب، وملاك هذا الإخبات وتلك الإنابه تتمثل بالآثار النبويه وآثار أهل البيت بما لا مزيد عليه، وأرقى درجات ذلك حب لقاء الله تعالى.

فقد ورد فى الحديث الشريف: «من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه».

وهذا يعنى الانصراف عن الدنيا بحدود، والاتجاه الى الله دون حدود.

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أفضل

الناس من عشق العباده وعانقها وأحبها فى قلبه، وباشرها بجسده، وتفرغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا على عسر أم على يسر».

ويفيض علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرقى نماذج الإنابه بالكسب الحلال، ومجالسه العلماء، والتدلل الى الله وحسن الخلق، وإصلاح السريره، وطيب السيره، والتمسك بالسنة، ورفض البدع، والأضاليل فقد روى أنه قال:

«طوبى لمن أنفق ما أكتسب من غير معصيه، وجالس أهل الفقه والحكمه، وحالف أهل الذل والمسكنه. طوبى لمن ذلت نفسه، وحسنت خليقته، وصلحت سريره، وأمن الناس شره.

طوبى لمن أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوته، ووسعته السنه، ولم تستهوه البدعه».

ومراقبه الله تعالى والإنابه يتجلىان فى عبادته الإنسان له، تلك العباده المقترنه برؤيه الله للإنسان، وإن لم يره الإنسان وفى هذا الضوء نجد أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

«من نقله الله من ذل المعاصى الى عزّ التقوى أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيره وأنسه بلا أنيس».

فله دُرُكٌ يا أبا الحسن، فقد سيرت الأمثال وضبطت الأحوال، وغصت فى أعماق النفس الإنسانيه، فالمعصيه ذلٌ وأى ذل، والتقوى عزٌّ وأى عز، والنقله من الذل الى العز شرف ما بعده شرف، فإذا كانت النقله من قبل الله

تعالى، فهي غنى الدهر وعز العشيره دونها، وأنس الحياه بلا أنيس، وإذا اجتمع ذلك للإنسان تمت سعادته فى الدنيا.

إن إثاره هذا الملحظ بهذا العرض من قبل الإمام؛ فيه دفع للاتجاه نحو الطاعه والإنايه لله عز وجل، وفيه دلالة أن النقله بيد الله، والله لا يعطيها اعتباراً إلا بصالح الأعمال، ونقاء النيه، وصدق العزيمه.

ولقد كان أمير المؤمنين عليه السلام النموذج الأرقى للإنايه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو القائل:

«والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً، وأجر فى الأغلال مصفداً، أحب إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامه ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً، والنفس يسرع الى البلى قفولها، ويطول فى الشرى حلولها».

قال ابن عباس: ما تعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بمثل كتاب كتبه إلى على بن أبى طالب عليه السلام:

«أما بعد؛ فإن الإنسان يسره درك ما لم يكن ليفوته، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدرك، فلا تكن بما نلت من دنياك فرحاً، ولا بما فاتك ترحاً، ولا تكن ممن يرجو الآخره بغير عمل، ويرجو التوبه بطول الأمل، فكأن قد، والسلام».

ومن حسن تأديبه لنا، وعظيم تربيته لأنفسنا على الرجاء والإنايه بما روى عنه عليه السلام أنه قال:

«كن لما لا ترجو أرجى لما ترجو، فأن موسى بن عمران خرج ليقتبس لأهله ناراً؛ فكلمه الله عز وجل فرجع نبياً».

وألزمتنا أمير المؤمنين بآداب الإنابة، وأصناف الالتجاء الى الله عز وجل، ومظاهر عبادته بانشغال المرء بعيبه عن عيوب الناس، وانشغاله بنفسه دون سواها، فعنه عليه السلام أنه قال:

«طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وطوبى لمن لزم بيته، وأكل قوته، وأشتغل بطاعته، وبكى على خطيئته، فكان من نفسه فى شغل، والناس منه فى راحه».

وإن للعبد المؤمن أسوه حسنه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان المثل الأرقى فى الجهاد والتضحيه فى سبيل الله عز وجل، وكان العبد المنيب لله بكل معنى الكلمه، فيروى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام حتى تورمت قدماه!! فقيل له: يا رسول الله أتفعل هذا بنفسك، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً»

وروى أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

يا رسول الله، أنا لا- أصلى سوى الفرائض الخمس، ولا- أصوم سوى شهر رمضان، وليس عندى مال يوجب على الزكاه!! فأين ترانى بعد الموت؟ فقال صلى الله عليه وآله:

«أربعة من كن فيه كان فى نور الله الأعظم:

«من كان عصمه أمره بشهاده أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، ومن

أصابته مصيبه قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون» ومن إذا أصاب خيراً قال: الحمد لله رب العالمين، ومن إذا أصاب خطيئه قال «أستغفر الله ربي وأتوب إليه».

ولقد لخص أمير المؤمنين هذا كله فيما روى عنه أنه قال: «بالإخلاص يكون الخلاص».

والإخلاص هو جوهر الأعمال الداله على صدق النيه وطهاره الضمير، والإخلاص أبرز مظاهر الإنابه لله عز وجل.

وقد أشار أمير المؤمنين إلى المظاهر التي ملاكها الإخلاص في قوله: ثلاث من حافظ عليها يسعد: إذا ظهرت عليك نعمه فاحمد الله. وإذا أبطأ عنك الرزق فأستغفر الله، وإذا أصابتك شدة فأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله».

وهذه اللفتات البارعه من أمير المؤمنين تعدّ الطريق بين يدي السعاده الأبدية، فالشكر لله والحمد عند توالى النعم، وتواتر الألفاف الإلهيه مما يوجب بقاء النعم بل زيادتها.

قال الله تعالى: «لئن شكرتم لأزيدنكم..»

والاستغفار ينزل الرزق من السماء كما في حديث نوح لقومه، وأما الشدائد والمصائب، فتدفع بلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم».

ومن الإنابه لله عز وجل: الزهد في الدنيا بكل مظاهره إلا ما فيه إعزاز الدين، ونصره الإسلام الحنيف.

وكانت الزهراء عليها السلام تمثل هذا النوع من الزهد، بما ضرب أروع الأمثلة في الإنابة لله عز وجل، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على أخته فاطمة الزهراء عليها السلام، وهي تطحن بالرحى، وعليها كساء من وبر الإبل، فبكى وقال: «تجرعى يا فاطمه مراره الدنيا لنعيم الآخرة».

ومن مظاهر الإنابة في الدرجات العلى، ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«من قال الحمد لله كما هو أهله» شغل كتاب السماء فيقولون:

«اللهم إنا لا نعلم الغيب» فيقول الله تعالى: «أكتبوها كما قال عبدى، وعلى ثوابها».

والطرق إلى الله تعالى متعددة ورحمته واسعة، والسييل إلى الجنة سالكة، ذلك بفضل الله عز وجل فألاؤه على عباده متواتره، وأياديه فوق الأيادي، وقد عبد للناس جاده الخلاص، وبصيرهم الصراط المستقيم، والعامل من أتعظ بغيره، وذو الرأى الحصيف من أدرك بعد الغايه، والغيور على نفسه وأمته من أحتاط لهما، واستقام حتى نهايه المدى، وقد يسر الله سبل النجاه للعباد، فلا يعجب ممن نجا كيف نجا، بل يعجب ممن هلك كيف هلك، والعياذ بالله.

قيل للإمام زين العابدين عليه السلام: إن الحسن البصرى يقول: ليس

العجب ممن هلك كيف هلك، وإنما العجب ممن نجا كيف نجا.

فقال الإمام زين العابدين عليه السلام: أما أنا فأقول: ليس العجب ممن نجا كيف نجا، وإنما العجب ممن هلك كيف هلك مع رحمه الله التي وسعت كل شيء».

ومن بدائع الإشارات الروحية ذلك النقاء والصفاء والإصحاح بالمناخ العقلى الى الإلهيات المطلقة، والحياء الفارحه فى عوالم المناجاه الابتهاال لله عز وجل.

وكان الإمام زين العابدين بطل هذا المنحى وفارسه المجرب، شأنه بذلك شأن جده أمير المؤمنين عليه السلام والأئمه الطاهرين.

قال - وهو يناجى ربه - بعباره موجزه مؤثره متألقه:

فكيف لى بتحصيل الشكر وشكرى إياك يفتقر الى شكر، وشكرى إياك يفتقر الى شكر، فكلما قلت: «لك الحمد وجب على لذلك أن أقول: لك الحمد»، وهذا التوجه العالى فى المناجاه يطأطئ أمامه الفكر الروحى، إذ يرى الإمام أن الاقتدار على الشكر والنطق به يفتقر الى شكر لأنه من التوفيق الملازم لذلك الشكر، فكلما قال: الحمد لله، كان ذلك مؤشراً أن يحمد الله عليه مجدداً».

هذه الإشارات البارعه يعطى لها حفيده الإمام جعفر الصادق عليه السلام لوناً آخر، وذائقه معرفيه جديده، تعنى بالذات الإلهيه المقدسه التى لا تدرك ولا تحس، ولا يضارعها شيء، فروى أنه حمد الله تعالى بالقول:

«الحمد لله الذى لا- يحس، ولا- يجس، ولا- يمس، ولا يدرك بالحواس الخمس، ولا يقع عليه الوهم، ولا تصفه الألسن، وكل شىء حسته الحواس، أو لمستته الأيدى فهو مخلوق...».

والله عز وجل هو الخالق، فلا يشبهه شىء، ولا تدركه الأبصار والأوهام.

وقد وصف أمير المؤمنين أخاً له فى الله فأكد على جانبه بالإنايه والإخبارات، ومسالك التقوى فقال:

«قد كان لى فيما مضى أخ فى الله، وكان يعظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه، وكان خارجاً عن سلطان بطنه، فلا يشتهى ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد، وكان لا يلوم أحداً حتى لا يجد العذر فى مقله، وكان لا يشكو وجعاً إلا عند برئه، وكان يفعل ما يقول، ولا يقول ما لا يفعل، وكان إن غلب فى الكلام لم يغلب فى السكوت، وكان على أن يسمع أحرص منه على أن يتكلم وكان إذا بدهه أمران؛ نظر أيهما أقرب الى التقوى فخالقه».

فعلیکم بهذا الحلائق فألزموها، وتنافسوا فيها، فإن لم تستطيعوا فأعلموا أن أخذ القليل خير من ترك الكثير».

وإذا حلت الهدايه قلباً نشطت للعباده الأعضاء

والأصل فى ذلك التوبه النصوح والإنايه الصادقه، خشوعاً لله تعالى، والتزاماً بأوامره ونواهيه دون رياء، أو نفاق أو مداجاه، فقد حكى أن سبب توبه بشر الحافى أنه اجتاز مولانا الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام على

دار بشر بيغداد فسمع منها الملاهى، وأصوات الغناء، فخرجت جاريه صاحب المنزل، ويدها قماقه، فرمت بها فى الدرب، فقال الإمام الكاظم عليه السلام: يا جاريه؛ صاحب هذه الدار حر أم عبد، فقالت: بل حر، فقال الإمام: صدقت لو كان عبداً خاف من مولاه!! فلما دخلت قال لها مولاها وهو على مائده السكر: ما أبطأك؟ فقالت: حدثنى رجل بكذا وكذا، فخرج حافياً يعدو وراء الأمام حتى لقيه، فأعتذر منه وبكى لديه استحياءً من عمله، وتاب مما هو عليه توبه نصوحاً.

ومنازل الإخبات متدرجه فى المراتب، والكمال الذاتى عند الأولياء درجات، والأصل فى ذلك إصلاح السرائر، وسلامه العلاقه بين المرء وربّه، فقد نقل عنهم عليهم السلام: «من أصلح سريره أصلح الله علانيته، ومن تحمل لدينه كفاه الله أمر ديناه، ومن أحسن فيما بينه وبين الله، أحسن الله فيما بينه وبين الناس».

وسيماء الظاهر قد تدل على سيماء الباطن، فقد روى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم رأى شاباً يصلى بخشوع وخضوع فى المسجد، وبقراءه صحيحه، فدعاه وأعطاه مبلغاً من المال، ثم قال له: أتعرف لماذا أعطيتك هذا المال؟ فقال الشاب: لقرابتي منك من جهه أمك!! فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا، ولكن لحسن صلاتك، وصحه قراءتك».

وذلك إنّ العباده لله عز وجل، فقد روى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال فى خطبه له بذى قار:

«أما بعد؛ فإنَّ الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله ليخرج عباده من عباده عباده إلى عبادته».

وذلك أن لا يخاف الإنسان إلا ذنبه، ولا يخشى إلا ربه، وأن يتوكل على الله تعالى في كل الأحوال، مع التواضع وولاء أولياء الله، فقد روى عن الحسن بن جهم، قال:

سألت الإمام الرضا عليه السلام، فقلت:

جعلت فداك؛ ما حدّ التوكل؟ فقال لى:

«أن لا تخف مع الله أحداً».

قلت: ما حد التواضع؟ فقال لى:

«أن تعطى من نفسك ما تحب أن يعطوك مثله».

قلت جعلت فداك؛ أشتهى أن أعلم كيف أنا عندك؟

فقال عليه السلام: أنظر كيف أنا عندك.

فظننى مذ غدا منه الجواب له عين السؤال صدى من صفحه الجبلِ

والحب فى الله، والبغض فى الله يكشف عن حقيقة الإيمان، والإيمان من أسمى مراتب الإنابه، فيروى أن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يحب أبعد الخلق منه فى الله، ويبغض أقرب الخلق منه فى الله».

والمنيب لله عز وجل ينبغى أن يحكم عقله فى مجريات الأمور، وساعات

الليل والنهار بما رواه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«ينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات:

ساعه يناجي فيها ربه.

ساعه يحاسب فيها نفسه.

وساعه يتفكر فيها بصنع الله عز وجل.

وساعه يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب».

إن هذا التقسيم لساعات العاقل فيها من الذائقة الفطرية ما فيها.. فساعه يتمحض للعبادة المثلى فيناجي الله تعالى، فيؤدي الواجبات المفروضة وجوباً، ويتعقبها بالمستحبات. وأخرى يحاسب فيها نفسه فيما كسب وأكتسب، وقال وعمل، وفيما قدّم وأخر، وفيما أخذ وأعطى.

وساعه يتفكر في جميع صنع الله به، وعظيم خلقه للسموات والأرض والبحار، وهو عالم فسيح يطل به على ملكوت الله تعالى، في دقه الصنع وجليل الإيجاد، وتوازن الأشياء، يضاف الى لذلك: العوالم الأرضية في الانبساط والدحو، والجبال والتلال والوهاد والمرتفعات والمنخفضات والشواطئ والموانئ، وما أنبتت الأرض وأخرجت.

ولما كانت طبيعته البشريه جبلت على احتياجاتها المشروعه وفيما أباحه الله لهذا الإنسان، فلا بدّ له من ساعه يخلو فيها لملذاته في غير محرم، والى

ص: ٩٨

حاجته فيما يسدّ به رمقه فيما يطعم ويشرب من طيبات رزق الله تعالى.

وكان مما أوصى به أمير المؤمنين بعض أصحابه ممهداً بين أيديهم سبل الخير ومعالم الطريق ومكارم الأخلاق، مما روى أنه قال:

«أوصيكم بالخشية من الله في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والاكْتساب في الفقر والغنى، وأن تصلوا من قطعكم، وتعفوا عمن ظلمكم، وتعطفوا على من رحمكم، وليكن نظركم عبيراً وصمتكم فكراً، وأقوالكم ذكراً وطبيعتكم السخاء، فإنه لا يدخل الجنة بخيل، ولا يدخل النار سخي».

وللمؤمن المنيب صورته مشرفه في سجل أهل البيت عليهم السلام؛ متمثلة بروح روحاء تحضره عند الإحسان، وتتوارى عنه لدى الإساءة، فهي بين سرور وحزن، وذلك وفوق ذلك ما روى في الكافي للكليني عن محمد بن سنان عن أبي خديجه قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقال لي:

«إن الله تبارك وتعالى أيد المؤمن بروح تحضره في كل وقت يحسن فيه يتقى، وتغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدى، فهي معه تهتز سروراً عند إحسانه وتسيح في الثرى عند إساءته، فتعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقيناً، وتربحوا نفيساً ثميناً، رحم الله امرءاً هم بخير فعله، وهم بشرٌ فارتدع عنه».

وهذه الإفاضة فيها رفق بالإنسان وعطف عليه، وتوجيه له نحو معالي الأمور، واجتناب المساوئ والمكاره.

ولكرامه المؤمن عند الله تعالى أحاديث لأهل البيت تترى، ومنازل مرفوعة تتواصل بالمسير معه حتى قبض روحه براحه واطمئنان، فقد روى الكليني فى الكافى عن سدير الصيرفى قال: قال: قلت لأبى عبد الله (يعنى الإمام الصادق عليه السلام): جعلت فداك يا ابن رسول الله: هل يكره المؤمن على قبض روحه؟.

فقال عليه السلام: «لا والله؛ إنه إذا أتاه ملك الموت ليقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول ملك الموت، يا ولى الله لا تجزع، فو الذى بعث محمداً لأننا أبرّ بك وأشفق عليك من والدٍ رحيم لو حضرك، افتح عينيك فأنظر!! فيتمثل له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام، فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة رفقاؤك، فيفتح عينيه وينظر، فينادى منادٍ من قبل رب العزه، فيقول:

يا أيتها النفس المطمئنة أرجعى الى ربك راضيه مرضيه بالثواب، فأدخلنى فى عبادى يعنى محمداً وأهل بيته وأدخلنى جنتى، فما من شىء أحب إليه من استلال روحه، واللحوق بالمنادى».

وكان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره المقربون يتهافتون على المنية دون الحسين ببصيره نافذه، ويقين ثابت، ونفوس أبيه، منيبين لله عز وجل متكلمين عليه فى السراء والضراء والبلاء، فقد روى الصدوق بسنده عن أبى عماره عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام قال: قلت له: أخبرنى عن

أصحاب الحسين عليه السلام وإقدامهم على الموت؟ فقال عليه السلام:

(إنهم كشف لهم الغطاء فرأوا منازلهم في الجنة فكان الرجل يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها، والى مكانه من الجنة).

أقول إن صحت الروايه فتأويلها أن الإمام الحسين عليه السلام لما عرف من أصحابه صدق العزيمه، والثبات على المبدأ، والصلابه في الحق، والتهافت على الشهاده، والتصميم على نصرته والتضحيه بين يديه بأنفس ما يملكون وذلك أنفسهم، فأوما إليهم - كما في بعض الروايات - بالنظر الى منازلهم الرفيعه في الجنان.

وفي هذا تعرف مدى الإخلاص لقضيه الحسين عليه السلام من قبل أصحابه، ومدى خلوص نياتهم، فوفقوا إلى معرفه مصائرهم، وإراءه درجاتهم، وعلو منازلهم عند الله تعالى.

وقد ورد في الحديث القدسي سمه هؤلاء المحبتين ممن يتقربون الى البارى عز وجل بالنوافل، وإذا بهم أحباب الله تعالى.

جاء في هذا الحديث: «إن عبدى ليتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ولسانه الذى ينطق به، ويده التى يبطش بها، إن دعانى أجبتة، وإن سألنى أعطيتة».

ذكر القاضى التنوخى فى (الفرج بعد الشده) إن أصحاب الأخدود كانوا من المؤمنين الداعين الى الله تعالى، وأن ملكهم، أضرم لهم ناراً، وطرحهم فيها، فأطلع الله على صبرهم، وخلوص نياتهم فى دينه وطاعته، فأمر النار أن

تحرقتهم، فشوهوا فيها قعوداً، وهي تضطرم عليهم ولا تحرقهم، ونجوا منها، وجعل الله دائره السوء على الملك وأهلكته.

والروايه عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام، أخبر عنهم: أن الله بعث رجلاً حبشياً وهم حبشه فكذبوه فقاتلهم فقتلوا أصحابه، وأسروه وأسروا أصحابه، ثم بنوا حيراً فمأواه ناراً ثم جمعوا الناس، فقالوا من كان على ديننا وأمرنا فليعتزل، ومن كان على دين هؤلاء فليرم نفسه في النار معه، فجعل أصحابه يتهافتون في النار، فجاءت امرأه معها صبي لها ابن شهر، فلما هجمت على النار هابت ورقت على أبنها، فناداها الصبي: لا تهابى وإرم بنفسك في النار فإن هذا والله في الله قليل. ورمت بنفسها في النار وصبيها كان ممن تكلم في المهدي.

ذكر ذلك الطبرسي في مجمع البيان لدى تفسيره لسوره البروج، ومن الإنابه المطلقه الاستعداد للموت بما يطيل به الفكر ويوجه إليه النظر، ولذا إستحب للإنسان أن يهيء كفته وأن ينظر فيه، وفي ذلك من العظه والاعتبار ما فيه....

قد روى أن محمد بن عثمان بن سعيد العمري وهو وكيل الناحيه المقدسه - قد حفر لنفسه قبراً وسواه بالساج، ونقش آياته من القرآن، وأسماء الأئمه عليهم السلام على حواشيه، فسئل عن ذلك فقال: للناس أسباب!!

وكان في كل يوم ينزل في قبره، ويقرأ جزءاً من القرآن ثم يصعد، وقبره اليوم في بغداد في شارع باب الكوفه قديماً، وبالقرب من الباب الشرقي حديثاً

ويعرف عند أهل بغداد بالشيخ الخلاني، وعنده الآن مسجد الخلاني وفيه مكتبه عامره أسسها المغفور له السيد العلامة محمد الحيدري المعروف بالسيد محمد الخلاني، لأنه إمام المسجد والمسؤول عن القبر والمكتبه التي تضم عشرات الآلاف من كتب التراث.

وفي ظل الإنابه والتوكل، ما روى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل على شاب يجود بنفسه فقال: كيف تجدك؟ قال: أرجو الله وأخاف ذنوبي!! فقال النبي صلى الله عليه وآله: «الرجاء والخوف لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا بلغه ما يرجو، وأمنه مما يخاف».

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام منصهراً في ذات الله.. إذا توجه في صلاته فلا يشغله تفكير أو التفات عنها إلى شيء آخر، فروى أنه وقع حريق كان فيه زين العابدين عليه السلام وهو في صلاته، فجعلوا يقولون له: يا ابن رسول الله، يا ابن رسول الله: النار النار، فما رفع رأسه من سجوده حتى أطفأت النار.

فقال له بعض خواصه: ما الذي ألهاك عنها؟ فقال: نار الآخرة.

وروى أبو حمزه الثمالي قال:

رأيت علي بن الحسين عليهما السلام يصلي وقد سقط رداؤه عن منكبته، فلم يسوه حتى فرغ من صلاته. فقلت له في ذلك!! فقال: «ويحك أتدري بين يدي من كنت؟ إن العبد لا يقبل منه صلاة إلا ما أقبل فيها» فقلت جعلت فداك، هلكننا إذن!! فقال كلا: إن الله يتم ذلك بالنوافل.

وكان عليه السلام يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل يطوف به على فقراء المدينة يتصدق به عليهم ويقول: «صدقه السر تطفئ غضب الرب» والمؤمن اليوم وأمس وغداً قد يعيش غريباً يعاني من الوحشه ويقاسى آلام الوحده فى حياته هذه، ولكن الله تعالى جعل له من إيمانه أنساً يسكن إليه، فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من مؤمن إلا جعل الله له من إيمانه أنساً يسكن إليه، حتى لو كان على قله جبل لم يستوحش. وعلى العكس من هذا من كانت الدنيا كل همه وأكبر شغله كما نحن عليه اليوم، فسوف يلاقى أمره بالشتات، وحياته بالنكبات، حتى يعود الإنسان الى ضميره فيستيقظ من هذا السبات ويفيق من ذلك الغرور، فتعود الآخرة أكبر همه فتتغير الحال، وقد روى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:

«من أصبح وأمسى والدنيا أكبر همته، جعل الله تعالى الفقر بين عينيه، وشتت أمره، ولم ينل من الدنيا إلا ما قسم له، ومن أصبح وأمسى والآخرة أكبر همه؛ جعل الله تعالى الغنى فى قلبه، وجمع له أمره».

وهذا أمير المؤمنين فيما روى عدى بن حاتم الطائى: أنه نظر إلى أمير المؤمنين وبين يديه: «ماء قراح وكسرات من شعير، وقليل من الملح»، فقال له: يا أمير المؤمنين: تظل نهارك طاوياً مجاهداً وتظل ليلك ساهراً مكابداً، ثم يكون هذا طعامك».

فقال عليه السلام:

عَلَّ النَّفْسَ بِالْقَنُوعِ وَإِلَّا طَلَبْتَ مِنْكَ فَوْقَ مَا يَكْفِيهَا

ص: ١٠٤

والمخبتون إلى الله تعالى حقاً هم الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض «رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ۗ» .

«ربنا ما خلقت هذا باطلاً..» تمشياً مع دعوته القرآن للتفكير في آيات الله، والتبصر ببديع صنعته، والتدبر بعجيب آياته.. وهو ما يشغل حيزاً متميزاً من القرآن العظيم وقد نهض الموضوع بعده رسائل جامعیه قيمه، وشذرات تفسيریه رائعه.

وقد نبه أمير المؤمنين عليه السلام إلى عظمه ذلك، وأضاف إليها تفرع الألسن واللغات، وعوالم الشجر والنبات، واختلاف الليل والنهار، استدلالاً منه على الصانع الحكيم، وشجراً لدعاوى الإنكار والإلحاد فقال عليه السلام:

«فأنظر إلى الشمس والقمر، والنبات والشجر، والماء والحجر، واختلاف هذا الليل والنهار، وتفجر هذه البحار وكثره هذه الجبال، وطول هذه الظلال، وتفرق هذه اللغات والألسن، المختلفات، فالويل لمن جحد المقدر وأنكر المدبر!!»

زعموا أنهم كالنبات ما لهم زراع، ولا- لاختلاف صورهم صانع، وهل يكون بناء من غير بانٍ أو جنايه من غير جانٍ» «ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۗ» .

ومن الإنابة إلى الله تعالى: الابتعاد عن الظالمين وأعدائهم، والاحتراز من كيدهم وإغرائهم، والإيغال بالنفس عنهم قدر المستطاع، وهذا ما فعله أئمتنا عليهم السلام في سنتهم القولية والفعلية معاً.

يروى أن المنصور الدوانيقي كتب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

لِمَ لا تغشانا كما يغشانا الناس؟ فأجابه الإمام:

«ليس لنا من الدنيا ما نخافك عليه، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمه فنهنيك بها، ولا نعدّها نغمه فنعزيك بها».

فكتب المنصور إلى الإمام تصحبنا لتصححنا!!

فكتب إليه الإمام الصادق عليه السلام: «من يطلب الدنيا لا ينصحك، ومن يطلب الآخرة لا يصحبك».

ص: ١٠٤

الحياه الدنيا خلق لها الإنسان لإعمارها بالباقيات الصالحات، «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝١» .

وأباح الله طيباتها للناس، ولم يحرم زيتها، وأراد من الإنسان المتكامل: أداء الواجبات، والامتناع عن المحرمات، والتورع عند الشبهات، فإذا تفرغ الإنسان لذلك قام بحقوق الدنيا والآخرة، وكان من الذين قال الله بحقهم:

«تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٢» .

أما الطغاه وأرباب الدنيا من الظلمه والفجره، فقد رضوا من الدنيا بالانتفاخ وعسف الناس، والتسلط على الأموال والأعراض، وانتهاك الحرمات، وقتل الأبرياء، متناسين ذلك اليوم الذى ينتصف فيه للمظلوم من

الظالم، يرونه بعيداً، ويراه الله تعالى قريباً، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«يقول الله تعالى: أشد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرًا غيري».

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم».

وقال عليه السلام أيضاً: «إياك ودعوه المظلوم، فإنما يسأل الله حقه».

ولو أن الناس ابتعدوا عن الظالمين، وولايه أعمالهم، لما استطاع أولئك أن ينفذوا مخططهم الإجرامى بحق الناس، ولكنهم أعانواهم ونصروهم، وعملوا فى دواوينهم، ولكن العاقبة للمتقين، فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الظلمة؟ وأعوان الظلمة، وأشيعا الظلمة، حتى من برى لهم قلماً، أو لاق لهم دوا، فيجمعون فى تابوت من حديد ثم يرمى بهم فى نار جهنم».

وحكى أن الحجاج حبس رجلاً ظلماً، وكل أحكامه ظالمه، فكتب إليه رقعته فيها: «قد مضى من بؤسنا أيام، ومن نعيمك أيام، والموعود القيامة والسجن جهنم، والحاكم لا يحتاج إلى بينه:

إلى ديان يوم الدين نمضى وعند الله تجتمع الخصوم

وتوجه الناس فى القاهره إلى السيده نفيسه بنت الحسن بن أبى الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام فأوقفت حاكم القاهره فى الطريق فناولته رقعته فيها:

«ملكتم فأسرتهم، وقدتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، ردت إليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذه غير مخطئه، لاسيما من قلوب وجبتموها، وأجساد عريتموها؛ فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم فإننا صابرون، وجوروا فإننا إلى الله مستجيرون، وأظلموا فإننا إلى الله متظلمون»، «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۝۱» .

قال الراوى فعدل الحاكم لوقته.

وقليل المتعظ، لأن الناس أبناء الدنيا ولها يعملون، وقد قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: ما أكثر حب الناس للدنيا؟. فيروى أنه أجاب: «هم أبناؤها، ولا يلام الإنسان على حب أمه».

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن قال: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضه؛ ما سقى كافراً منها شربه ماء».

ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدنيا، وكشف القناع عن حقيقتها، فيروى أنه قال: «الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له، وعليها يعادى من لا علم له، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له».

وعن الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام أن قال:

«الدنيا سبات والآخرة يقظته، ونحن بينهما أضغاث» وشأن الدنيا أنها متقلبه بأهلها من حال إلى حال، فإن بقاء الحال من المحال، وقد ورد في الحديث الشريف:

«إذا أقبلت الدنيا على الرجل أعطته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبتة محاسن نفسه» ولهذا أعتبر سيدنا الحسن بن علي عليهما السلام أن أعظم الناس قدراً، من لم يعر للدنيا همه ووكره، فقد روى أنه سئل: من أعظم الناس قدراً؟ فقال عليه السلام: «من لم يبال بالدنيا بيد من كانت» وهذه منزلة الصديقين والأبرار والملتقين.

وقد مثل الإمام جعفر الصادق عليه السلام الدنيا بما روى أنه قال:

«مثل الدنيا كمثل ماء البحر، كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا، حتى يقتله».

وفى هذا الضوء يتحفنا الأمام جعفر الصادق عليه السلام بالقول «عجبت لمن يبخل بالدنيا وهي مقبل عليه، أو يبخل بها وهي مدبره عنه، فلا الإنفاق مع الإقبال يغره، ولا الإمساك مع الإدبار ينفعه» وقد نهى في الحديث الشريف ترك الدين للدنيا، فإن ذلك يفتح باباً فيه من الضرر العظيم، وجاء في الحديث «لا يترك الناس شيئاً من دينهم لاستصلاح دنياهم، إلا فتح الله عليهم ما هو أضر منه».

ومن نفائس الأقوال عملياً ما روى عن الإمام محمد الباقر عليه السلام في المقارنه بين الدين والدنيا، قال:

«إن الله يعطى الدنيا من يحب ويبغض، ولا يعطى دينه إلا من يحب» أما المؤمن فيتمتع من الدنيا كما يتمتع غيره وهو على دينه، وقد ورد عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام يوصى بالعمل للدين والدنيا، ليجمع بين الأمرين، فلا يترك هذه لهذه، بل يأخذ من هذه وهذه.

يروى أنه عليه السلام قال: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» نفعنا الله بهذه الحكمة الفريده ومنّ علينا بحسن العاقبه.

والحق أن أمير المؤمنين عليه السلام من خلال مواعظه الاعتباريه صوّر حقيقه الدنيا وحقيقه الآخره كما هما عليه، فعنه أنه قال: أيها الناس إنما الدنيا دار مجاز، والآخره دار قرار، فخذوا من دار ممركم لقراركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم بأسراركم وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتكم.

وقد طبّق ذلك أمير المؤمنين عليه السلام عملياً فقد دخل عليه سويد بن غفله، فوجده جالساً على حصير فقال لأمير المؤمنين عليه السلام:

«بيدك المال ولست أرى في بيتك ما يحتاج إليه البيت!!».

هذا والإمام قد بوع في الخلافه، فقال عليه السلام:

«يا ابن غفله أن البيت لا يتأث في دار النقله، ولنا دار نقلنا إليها خير

متاعنا، وإنا عن قليل إليها صائرون».

والإمام عليه السلام فى هذا السياق يوصى ولده الإمام الحسن عليه السلام وذلك لتعليمنا وإنقاذنا وإرشادنا، فالإمام الحسن عليه السلام إمام معصوم مفترض الطاعة، والكلام جارٍ بـ (إياك أعنى وأسمعى يا جاره) قال له أمير المؤمنين عليه السلام: «إنما يستدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على السن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك العمل الصالح».

ومن كلام أمير المؤمنين يجرى على سبيل الوعظ والإرشاد والتوجه لصالح الأعمال (وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم فلاآخره خلقتهم وللدنيا حبستم).

إن المرء إذا هلكت؛ قالت الملائكة ما قدم، وقالت الناس: ما خلف؟ فله آباؤكم قدموا بعضاً يكن لكم، ولا تتركوا كلاً يكن عليكم، فإنما مثل الدنيا مثل السم يأكله من لا يعرفه».

ولهذا وذلك فقد أمر أمير المؤمنين عليه السلام المسلمين بمحاسبه أنفسهم قبل الحساب، والتمهيد لها قبل العذاب، والتزود للرحله الكبرى قبل الإزعاج». قال عليه السلام: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومهدوا لها قبل أن تعذبوا، وتزودوا للرحيل قبل أن ترعجوا، فإنما هو موقف عدل، وقضاء حق، ولقد أبلغ فى الاعتذار من تقدم بالإنذار».

وكان ديدن أمير المؤمنين متابعه الآخرين، وتحذيرهم من مزالق الدنيا، وترغيبهم بحياه الآخرة، فقد قال لرجل سأله أن يعظه: «لا تكن ممن يرجو

الآخرة بلا عمل، ويرجو التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها بعمل الراغبين، إن أعطى منها لم يشبع، وإن منع لم يقنع، ينهى ولا ينتهى، ويأمر بما لا يأتي..».

وقد أعطى أمير المؤمنين لمصائب الدنيا أجرها عند الله تعالى بالتعبير عن ذلك بما روى عنه أنه قال:

«مراره الدنيا حلاوه الآخرة وحلاوه الدنيا مراره الآخرة».

وقد رغب الإمام في الزهد بالدنيا وأوصى بعدم البذخ والسرف فيها، وحب للناس القناعه دون الاستكثار والتقشف دون الاستثثار، فقد روى أن شريحاً القاضى أشتري داراً، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، فقال أمير المؤمنين له:

«لو أنك حين أردت شراء الدار أو أحد أراد شراء دار، وجاءني كنت أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا ما أشتري عبد ذليل، من ميت قد أزعج بالرحيل، أشتري داراً من دور الآفات، من الجانب الفانى من عسكر الهالكين ومجمع الغافلين، يجمع هذه الدار حدود أربعة:

فالأول ينتهى إلى نهش الآفات، والثانى ينتهى إلى عظيم المصيبات، والثالث ينتهى إلى كثره الغفلات، والرابع ينتهى إلى الشيطان المغوى، والهوى الموقع فى التهلكات، وإليه يشرع باب هذه الدار التى أشتراها هذا المزعوج بالأجل، من هذا المغرور بالأمل، فما أدرك مشتري هذه الدار فعلى مبلبل الأجسام وقاصم الجبابره العظام، ثم تبع وحمير، وكسرى، وقيصر، ما أوضح

الحق لذى عينين، إن الرحيل هو احد اليومين».

وفى هذا الضوء من الاعتبار نجد الإمام الصادق عليه السلام يشير إلى مخافتين يتعايشهما المؤمن الحق، فروى أنه قال:

«ألا- إن المؤمن يعمل بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدرى ما لله صانع فيه، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته».

وقد جاء فى المأثور «أن الموعظه إذا خرجت فى القلب دخلت إلى القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الأذان».

وبعد هذا الموجز لحياتنا الدنيا نتوجه بالحديث عن الحياه الأخرى بشىء من الاختصار النافع إن شاء الله.

للآخره حياه نجعل تفصيلاتها بحدود، ونعرف بعضها بحدود أخرى وما تحدث به القران يكشف عن طبقات الناس فى الآخره وهم: السابقون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، وعن الجنه والنار والحشر والنشر، وقيام الساعة، وبعثه ما فى القبور، وتحصيل ما فى الصدور، وحالات الموت وانتزاع الأرواح، وأهل الجنه، وأهل النار، ورجال الأعراف.

تلك عوالم حيه تحدث عن القران العظيم بتفصيل متسع وكتب عن ذلك رجيل من العلماء والمفكرين.

ص: ١١٤

وهذا كله من عالم الغيب الذى صدع به القرآن فأمننا به، ولا بدلنا من المرور به شئنا أو أئينا، وفي هذا الضوء نقف على بعض المآثورات فيما يتعلق بالموضوع على سبيل النموذج ليس غير، فنتحدث أولاً عن بعض روايات البرزخ والقيامة، ونتبع ذلك بأحداث عالم الغيب أنباءً وإخباراً، و تعلماً من ذى علم، وهو رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم).

١ - روى عن النبي صلوات الله عليه وعلى آله إنه قال:

«كما تنامون تموتون، وكما تستيقظون تبعثون».

وهذا التشبيه البليغ قد طبق المفصل فى تصوير حدوث الموت وكيفيه البعث والنشور، فكما ينام الإنسان يموت، وكما يستيقظ يبعث، وذلك هو الاستيقاظ الحقيقى.

قال أبو الحسن التهامى:

فالعيشُ نومٌ والمنيةُ يقظةٌ والمرءُ بينهما خيالٌ سارى

وفيما أورده الإمام محمد الباقر عليه السلام عن قول لقمان لابنه، غنيه عن التمثيل والاستطراد، قال لقمان لابنه:

«يا بنى إن تك فى شك من الموت فأدفع عن نفسك النوم، وإن تك فى شك من البعث فادفع عن نفسك الانتباه».

٢ - روى عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال:

«أوحش ما يكون هذا الخلق فى ثلاثه مواطن: يوم يولد ويخرج من بطن

ص: ١١٥

أمه فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعابن الآخرة، ويوم يبعث فيرى إحكاماً لم يرها في دار الدنيا».

وهذه المواطن الثلاثة تمثل عوالم مختلفة في طبيعه ظواهرها، فيوم يولد الإنسان يكون إيداناً بانتهاه حياه الأرحام والأطلال على هذا العالم الفسيح، ولكن المفارقة أن يولد باكياً والناس في سرور.

قال الشاعر:

ولدتك أمك يا ابن آدم باكياً والناس حولك يضحكون سرورا

فارغب بنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً سرورا

وهذا الميلاد لا بد أن ينتهي إلى الموت قطعاً كما سنى.

قال الشاعر:

يا أيها المعدود أنفاسه لا بد يوماً أن يتم العدد

لا بد من يوم بلا ليله وليله تأتي بلا يوم غد

فينظر الإنسان حينئذ إلى عوالم الآخرة، وهو آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، وكان البعث والنشور هو الموطن الثالث العجيب، فيرى من المشاهد والإحكام والظواهر الجديدة مالا عهد له به.

ويتحدث الإمام زين العابدين عليه السلام عن اللحظات الصعبة، والأوقات الحرجه على الإنسان فيقول:

«ثلاث ساعات من أصعب الساعات على ابن ادم:

الساعة التي يعابن فيها ملك الموت. والساعة التي يقوم فيها من قبره.

ص: ١١٤

والساعة التي يقف فيها بين يدي الله عز وجل، فأما إلى الجنة، وإما إلى النار».

وهذا ما هو جار على العباد لا محاله، فالساعة التي ينظر فيها ملك الموت آخر عهده في الدنيا، والساعة التي يقوم فيها من قبره تعنى النشور ولا يعلم الإنسان ما يلاقى، والساعة التي يقف فيها بين يدي الله تعالى، تكون الفاصله في المصير، إذ يعطى كتابه؛ فأما إلى جنه وإما إلى نار.

٣ - ولحظات الموت لحظات حاسمه كثير من أبعادها، بل في كل إبعادها، فالمرء في سكرات موته يشاهد أموراً لم يألّفها من ذي قبل، كلها جديده عليه، مذهله له، فأستخرج الروح من اشق العمليات عليه، ومعاينه الملائكه وهم يتولون ذلك أمر غريب، والانتقال من عالم الدنيا إلى الآخرة درس جديد يتلقاه بمراره إلا من رحم الله، وفراق الأهل والأحبه مما يقضّ المضجع، والنزع الأخير مما يكشف عن هول المطلع، ومع هذه الشدائد، وتزاحم تلك المشاهد، تبدو بعض الأحداث في عالم مثالي متحرك يعبر عما خلف وترك واثر وعمل، كل ذلك يلاحقه ملاحقه الظل للشاخص، وهذا ما يكشفه أمير المؤمنين (عليه السلام) بما روى انه قال:

«إن العبد إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، مثّل له ماله وولده وعمله!!

فيلتفت إلى ماله ويقول: والله إنى كنت عليك حريصاً شحيحاً فمالى عندك؟.

فيقول: خذ منى كفنك!!

فيلتفت إلى ولده ويقول: والله إنى كنت محبباً، وانى كنت عليكم محامياً، فمالى عندكم؟.

فيقولون: نؤديك إلى حفرتك فنواريك فيها!!

فيلتفت إلى عمله ويقول: والله إنى كنت فيك زاهداً، وانك كنت على لثقيلاً، فما لى عندك؟.

فيقول: إنا قرينك فى قبرك، ويوم نشرك، حتى أعرض أنا وأنت على ربك».

٤ - ومشاهد يوم القيامة، وهو يوم البعث والنشور، والوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى، مشاهد عديده، ومواقف مشيره، ولحظات حاسمه، ومنازل خطيره، وهو يوم التغابن والحسره، والندامه، وتتعدد هذه المشاهد بتعدد الحالات بين العبد وربّه، ومن ذلك تواتر العفو الإلهي، وشمول المذنبين بالرحمه، فلا ييأس العبد ولا يتراجع ظنه فالظن الحسن بالله عز وجل قد ينجي من الكوارث يوم القيامة، والطف الإلهي فوق كل الاعتبارات الأخرى، والله عز وجل: وهاب، منأح، متفضل، كريم، حلیم، رءوف، رحيم.

وهي فى هذا الصدد روايه عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال:

«إذا كان يوم القيامة جىء بعد فيؤمر به إلى النار فيلتفت فيقول الله سبحانه: ردوه، ثم يقول له: عبدى لم التفت؟ فيقول:

ص: ١١٨

«يا ربّ ما كان بك ظنى هذا؟»

فيقول الله جلّ جلاله: فما كان ظنك؟

فيقول يا ربّ ظنى بك أن تغفر لى، وتسكننى الجنه برحمتك!! فيقول الله جلّ جلاله: يا ملائكتى وعزتى وجلالى، وآلائى
وبلائى، وارتفاعى فى مكانى، ما ظن بى ساعه من خير قط!!

ولو ظن بى ساعه من خير ما روعته فى النار، أجزوا كذبه وأدخلوه الجنه».

وإذا صحت هذه الروايه فإنها تدل دلالة إيحائيه على مدى رحمه الله تعالى التى وسعت كل شىء وتتحدث عن آلائه التى يطمح
بها كل أحد، وتجاهر بأفضاله المتواتره التى تشمل حتى أهل المعاصى.

وفى قبال ذلك، لا يجد الإنسان حسنات قد عملها، فى صحيفه الأعمال، ويجد ذلك فى ميزان غيره، وهذا من أفجع صنوف
الندامه، آنذاك، فقد روى عن النبى أنه قال:

«يؤتى بأحدكم يوم القيامة، فيوقف بين يدى الله تعالى، فيدفع إليه كتابه فلا يرى فيه حسنات، فيقول إلهى ليس هذا كتابى!!»

فأنا لا أرى فيه طاعتى فيقول له الرب: «إن ربك لا يضل ولا ينسى ذهب عملك باغتيال الناس».

ثم يؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه، فيرى فيه طاعات كثيره لم يعملها،

فيقول: إلهى ما هذا كتابى، فإنى ما عملت هذه الطاعات، فيقول له (إن فلاناً اغتابك، فرفعت حسناته إليك).

٥- وفي عرصات يوم القيامة تبدو غرائب الصور، وتلوح مغيبات الأحداث، فالكتاب لا يغادر صغيره ولا كبيره إلا أحصاها، والنداء قائم بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، كما فى قوله تعالى «وَ نَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ١» .

والروايات تنصُّ أن المؤذن بهذا النداء هو أمير المؤمنين عليه السلام.

ويأتى نداء أهل النار باهتاً ذليلاً صاغراً بعد تلك الجبروت، قال الله تعالى:

«وَ نَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ٢» .

وإذ قارنا بين هذا وبين قوله تعالى:

«وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ٣» .

والقسم إنما يكون على المتأكد من القضايا، واليمين على ذلك باعتبار اعتقاده من المسلمات.. وإذا نظرنا الى هذا وبين ما أحدث الطواغيت فى الدنيا علمنا مدى المفارقة، ففرعون الذى قال أنا ربكم الأعلى، وإذا به ذليل مستجد لشربه ماء ولقمه طعام. قال تعالى:

«وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١» .

وهذا الحساب هو ما تحدث عنه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأنه قال:

«والذى نفسى بيده لا تزل قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل الله عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن جسده فيم أبلاه، وعن ماله مم أكتسبه وفيم أنفقه، وعن حبا أهل البيت».

والذى يطيب نفس المؤمن ما ورد فى الحديث الشريف «ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفره ما خطرت على قلب أحد». وعوالم الحساب عسيره شديده إلا أن تتداركه رحمه الله تعالى وشفاعه نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين».

ولعل ما رواه الإمام على عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن قال:

ص: ١٢١

«إذا كان يوم القيامة ولينا حساب شيعتنا، فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله عز وجل حكمتنا فيها فأجبنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبين الناس استوهبنا فوهب لنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كُنَّا أحق من عفا وصفح»

٦ - وقد تضافرت الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن المرء لا ينفعه بعد وفاته: إلا ولد صالح يستغفر له، أو علم ينتفع به، أو صدقه جاربه، وقد عبر الإمام جعفر الصادق عليه السلام بقوله: «خير ما يخلفه الرجل من بعده ثلاثه: ولد بار يستغفر له، وسنه يقتدى به فيها، وصدقه تجرى من بعده» وإذا توافرت هذه الأشياء الثلاثه، كانت بها سعادة المرء غامره، وهو في قبره وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

٧ - وورد في حياه البرزخ، وهى الحياه الفاصله بين الدنيا وبين يوم القيامة: بنص قوله تعالى «وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» (١).

ويجرى فيها عوالم القبر فى إيقاظ للمرء، وسؤال من نوع ما، وورد أن القبر إما روضه من رياض الجنه، أو حفرة من حفر النيران، ويؤيده ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مرّ على قبر وصاحبه يعذب، فاخذ جريده فغرسها الى القبر، وقال عسى أن يرفّه عنه ما دامت رطبه».

ولا غرابه فى هذا فهناك نوع من الحياه فى القبر، والبرزخ حد فاصل بين الدنيا والآخرة، يودع به المرء فى الدنيا، ويستقبل به الآخرة، وهنالك من

الآثار ما يدل على ذلك، فقد روى الواقدي:

وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر بالقلب أن تغور، ثم أمر بالقتلى فطرحوا فيها كلهم إلا أمية بن خلف، ثم وقف على أهل القلب فناداهم رجلاً رجلاً: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً.

كذبتموني بئس القوم كنتم لنيكم، وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس.

فقالوا: يا رسول الله أتناذى قوماً قد ماتوا؟.

فقال: «لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حق».

وفى روايه أخرى أنه قال: «ما أنتم بأسمع منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني».

وفى هذا الضوء نجد أمير المؤمنين عليه السلام وقد أشرف على القبور بظهر الكوفه فقال عليه السلام:

«يا أهل الديار الموحشه والمحال المظلمه، يا أهل التربه، يا أهل الغربه، يا أهل الوحده، يا أهل الوحشه، أنتم لنا فرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق».

أما الدور فقد سكنت، وأما الأزواج فقد نكحت، وأما الأموال فقد قسمت، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم».

ثم ألتفت عليه السلام فقال: أما لو أذن لهم فى الكلام لأخبروكم: «أن

وقد فصلنا القول في حياه البرزخ في كتابنا الموسوم «رحله الإنسان من عالم الذر حتى حياه البرزخ».

وعالم الغيب يتحدث عما سيكون بأذن الله تعالى، والله عز وجل قد يطلع أنبياءه عن الغيب الماضى كما أخبر عن خلق آدم، وطوفان نوح، ونار إبراهيم، ومشاهد موسى، ومعراج عيسى، كما تحدث عن الأحداث المستقبلية بلغه قاطعه كدخول المسجد الحرام آمنين والانتصار ببدر، وغلبه الروم وغلبتهم.. الخ.

وقد يطلع النبي من يشاء على تلك الغيوب، فيكون ذلكَ علماً من ذى علم، علّمه أوليائه، فاضطمت عليهم صدورهم، وهنا نقتصر بالحديث عن الملاحم والإنبيات المستقبلية لغرض النموذج ليستدل بما ذكرنا على ما لم يذكر، وعهده هذه المشاهد على من رواها، وما علينا إلا اختيار النقل، علماً بأن بعضها أحداث وقعت على سبيل الكرامه.

١ - ذكر بن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه عن إسماعيل بن رجا أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يخطب ويذكر الملاحم فقام أعشى باهله، وهو يومئذ غلام حدث إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين: ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافه!!، فقال عليه السلام: إن كنت آثماً فيما قلت فرماك الله بغلام ثقيف ثم سكت. فقالوا: ومن غلام ثقيف يا أمير

المؤمنين؟ قال: غلام يملك بلدتكم هذه، لا يترك حرمه إلا أنتهكها.. يضرب عنق هذا الغلام...

فما مرت الأيام حتى خرج الأعشى مع عبد الرحمان بن الأشعث، فقبض عليه الحجاج، وضرب عنقه صبراً.

٢ - وفي إرشاد الشيخ المفيد: روى عن أبي سوره احد مشايخ الزيديه، أنه كان فى الحائر الحسينى ليله عرفه، ثم خرج الى الكوفه، ورافقه رجل سأل عن حاله، فأعلمه أنه فى ضيق، ولا شىء معه وفى يديه، فقال: إذا دخلت الكوفه فأتى أبا طاهر الزرارى، فأقرع عليه بابه فإنه سيخرج إليك وفى يديه دم الأضحيه فل له: يقال لك أعط هذا الرجل الصره الدنانير التى عند رجل السرير ثم فارقه ومضى لوجهه، فدخل أبو سوره الكوفه، فقصد أبا طاهر الزرارى، فخرج إليه وفى يده دم الأضحيه، فبلغه ما قيل له، فقال سمعاً وطاعه، ودخل فأخرج إليه الصره فسلمها إليه، فأخذها وأنصرف، أقول: يقتضى أن يكون ذلك الرجل هو الحجه عجل الله فرجه.

٣ - روى أن المأمون حبس أبا الصلت الهروى بعد وفاه الإمام الرضا عليه السلام وكان أبو الصلت وأسمه عبد السلام بن سالم الهروى من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام وهو ثقه صحيح الحديث كما قال النجاشى.. وقد ضاق صدره بالحبس، فدعا الله بمحمد وآل محمد فدخل عليه أبو جعفر الإمام محمد الجواد عليه السلام فضرب يده الى القيود ففكها، وأخذ بيده وأخرجه من الدار، والحرسه والغلمه يرونه، ولم يستطيعوا أن يكلموه، فخرج

من باب الدار، فقال له الإمام: إمض في ودائع الله، فأنتك لن تصل إليه ولا يصل إليك أبداً، فكان ذلك.

وهذا من دلائل الكرامات العليا التي وقعت لمولانا الإمام محمد الجواد عليه السلام وتحققت على يديه، ولا غرابه في ذلك، فالإمام مستجاب الدعوه إذا دعا، وتجري على يديه الكرامات الإلهية، التي ترتفع إلى مستوى الإعجاز، وله أمثال ذلك.

وفي روايه الخرائج والجرائح، أنه لما صار خارج السجن، قال له الإمام محمد الجواد عليه السلام: أي البلاد تريد؟ قلت: منزلي بهرات، قال: أرخ رداءك على وجهك، وأخذ بيدي، فظننت أنه حولني عن يمينه إلى يسرته!! ثم قال لي الإمام محمد الجواد - عليه السلام - أكشف فكشفته فلم أره، فإذا أنا على باب منزلي، فدخلته فلم ألتق مع المأمون، ولا مع أحد أصحابه إلى هذه الغايه!!

وتلك كرامه أخرى وما أوسع هذا الباب، ولكننا نتحاشاه حذر الرمي بالغلو، ولكننا لا نغالي، بل نقول إنهم عباد مكرمون، علمهم الله من لدنه علماً، ولا يسبقونه بالقول.

٤ - روى الصدوق عن ابن مهران، قال: كان بالكوفه رجل يكنى بأبي جعفر حسن المعامله، فإذا جاءه احد العلويين يقول لغلामه: هذا ما اخذ علي عليه السلام وما زال على هذا حتى افتقر، فبينما هو جالس على باب داره فمر به رجل وقال: ما فعل غريمك على بن أبي طالب؟ فأعتم لذلك غماً شديداً.

فلما جنّ عليه الليل رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فى المنام والحسن والحسين عليه السلام يمشيان أمامه، فقال لهما النبي: ما فعل أبوكما؟ فأجابه على من ورائه: ها أنا ذا يا رسول الله فقال: لم لا تدفع إلى هذا الرجل حقه، فقال بلى يا رسول الله قد جئته به، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ادفعه إليه، فأعطاه كيساً من صوف أبيض، وقال له: «هذا حقك فخذ، ولا تمنع من جاءك من ولدى شيئاً، فإنه لا فقر عليك بعد هذا».

٥ - وعن مجموعته للشيخ الثانى بخط الشيخ محمد الجباعتى مسنداً إلى الأصبع بن بنانه، قال: صحبت مولاي أمير المؤمنين عليه السلام عند وروده إلى صفين، وقد وقف على تل يقال له: «تل عرير» ثم وقف إلى أجمه بين التل وبابل وقال: مدينه وأى مدينه؟ فقلت له يا مولاي: أراك تذكر مدينه؟ أكان هنا مدينه وانمحت آثارها؟، فقال: لا ولكن ستكون مدينه يقال لها «الحله السيفيه» يمدنها رجل من بنى أسد، يظهر بها قوم أخيار، لو أقسم أحدهم على الله لأبر قسمه.

أقول: صدق مولانا أمير المؤمنين عليه السلام فقد بنى الحله سيف الدوله بن صدقه بن منصور بن دبيس الأسدى فى محرم عام ١٤٩٥ هـ -.

٦ - روى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال على منبر مسجد الكوفه: «سلونى قبل أن تفقدونى». فقال إليه رجل أسمه «نمير» وهو أبو الحصين الذى خرج لحرب الحسين عليه السلام فقال له يا أمير المؤمنين: كم شعره فى راسى؟. فقال عليه السلام: وما علامه الصدق لو أخبرتك؟ كيف تعد

الشعر؟ ولكن أخبرك أن تحت كل شعره في راسك شيطاناً يلعنك، وعلامة ذلك أن ولدك سيحمل الراية، ويخرج لقتال ولدى الحسين».

فما مضت الأيام حتى تحقق صدق قول أمير المؤمنين عليه السلام وأخباره وخرج الحصين بن نمير إلى كربلاء، وهو على شرطه ابن زياد، ثم خرج لقتال عبد الله بن الزبير في مكة، ورمى الكعبه بالمنجنيق، ثم قتل - لعنه الله - في ثوره التوابين.

٧ - روى القاضى بن يزيد الهمدانى قال:

كنت فى جامع الكوفه فى ليله ممطره فمدق الباب، وإذا جماعه معهم جنازه فأدخلوها فى الصفه تجاه باب مسلم بن عقيل رضى الله عنه ثم نام أحدهم فرأى قائلاً- يقول: أما تبصر حتى ننظر ألنا معه حساب؟ فقال له صاحبه: لنا معه حساب. فينبغى أن نأخذه عاجلاً- قبل أن يتعدى الرصافه، فلا يبقى لنا معه طريق، فأتبعه الرجل وحكى لأصحابه، وقال: خذوه عاجلاً، فأخذوه ومضوا فى الحال للمشهد المقدس فدفن، قال الشاعر:

إذا متُّ فادفنى إلى جنب حيدرِ أبى شُبْرٍ أكرم به وشبيرِ

فعار على عار الحمى وهو فى الحمى إذا ضل فى البيدا عقال بعير

ولست أخاف النار عند جواره ولا أتقى من منكر ونكير

٨ - ومن أنباء آخر الزمان، ما تتضمنه عشرات الروايات، وأغلبها مما نشاهد اليوم، ولقد عرضنا لأغلبها فى كتابنا: «الإمام المهدي المنتظر / نصب عينيك كأنك تراه».

ص: ١٢٨

ومنها ما روى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «يأتى على الناس زمان يرى ويسمع من فى المشرق من فى المغرب، وإن العرب تخرج من سلطان الأجانب، وتملك نفسها بنفسها، ولا يبقى صنف من الناس إلا ويحكم الناس..».

٩ - ومن عجائب الآثار ما روى عن هشام بن الحكم؛ قال: كان رجل من ملوك أهل الجبل يأتى الإمام الصادق عليه السلام فى حجه كل سنة، فينزل أبو عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم فى دار من دوره فى المدينة، وطال حجه ونزوله، فأعطى أبا عبد الله عليه السلام عشرة آلاف درهم، يشتري له داراً، وخرج الى الحج، ولما أنصرف، قال للإمام: جعلت فداك، اشتريت لى داراً، قال: نعم، وأتى بصكك فيه: بسم الله الرحمن الرحيم «هذا ما أشتري جعفر بن محمد عليه السلام لفلان بن فلان الجبلى، أشتري له داراً فى الفردوس، حدّها الأول رسول الله صلى الله عليه وآله، والحد الثانى أمير المؤمنين عليه السلام والحد الثالث الحسن بن على عليه السلام، والحد الرابع الحسين بن على عليه السلام».

فلما قرأ الرجل ذلك فقال: قد رضيت جعلنى الله فداك!! فقال أبو عبد الله عليه السلام إنى أخذت ذلك المال ففرقتة فى ولد الحسن والحسين عليهما السلام، وأرجو أن يتقبل ذلك، ويشيئك به الجنة».

قال: فأنصرف الرجل إلى منزله والصك معه، ثم اعتلّ عله الموت فلما حضرته الوفاه جمع أهله، وحلفهم أن يجعلوا الصك معه، ففعلوا ذلك، فلما

أصبح القوم غدوا إلى قبره فوجدوا الصك على ظهر القبر مكتوباً عليه: «وفى لى جعفر بن محمد عليه السلام بما قال».

١٠ - روى أن أمير المؤمنين عليه السلام إذا أراد الخلوه بنفسه أتى طرف الغرى، فبينما هو يشرف على النجف. فإذا برجل قد أقبل راكباً ناقته وأمامه جنازه، فسلم على الإمام، فقال له الإمام: من أين؟ قال: من اليمن، فقال الإمام: وما هذه الجنازة التى معك؟ قال: جنازة أبى جئت بها لأدونها فى هذه الأرض قال: لم لم تدفنه بأرضكم؟ قال: هو أوصانى بذلك، وقال لى: إنه يدفن هناك رجلاً- يشفع مثل ربيعه ومضر فقال له: أتعرف ذلك الرجل؟ قال: لا قال: أنا والله ذلك الرجل، أعادها ثلاث مرات، ثم قال له: أدفن فقام ودفنه، ولا- يزال قبره وسط مسجد كبير يقابل مرقد أمير المؤمنين فى النجف الأشرف، ويعرف باسم (الصفاء) فى المصادر وهو مشهور «صافى صفا» وهو مطل عل بحر «النجف» المندرس الآن.

١١ - وفى ضوء ما تقدم نجد الأخبار والنصوص متواتره فى استحباب الدفن فى «وادي السلام» فى النجف الأشرف وقد أكد ذلك الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقد قال له رجل: إن أخى ببغداد، وأخاف أن يموت بها، فقال: لا تبال حيثما مات، أما أنه لا يبقى مؤمن فى شرق الأرض وغربها، إلا حشر الله روحه إلى وادي السلام، فقال الرجل: وأين وادي السلام؟ فقال عليه السلام: ظهر الكوفة، أما أنى كأنى بهم حلق حلق قعود يتحدثون».

الفصل الثاني: المثل الأخلاقيه

اشاره

- ١ - السلوك الإنساني في منظور أخلاقي.
- ٢ - نظرات في العفو والغضب والمغفره.
- ٣ - بر الوالدين وصله الأرحام.
- ٤ - من مساوي الصفات.. الغيبه والحسد والعجب

ص: ١٣١

دأب الإسلام أن يرتفع بالأمة إلى مستوى الحضاره، الإنسانيه المثلى، وأراد لأفرادها سلوكاً رفيعاً، وخلقاً عالياً، تتسنى فيه مراتب الرقى والعزه والكرامه، وقد حشد عدده مواصفات أخلاقيه تقوّم السلوك، وتضئ المسيره في ظلال كثيفه من الآداب العامه التي تفوق حد التصور العقلي من أجل إعداد والأجيال إعداديا كريماً متألقاً، وكانت مفردات هذه التعليمات الفذه من الأتساع بمكان، وأغصانها المتفرعه من الشموليّه الاستيعابيّه في ذروه ما تحقّقه أعرق الثقافات العالميه، وتنشره أبرز الدساتير الأمميّه.

وكان من إفاده النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأكرمين عليهم السلام ما يخامر القلب رقهً وأناقه، ويستقطب العقل تدبراً وتفكيراً، وينير الطريق بين يدي السائرين في ركب قيادي نحو حياه أفضل، والإسلام

بهذا يريد للإنسان أن يكون ذا مزايا تتعدد به عن اللامبالاه، وتقترب في مظهر اعتيادي متميز، وواقع داخلي رفيع، وبدأ بظواهر الكمال والجمال، ليتمتع بما وهب الله من السمائل والمخائل فيما روى «إن الله جميل يحب الجمال» ومعنى هذا التعايش في ظل وارف من نعم الله عز وجل في منأى من التماوت والتباؤس، فلا يثير الاشمئزاز، ولا يدعو إلى التساؤل، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام يوماً لأصحابه «إنَّ لله يحب الجمال والتجمل، ويبغض البؤس والتباؤس، فأن الله إذا أنعم على عبده نعمه أحب أن يرى أثرها عليه». فقالوا: كيف ذلك؟ فقال الأمام هادفاً ومترسلاً ببساطه مذهله:

«ينظف ثوبه، ويطيب ريحه، ويجصص داره، ويكنس أفنيته والعنايه بهذه المواصفات، والاستماع لهذه التوجيهات، والتقيد الفعلى بتنفيذها تحقق مظهراً جميلاً والمظهر الجميل فى هذا الملحظ قد يكشف عن الواقع الجميل، وإذا اجتمعاً فذلك بفضل الله تعالى، فقد يجمع المرء بهما الدين والدنيا، وقد قيل: «ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا».

وإذا ألقينا الضوء الأولى على هذا السياق، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان حريصاً أن يتمتع أتباعه بحسن الخلق، قال الشاعر:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وهو صلوات الله عليه وعلى آله يقول (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

وفى مقارنه سليمه للرسول الأعظم، وهو أعظم الناس أخلاقاً بشهاده

القرآن «وإنك لعلی خلقٍ عظیم». تلك المقارنه تأتي للتفريق الدقيق بين حسن الخلق وسوء الخلق مناصفه في معادله تكشف عن هذا أو ذاك، فقد روى أنه قال: «حسن الخلق نصف الدين، وأفضل الناس إيماناً أحسنهم خلقاً».

وتلك مرتبه عليا في التصنيف يغبط عليها ذوو الأخلاق، بكونهم أفضل الناس إيماناً بينما يقابل ذلك سوء الخلق حتى أن سيء الخلق لا يوفق إلى التوبه؛ لأنه إذا تاب من ذنب وقع في ذنب، فهو في دوامه من الذنوب، وصغار من الإيمان، وانحطاط في النفس، فيقول - صلوات الله عليه -: «أبى الله - عز وجل - لصاحب الخلق بالتوبه». فقيل له: وكيف ذلك يا رسول الله؟، فقال:

«إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه».

وقد تبعه أمير المؤمنين بالفكره ذاتها فقال مؤكداً:

«ما من ذنب إلا وله توبه، وما من تائب إلا وقد تسلّم توبته ما خلا سيء الخلق، لا يكاد يتوب من ذنب إلا وقع في غيره أشد منه».

وذلك من الدواهي نعوذ بالله من سوء الخلق، ونسأله قبول التوبه ن والافتداء بالنبى وآله - صلوات الله عليهم أجمعين -.

والناس في هذا على دين ملوكها حذو القدّه بالقدّه والمتابعه للقاده جاريه في أبعاد شتى، وهى حقيقه لا مناص منها، فليتنق القاده الله - عز وجل - ولا يكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوه أنكاثاً، فقد قرّر الإمام محمد الجواد فيما يروى عنه «من أصغى إلى ناطقٍ فقد عبده، فإن كان الناطق

عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس».

وهذا هو الواقع المشهود في تقابل دعاه الحق في توجيههم الإيماني والأخلاقي، ودعاه الباطل في توجيههم الشيطاني مع الأسف الشديد، ومن أصغى لأحد الفريقين فقد عبده، فالصانع بأمر الله تعالى يكون الإصغاء له، والائتمار بأمره؛ استجابةً لداعي الله في عبادته، والصانع بما نطق الشيطان يكون الإصغاء له تنفيذاً لأرادته، والامتثال بأقواله، مشاكلاً لعباده الشيطان نستجير بالله من ذلك.

ولكن الزمان هو الزمان في شكلين متناقضين، يصدرُ كلٌّ منها في وادٍ، والناس أبناء الزمان، ومن المآثور الرائع للإمام علي الهادي - عليه السلام - أنه قال:

«إذا كان زمان العدل فيه أغلب من الجور، فحرامٌ أن تظنَّ بأحدٍ سوءاً حتَّى تعلم ذلك منه، وإذا كان زمانُ الجور فيه أغلب من العدل، فليس لأحدٍ أن يظنَّ بأحدٍ خيراً حتَّى يرى ذلك منه».

ويترشح عن قول الإمام هذا تقييم الناس في أخلاقهم وإيمانهم وعملهم في ضوء عصرهم، فإذا كان الزمان زمان عدلٍ ورحمة واستقامه ومواساه ومساواه فظنَّ السوء بأحدٍ يخالف الذائقة الفطرية لطبيعته الأشياء، وإذا كان الزمان زمان جور وظلم واضطهاد فمن الغفلة ظنَّ الخير بأحدٍ، إلّا- أن الإمام استثنى العلم بحقائق الأشياء، فمن علِمَ منه الخير فلا يُقاس على عصره، ومن علِمَ منه السوء كذلك لا يقاس على عصره، وإن كان الأمرُ مجهولاً فتؤخذ

الأمر على العموم السائد.

فسلام الله على الإمام الشاب المتحضر الذى درس فلسفه الزمان وطبائع الإنسان، وفاه بما نصح به المسلمين، فلا عجب فى ذلك فهو من الأئمه الذين قال فيهم الشاعر الكوفى سفيان بن مصعب العبدى:

آل النبى محمد أهل الفضائل والمناقب

الناطقون الصادقون السابقون إلى الرغائب

فولاؤهم فرض من الرحمن فى القرآن واجب

ولالإمام على بن موسى الرضا عليه السلام شذرات ثمينه وإفاضات قيمه فى بحر لا تدرك سواحله، وبين يدي ثلاثة أحاديث، فيها ما فيها من أدب النفس وتقويم السلوك، وإضائه بين يدي الأخلاقيين فى قيم عليا:

١ - قال الإمام الرضا عليه السلام: «المؤمن إذا أحسن أستبشر، وإذا أساء أستغفر، والمسلم الذى يسلم المسلمون من لسانه ويده، وليس منا من لم يأمن جاره بوائقه».

وأنت ترى فى هذا الحديث مكارم أخلاق المؤمن فى الاستبشار والاستغفار، وصفات المسلم الذى يسلم المسلمون من يده ولسانه، وحديث البراءة ممن لم يأمن جاره جرائره.

٢ - وقال الإمام الرضا عليه السلام:

«من علامات الفقيه: الحلم والعلم والصمت، إن الصمت باب من أبواب الحكمة.. إن الصمت يكسب المحبه.. إنه دليل على كل خير».

ص: ١٣٧

والحمد لله رب العالمين أن توافرت هذه الصفات في فقهاءنا وعلماؤنا ومراجعنا العظام، فهم يتمتعون بالحلم والعلم، وهم يميلون إلى الصمت إلا أن يسألوا، وبذلك اكتسبوا المحبة التلقائية، وملكوا قلوب الناس ومشاعرهم.

٣ - وقال الإمام الرضا عليه السلام:

«يأتى على الناس زمان تكون فيه العافية على عشرة أجزاء، تسعه في اعتزال الناس، وواحدة في الصمت».

نرجو أن لا يكون هذا الزمان زماننا، على أن البوادر تلوح فيه والشكوى إلى الله تعالى، وبه المستعان في الشدة والرخاء، وعليه المعول في الأمن والبلاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وليس لنا بعد هذا إلا الاتكال على الله عز وجل والانقطاع إليه وفي ذلك تقويم للسلوك، والوصول إلى قمة الاعتداد المرضى من قبل الله عز وجل فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من أنقطع إلى الله عز وجل كفاه الله كل مئوته ويرزقه رزقاً حلالاً طيباً من حيث لا يحتسب ومن أنقطع إلى الدنيا وكله الله إليها».

والانقطاع إلى الله عز وجل من صفات الصديقين والصالحين والمخبتين وحسب المرء أن ينقطع إلى الله ليكفيه كل مئوته، ويرزقه رزقاً حلالاً طيباً من حيث لا يحتسب».

أما الانقطاع إلى الدنيا فهو الخروج عن نظام الكون في التوجه نحو الأمثل، وإن عقوبه ذلك أن يكله الله إليها.

والمدار في الأمرين أخلاقى صرف، يعبر عن مدى ثقه العبد بربه، أو عدم ثقته، وعلى المرء المتوازن أن يحسن الظن بالله سبحانه، فقد روى أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«إن الله كريم يحب الخيرات، يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن الظن به ثم يخلف ظنه ورجاءه».

وهذا الملحظ مطرد في مسيره الحياه الإنسانيه المتجهه إلى الله فى الجزئيات الخاصه، والكليات العامه، ونفحات الله القدسيه، متواتره على عباده الأكرمين، فقد روى أن الله تعالى أوحى إلى نبيه داوود عليه السلام.

«ما أعتصم بى عبد من عبادى دون أحد من خلقي - عرفت ذلك من نيته - ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهن إلا جعلت له المخرج من بينهن، وما أعتصم عبد من عبيدى بأحد خلقي - عرفت ذلك من نيته - إلا قطعت أسباب السماوات والأرض من يديه، وأسخت الأرض من تحته، ولم أبال بأى وادٍ هلك».

والحلم من شيم الأخلاق العظيمه، وخمائل الآداب الراسخه وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال:

«أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصار له على الجاهل».

وهذه جبله إنسانيه أن ينتصر الناس للحليم على الجاهل، إعجاباً بحلمه وتقديراً له على خلقه والعكس بالعكس بل هو أعظم فيما تحدث به الإمام زين العابدين عليه السلام عن عاهه الغضب وهى تقابل الحلم فروى أنه قال:

«أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب».

والفرق في الآثار المترتبة على هاتين الصفتين المتقابلتين؛ أن الحليم ينال رضا الناس وأن الغضبان يقترب من غضب الله تعالى، وفي مصاف ذلك في الخلق الإنساني العفو عند المقدرة فروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إذا قدرت على عدوك فأجعل العفه شكراً للمقدرة عليه».

وفي هذا السياق في العفو قول أمير المؤمنين:

«أقبلوا ذوى المروءات عثراتهم فما يعثر منهم أحد إلا ويده بيد الله يرفعه». إذ لا بد لكل جواد من كبوه، ولكل سيف من نبوه، ولكل إنسان من هفوه، فإذا عثر ذو المروءة فالمفروض إقاله عثرته فإن أعماله آثار مروءته تقيه عند الله العثره.

وصنائع المعروف مشكوره عند الله تعالى فتكافئ بالمعروف، وإلا ففى الدعاء، وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تقدرُوا فادعوا له».

والمعروف قد يحتاج إليه فاعله أكثر من حاجه من أسدى إليه، وقد روى عن الإمام محمد الجواد عليه السلام أنه قال:

«أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجه إليه، لأن لهم أجره وفخره وذكره، فمهما أصطنع الرجل من معروف، فإنما يبدأ به بنفسه، فلا يطلبن شكر ما صنع إلى نفسه من غيره».

وهذا القول المعرق في الفصاحه والبلاغه ذو دلائل مهمه فى التوجه

الإنساني نحو المساعدة في الخيرات، والتفرغ للمبرات، وإسداء المعروف فإن أهله بما يكتسبون من الثواب الجزيل أحوج إليه في النتيجة من ذوى الحاجة والعوز والفاقة وإذا كان الأمر كذلك وهو كذلك، فليس من اصطناع المعروف ما يدعو إلى طلب الشكر من الآخرين فمعروفه له ذكره وشرفه، وعليه عائديته وكرامته، فلا ضرورة أن يطلب صاحب المعروف شكر ما صنعه لنفسه، وقد قال الشاعر القديم:

من يصنع الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

ومن المعروف على وجه احترام الناس بما هم أهل له، فقد حكى أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله جالس فتزحزح له، فقال الرجل: في المكان سعه يا رسول الله!!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن حق المسلم على المسلم إذا رآه يريد الجلوس أن يتزحزح له».

وقد اعتاد أهل البيت عليهم السلام على تكريم المؤمن، واحترام الآخرين عملياً فقد روى عن البنزطي: أحمد بن محمد بن أبي النصر الكوفي، وكان أثيراً عند الأئمة عليهم السلام، وقد أجمع الأصحاب على تصحيح ما يصح عنه، قال:

«بعث إلى الرضا عليه السلام.... فمكثت عامه الليل معه ثم أتيت بعشاء، ثم قال: أفرشوا له.. قال ما تريد أن تنام؟ قلت: بلى جعلت فداك فطرح عليّ الملحفة والرداء، ثم قال: بيتك الله في عافيه، وكنا على سطح

الدار، فلما نزل من عندي، قلت في نفسي: قد نلت من هذا الرجل كرامه ما نالها أحد قط، فإذا هاتف يهتف بي يا أحمد، ولم أعرف الصوت حتى جاءني مولى له، فقال: أجب مولاي، فنزلت فإذا هو مقبل إلي، فقال: كفك، فناولته كفي، فعصرها ثم قال: إن أمير المؤمنين أتى صعصعه بن صوحان عائداً فلما أراد أن يقوم من عنده، قال: يا صعصعه بن صوحان، لا تفتخر بعيادتي إياك، وانظر لنفسك، فكان الأمر قد وصل إليك، ولا يلهينك الأمل، أستودعك الله وأقرأ عليك السلام كثيراً.

وما قدمه الإمامان من طيب العشره وإسداء العاطفه، واستمراريه الموده، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«موده يوم صلته، وموده شهر قرابه، وموده سنه رحم من قطعها قطعهُ الله».

وقد ورد التأكيد على هذا الملحظ مشدداً، حق أمرنا بصله من يقطع، وعطاء من يحرم، والعفو عمن يظلم، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعفُ عمن ظلمك».

وفى تنظيم حياه الإنسان فى ظل القصد والاعتدال نجد الإمام الحسن العسكرى عليه السلام يتابعها بالتوجيه والإعداد، وذلك فى عده حكم مترادفه السياق، ويبدوها بالجدود فلا يتجاور حده، ولا يتعدى المألوف، لئلا ينقلب الجود إلى تبذير وسرف، ويعود صاحبه ملوماً مذموماً فيما فعل

وَلَا

والشجاعه فى الحرب فن ذو أساليب متعدده، يجيدها الشجاع المتمرس، والبطل المجرب فى كثر وفز، ومجابهه والتفات ومواجهه وانسحاب، والبطل من يصوب ويصعد فى ميزان الحرب نظره، ويغتنم فجواتها وثغراتها، فإذا أقدم دون تخطيط دقيق كان عمله تهوراً.

وما زلنا فى عالم التدبير فى شؤون الحياه، فإن الإمام الصادق عليه السلام قد فتق أقوالاً فى هذا الشأن جاريه مجرى الأمثال، وسائر مسير الشمس فى تنظيم حياه الاقتصاد وتعزيز ملاحظ التدبير فى أربع حكم لا تقدّر بثمان:

١ - ضمنت لمن أقتصد أن لا يفتقر.

٢ - القصد يورث الغنى

٣ - ما عال من أقتصد.

٤ - التدبير نصف المعيشه.

ولكل من هذه الحكم النوادر أبعاد خاصه بها وإن كانت متقاربه المضامين، ولكنها متعدده الدلالات.

ففى ضوء الاقتصاد الحديث: أن الذى ينظم شؤونه الاقتصاديه ضمن خطط مدروسه، وفى ظلّ الأناه والتدبير يكون حفظ النظام الاقتصادى العام. ولا يمكن أن يفتقر من رعى ذلك، وهذا ما نطقت به الحكمة الأولى.

والتدبير المذموم قد يورث الفقر والعوز والاحتياج؛ لأنه غير متساق مع طبيعه الموازين فى الإنفاق، أما إخضاع ذلك لموازن القصد، فإنه يورث الغنى وهذا ما نطقت به الحكمة الثانيه.

ولا- يلام من اقتصد ولا- يجابه، ولا يشتكى العيله وهو ما تقوله الحكمة الثالثة، وقد يراد - والله العالم - أن الإنسان إذا اقتصد بمقادير معينه، فلا يهمله كثره العيال فما عال من أقتصد.

ويأتى التدبير فى الحكمة الرابعه ليكون نصف العيش، وذلك بوضع الأمور فى مواضعها ونصابها، واستيعاب منافعها ومحاسنها ثم يوازن ذلك بنظره وعقله.

وفلسفه هذا كله أن الله سبحانه وتعالى وهب ومنح وأعطى وأغنى، ومن مظاهر شكر النعم إرادتها بجداره ونظام، وهذا ما يتطلب معرفتها، فإذا عرفها فقد شكرها، وإذا جهلها فقد أنكرها وجحدتها، وفى ظل هذا الفهم نجد الإمام الحسن العسكرى عليه السلام متابعاً لذلك فيروى أنه قال:

«لا- يعرف النعمه إلا الشاكر ولا يشكر النعمه إلا العارف» وهذه منتهى البلاغه لأنه الشاكر لا تبطره النعمه، ولا تزلزله عن الشكر المستديم، لان عرف النعمه فشكرها.

ويأتى العامل البلاغى عند الإمام عليه السلام ليؤكد أن النعمه لا يشكرها إلا العارف، لأنه خير بالائها وأفضالها، متبحر فى فهمها وإدراكها، مقوم لمنزلتها وقيمتها، فهو ذاكر شاكر.

وفى هذا السياق نجد أمير المؤمنين عليه السلام مبرمجاً روحياً لشغل الإنسان اقتصادياً وهو يكابد التفكير بذلك فى معاناه وجهد، وقد روى عن أمير المؤمنين أنه قال:

«لا يكن أكثر شغلك بأهلك وولدك، فإن يكن أهلك وولدك أولياء الله، فإن الله لا يضيع أولياءه وإن يكونوا أعداء الله، فما همك وشغلك بأعداء الله».

وهدف أمير المؤمنين في هذا هو التخطيط للحياه الهائنه في ظل هدوء النفس وإراحه التفكير فالحياه الكريمة هي التي يكتب بها سعادته الإنسان لا شقاءه، وفرحه لا ترحه، وهمّ العيال من العناء الملازم لاسيما مع الحاجه وضيق اليد، وقد يحاول المرء أن ينفذ الأتاريح التي ينبغي تنفيذها للأهل والولد...

فيكون ذلك شغله الشاغل وأكثر شغله، وهنا يضع أمير المؤمنين اللبنة الأولى في إيقاظ الذات، ويضع الإنسان بين يدي معادله بعيدة الأثر في إصلاح الفاسد من أمور الدين والدنيا، وذلك بنهيه أن يكون أكثر شغله بالأهل والولد، إذ لا يخلو أن يكون هؤلاء إثمًا أولياء الله تعالى وإما أعداء له، فإن كانوا أولياء فالله لا يضيع أولياءه طرفه عين أبدًا، وإن كانوا أعداء الله فينبغي للمرء أن لا يكون همه وشغله بأعداء الله.

هذه الأطروحه الفريده تجعل الإنسان في حيز من الأمان والاستقرار النفسى في الحياه الدنيا، وهي مظنه للاتكال على الله وتفويض الأمر إليه.

وفي مجال السلوك الإنساني المتوازن والقيم الأخلاقية العليا نجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفيض بجوامع كلمه فيما يروى أنه قال:

«سبعه في ظل عرش الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل،

وشاب نشأ في عبادة الله - عز وجل - ورجل تصدق بيمينه وأخفاه عن شماله، ورجل ذكر الله عز وجل ففاضت عيناه من خشية الله ورجل لقي أخاه المؤمن فقال: إني لأحبك في الله، ورجل خرج من المسجد وفي نيته أن يرجع إليه، ورجل دعت امرأه ذات جمال إلى نفسها فقال: إني أخاف الله رب العالمين».

وهذه الإفاضة تدل على ذاتها بذاتها، وتكشف عن المراد منها بدلائلها، فيها وضوح ودقه وتحديد.

وعن رسول الله أنه قال: «رأس العقل بعد الإيمان التودد إلى الناس، وأمرت بمداراه الناس كما أمرت بأداء الفرائض».

وهذا توجيه منه إلى المؤمنين بأن يكونوا بالمستوى الأخلاقي الذي يقربهم إلى الناس بالتودد إليهم ومداراتهم، وأبان لنا أنه أمرنا بأداء الفرائض وذلك منتهى التشبيه البليغ.

ومن ذلك ما ورد في الخبر: «إذا التقى المسلمان فتصافحا، وتبسم أحدهما إلى صاحبه قسمت بينهما مئة رحمه».

وهذا نوع من التأديب أن يطفح البشر بوجه المرء وهو يصفح أخاه المسلم، ويبدى له من البشاشة ما يسره.

ومما أفاضه الإمام الصادق عليه السلام على أصحابه أن قال أحدهم: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام ما بين مكة والمدينه فمررنا على رجل في أصل شجره وقد ألقى بنفسه، فقال الإمام: «مل بنا إلى هذا الرجل فإنني

أخاف أن يكون قد أصابه العطش». فملنا إليه فإذا هو رجل من النصارى، طويل الشعر، فسأله الإمام عليه السلام أعطشان أنت؟ فقال: نعم، فقال: إنزل فأسقيه، فنزلت فسقيته ثم ركبت وسرنا، فقلت له: هذا نصراني!! أفتتصدق على نصراني؟ قال: نعم.

وقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام نصاً أو معنى:

«افعل الخير مع أهله ومع غير أهله فإن لم يكن من أهله فأنت من أهله».

وروى أن سيدنا ومولانا الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام مرّ برجل من أهل السواد دميم المنظر، فسلم عليه ونزل عنده، وحادثه طويلاً ثم عرض القيام بحاجته إن كان له حاجة!! فقيل له: يا ابن رسول الله أتتزل إلى هذا وتسأله عن حاجته؟ فقال عليه السلام: «عبد من عبىد الله وأخ فى كتاب الله، وجر فى بلاد الله، يجمعنا وإياه خير الآباء آدم، وأفضل الأديان الإسلام، ولعل الدهر ىرد من حاجتنا إليه، ىرانا بعد الزهو عليه متواضعىن بىن ىديه».

وهذا هو التواضع الجرم الذى نذب إليه الإسلام وقد فعله الإمام الكاظم بنفسه لىكون بذك قءوه لغيره».

وهنالك آءاب فى عىاءه المرىض، وعاءاء فى اسءقبال الضىف، ومراسم لءعزىه المصاب وقء نءبء إليها جمىعاً لءلىمات أهل البىء. فقء روى أن الإمام الصاءق عىله السلام لقى بعض أصحابه فى الطرىق فقء لهم: أىن لرىءون؟ قالوا: نرىء فلاناً نءوءه!!، فقء عىله السلام: هل معكم فاكهه أو

طيب تأخذونه له؟» قالوا: ليس معنا شيء، فقال عليه السلام:

«أما تعلمون أن المريض يستريح إلى كل ما أدخل عليه؟».

وفي مجال استقبال الضيوف والترحيب بالوافدين يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الضيف يجيء معه رزقه، وإذا رحل رحل بذنوب أهل البيت» فيالها من نعمه فارهه، أن تكرم ضيفك، والله يجيء برزقه، ويرحل بذنوب أهل البيت.

وروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إذا دخل الضيوف عليك دخلوا برزق من الله كثير، وإذا خرجوا خرجوا بالمغفرة لك».

قال الشيخ الأعمش في أرجوزته:

والضيف يأتي معه برزقه فلا يقصر أحد في حقه

وقال الإمام الرضا عليه السلام:

«السخي يأكل من طعام الناس ليأكلوا من طعامه، والبخيل لا يأكل من طعام الناس لئلا يأكلوا من طعامه». نستجير بالله من ذميم الصفات.

وفي مقام التعزية بالمصيبة يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبته إلا كساه الله من حلل الكرامه يوم القيامة». فيالها من بشرى.

وهذه الآداب العامه تدعو إلى الألفه والتوادم والتحابب بين المسلمين، والتقارب بين الأخوان.

وفى هذا السياق فإن احترام الكبير والعطف على الصغير من أبرز مقومات الآداب فى الإسلام فقد جاء شيخ إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حاجه فأبطئوا عن الشيخ أن يوسعوا له، فقال: ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا.

ومما تبه إليه التراث الإسلامى عند أهل البيت أن يوضع ما للإنسان فى محله من إغائه الملهوف، واكتساب المكارم، وإبقاء الثواب العظيم، فقد ورد فى الحديث الشريف:

«خير المال ما أكتسب الإنسان به ثناءً وشكراً وأوجب له ثواباً وأجراً».

وإلا- فالمال كارثة على صاحبه، إن لم يعط حقه فى إخراج الحق الشرعى زكاه وخمساً ويقضى به حقوق الإنسان، إذ ورد فى الخبر: أول ما يسأل عنه الإنسان يوم القيامة عن ماله مما أكتسبه وفيه أنفقه».

وللمال طرقة المشروعه فى الاكتساب من حله، وطرقة المشروعه فى إنفاقه على الأهل، والولد والرحم والمبرات. وعلى المسلم أن يكون هيناً لينا فى هذا المجال.

فقد كان محمد بن أبى عمير - وهو يعد من أصحاب الإمام موسى الكاظم عليه السلام - رجلاً بزازاً وجرى ما جرى له من السجن والاضطهاد وكان له على جار له عشره آلاف درهم، وحملها الجار إليه، وقال

لابن أبي عمير: هذا مالك الذي لك علي؟ قال: ابن أبي عمير: من أين لك هذا المال؟ ورثته؟، قال: لا، ولكنني بعت داري لأقضى ديني، قال ابن أبي عمير: حدثني ذريح المحاربي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: لا يخرج الرجل عن مسقط رأسه بالدين، أرفعها فلا حاجة لي فيها، والله إنني محتاج في وقتي هذا إلى درهم، وما يدخل ملكي منها درهم».

فأنظر إلى هذه النظرة الفاحصة في الإيثار والمواساة.

وكان محمد بن مسلم الطحان رجلاً موسراً ثرياً، وهو من أهل الكوفة، ودخل على الإمام محمد الباقر عليه السلام فقال بشر المخبتين!! وقال له الإمام: تواضع فأخذ قوصره تمر وجعلها على باب المسجد، وجعل يبيع التمر!! فجاء قومه فقالوا له: فضحتنا، فقال: أمرني مولاي بشيء فلا أبرح حتى أبيع القوصره!! فقالوا: أما إذا أبيت إلا هذا، فأقعد في الطحانين، ثم سلموا إليه رحي، فقعد على بابه يطحن».

فأنظر إلى هذا التواضع من جهه، وإلى امتثاله أمر الإمام من جهه أخرى، ودقق النظر في مخالفه النفس، وقهر الشهره.

وروى الشيخ الطوسي قدس سره عن (سالمة) مولاة أبي عبد الله الإمام جعفر الصادق عليه السلام قالت:

كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام حيث حضرته الوفاة، وأغمى عليه، فلما أفاق قال: أعطوا الحسن بن علي بن علي بن الحسين وهو الأفتس سبعين ديناراً (ذهيباً) وأعطوا فلاناً كذا، وفلاناً كذا،

فقلت: أتعطى رجلاً حمل عليك بالشفرة يريد أن يقتلك؟.

قال: تريد أن لا أكون من الذين قال الله عز وجل:

«وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۝۱» .

نعم يا سالمه؛ إن الله خلق الجنة فطيها وطيب ريحها، وإن ريحها يوجد من مسيره ألقى عام، ولا يجد ريحها عاق مولا قاطع رحم.

وهكذا يكون المال سبيلاً إلى صله الأرحام، ودرء العقوق وإشاعه المحبه والسلام.

وكل هذه النماذج من المعروف، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«المعروف قرض، والأيام دول، ومن توانى عن حقه ضاع، ومن قاهر الحق قهر».

وهذه تعليمات لنا فى تقويم الأود وتوازن السلوك. وقد ندب الإسلام إلى التجاره، وكسب المال الحلال، حتى روى: أن التاجر حبيب الله، وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة».

وينبغى أن يكون الاتجار وطلب الرزق خالياً من الشبهات وطريقاً موصلاً إلى رحمه الله تعالى، ولا يتطلبه بإعانه الظالمين والحكام المارقين من

الإسلام ولا يكون عوناً للطغاه على استمراره حكمهم الزائل.

فعن صفوان الجمال قال: دخلت على أبي الحسن الأول عليه السلام يعنى الإمام موسى بن جعفر - فقال لى:

«يا صفوان كل شىء منك حسن جميل ما خلا واحداً!! قلت: جعلت فداك أى شىء؟ قال:

إكراؤك جمالك من هذا الرجل - يعنى الرشيد - قلت: والله ما أكرته أشراً ولا بطراً ولا للصيد ولا للهو ولكن أكرته لطريق مكه ولا- أتولاه بنفسى ولكن أبعث معه غلمانى!! فقال لى: «يا صفوان يقع كراؤك عليهم؟». قلت: نعم جعلت فداك فقال لى: «أتحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟، قلت: نعم، قال: «فمن أحب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم فهو وارد النار».

قال صفوان: فبعث جمالى عن آخرها، فبلغ ذلك هارون، فدعانى، وقال: لم بعث جمالك؟، قلت: أنا شيخ كبير، والغلمان لا يفون بالأعمال، فقال: هيهات هيهات!! إنى لأعلم من أشار عليك، أشار عليك موسى بن جعفر!! قلت: ما لى ولموسى بن جعفر، فقال: دع عنك هذا، فوالله لولا حسن الصحبه لقتلتك».

وقد يكون المال ملهاه ومدعاه لارتكاب المآثم ونسيان الذنوب ولكن ذكر الله أكبر من ذلك فعلى الإنسان أن يرفع ذكر الله مناراً وحمده شعاراً على كل حال.

فقد روى الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«أوحى الله إلى موسى، يا موسى لا تفرح بكثرة المال، ولا تدع ذكرى على كل حال فإن كثره المال تنسى الذنوب، وإن ترك ذكرى يقسى القلوب».

ومما طبع عليه الشرع الشريف عدم التشدد في كل شيء، وإنما يمس الأمر مساً رقيقاً، ويعالج كل شيء علاجاً رقيقاً فتؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه.

وقد ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه، فأقبلوا رخص الله ولا تكونوا كنبى إسرائيل حين شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم».

والتشدد على الأنفس في غير موضعه مذموم، وهو في موضعه محمود، فقد أخذ الله على خلفاء الله في أرضه أن يكونوا قدوة، ويشددوا على أنفسهم، وبذلك يصبحون نموذجاً للزهد وللعادل وللأمانه، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«والله لقد رقت مدرعتى هذه حتى استحيت من رقعها (راقعها)، ولقد قال قائل: ألا تنبذها؟ فقلت:

«أغرب عنى فعند الصباح يحمد القوم السرى».

ولقد روى عن ابن عباس انه: شاهد أمير المؤمنين وهو في رحبه

الكوفه، وعليه قطيفه، وهو يرتعد من البرد!! فقلت: يا أمير المؤمنين بما مؤداه: (لو غيرتها أو استبدلتها) فقال: والله لا أرزؤكم من مالكم شيئاً، إنما هي قطيفتي التي خرجت بها من المدينة». وقد رويت هذا الخبر بالنص أو بالمعنى.

وإذا أصابت المرء ضائقه ماليه فلا يستدين إلا اضطراراً لسد الحاجه فقد جاء النهي من النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنه: فروى أنه قال: «إياكم والدين فإنه هم بالليل وذل بالنهار». وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وروى عن الإمام جعفر الصادق صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«خففوا الدين فإن في خفه الدين زياده العمر».

ومن آداب السلوك الإنساني والقيم العليا ما نبه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المعامله والحديث والوعد، فروى أنه قال:

«من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فقد كملت مروءته، وطهرت عدالته، ووجبت أخوته».

وفي لفته بارعه للإمام جعفر الصادق عليه السلام وقد سئل عن المؤمن العادل فقال:

«إذا غض طرفه عن المحارم، ولسانه عن المآثم، وكفه عن المظالم».

وفي هذه الفقرات جماع أسس العدالة التي ينبغي أن تتوافر في المؤمن في

طرفه، فى لسانه، ویده.

فغض الطرف عن المحارم سيماء الصالحين، وكف اللسان عن الغيبه والنميمة والبهتان وقول الزور شعار المتقين، وصد الكف عن الظلم صغيره وكبيره من صفات العادلين.

والوثاقه فى المؤمن العادل أساس الأخذ بما يفعل ويقرر ويقول، جعلنا الله كذلك.

لهذا وذاك فقد أمرنا على لسان الإمام الصادق أيضاً بالتثبت فى كل قضيه، وردّ الأمر إلى أهله فهم أرباب السنن وأساطين الشريعه، وأئمه الحق وهو يدور معهم حيثما داروا، وفيه جلاء الواقع دون شبهه، وإظهار الهدى، والحمل على القصد، فقد قال عليه السلام، وقوله الفصل فيما يروى عنه:

«لا- يسعكم فيما ينزل بكم مما لا تعلمون، إلا الكف عنه، والتثبت والرّد إلى أئمه الهدى حتى يحملوكم فيه على القصد ويجلوا عنكم فيه العمى، ويعرفوكم فيه الحق».

وهذا مما لا يختلف فيه اثنان فهم أهل النهى وأرباب الحميه، وقاده الهدى، والعروه الوثقى.

ومن مقومات النفس الإسلاميه دربتها على ما يكون درءاً للإسلام عند الخطر، وصوناً للعقيده عند الضياع وحفظاً للتكليف الشرعى جهاداً ودفعاً وأمرأ بالمعروف ونهياً عن المنكر، وفى هذا الضوء شرع الله الجهاد وجعله فرضاً

ص: ١٥٦

وحبب إليه انتداباً وأثاب عليه جزاءً، وحسبنا قوله تعالى: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» (١).

والجهاد في سبيل الإسلام دفاعي لا هجومي وإصلاحي لا عدواني، وتوجيهي لا انتقامي، وكل حروب الإسلام هكذا...

ويضاف إلى ذلك نقض العهد وخفر الذمم، وغدر الموثيق كما في قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليهود قريظه والنظير، جزاءً وفاقاً بما غدروا وقد كانت جميع حروب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفق هذا المجال في أبرز المشاهد: بدر، أحد، الأحزاب، حنين، خيبر، تبوك... الخ.

وخاض أمير المؤمنين عليه السلام معاركه في الجمل وصفين، والنهروان، في هذا الضوء حفاظاً على الشريعة من الانهيار، وبأخبار من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه سيقاتل: الناكثين والقاسطين والمارقين، وكان ذلك.

وضرب سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أروع الأمثلة في التضحية والجهاد في سبيل الله وطلب الإصلاح في أمه جده محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكان أنشوده الأجيال وخلود الدهر.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الجهاد فيما يروى عنه:

«إن الجنه تحت ظلال السيوف»

وكان أهل بيته وأصحابه المثال الأرقى في الجهاد، فقد أبلى أمير المؤمنين

عليه السلام وحمزه بن عبد المطلب رضى الله عنه وعبيده بن الحارث في بدر بلاء حسناً كان حديث التاريخ.

ولقد أبلى أمير المؤمنين عليه السلام وأبو دجانة الأنصارى ومصعب بن عمير وسواهم أرقى صنوف التضحيات في أحد.

وكان على وحده بطل الفتح في كل من الأحزاب، وخيبر، وحنين، وهو أبو الحسن، ولقد قيل له، وهو على بغله في بعض الحروب، لو اتخذت الخيل يا أمير المؤمنين!! فقال: لا أفرّ ممن كر، ولا أكرّ على من فر، فالبغله تكفينى.

وهو بطل الأبطال الذى لم يرهب الحروب، ولم يهب الموت، وينسب إليه - دليلاً على صلابته وشجاعته - أنه قال:

«والذى نفس ابن أبى طالب بيده، لألف ضربه بالسيف أهون على من موته على فراش».

وقيل له عليه السلام: إذا جالت الخيل فأين نطلبك؟

قال: «حيث تركتمونى».

وهى تعبير مجازى بأنه لا يفر ولا يغادر بل يصمد ويثبت وروى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لمعاوية فى صفيين:

«قد دعوت الناس إلى الحرب، فدع الناس جانباً وأخرج لى ليعلم أين المران على قلبه والمغضى على بصره؟، وأنا أبو الحسن قاتل جدك، وخالك،

وأخيك شديداً يوم بدر، وذلك السيف معي، وبذلك القلب ألقى عدوى».

فنكص معاويه عند ذلك، وأبى مبارزته، لعلمه بأنه مقتول.

وكان الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام من أجمع الأبطال في عهد الشيخين، وفي خلافة أمير المؤمنين، فروى مشاركتهما في الفتوح والبعوث، وكان أمير المؤمنين عليه السلام ينفس عليهما في الحرب، ويقذف بابنه محمد بن الحنفية في الحروب، ولا يسمح للحسن والحسين بذلك، وكان يقول عن محمد هو ولدي، وعن الحسن والحسين: هما ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ف قيل لمحمد بن الحنفية كيف يسمح بك أبوك في الحروب ويبخل بهما؟.

فقال رضى الله عنه: «أنا يمينه وهما عيناه، فهو يدفع عن عينيه بيمينه».

وهذا باب متسع ألمعنا إليه إلماعاً لأننا قد بحثنا أغلب تفصيلاته الهادفة في كتبنا: «النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحى السماء ورساله الإسلام» و «الإمام على سيرته وقيادته فى ضوء المنهج التحليلى» و «الإمام الحسين عملاق الفكر الثورى» وسواها.

والإشارة هنا على سبيل المثال لا أكثر ولا أقل.

ولقد كان للمجاهدين لفتات فى الحروب، تؤكد الجانب الإيمانى فقد روى أن سعد بن الربيع الأنصارى قد قتل يوم أحد، فأدر كه رجل وبه رمق، فقال: «أبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنى السلام، وقل له: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمتة!!»

وأبلغ قومي السلام وقل لهم: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أذى وفيكم عين تطرف».

ثم مات رضوان الله عليه وقيل إنه سعيد بن الربيع.

وما جاء في فضل الجهاد وأحاديثه يكشف عن منزله المجاهدين عند الله، فبدمائهم شيد الإسلام، ورسخت كلمه الله في الأرض، ومع هذا كله، بل وفوق هذا كله، وما رأيت من مشارف الشهداء وحياتهم «قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ١»، فقد روى عن أمير المؤمنين أنه قال: «ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر فعف لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة».

فما هي منزله العفاف عند الله، وما هي درجة العفيف في الميزان. ونختم هذه المقالة بحديثين عن النبي في الصلاة على محمد وآله وآخر عن الإمام الصادق عليه السلام:

قال صلوات الله عليه: «من صلى عليّ مره لم تبق من ذنوبه ذره».

قال صلوات الله عليه: «الصلاه على وعلى أهل بيتي تذهب النفاق».

قال الصادق عليه السلام: «لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلى على محمد وآل محمد».

نظرات فى العفو والغضب والمغفرة

طلب العفو والغفران من الله أمران جوهريان فى إنابه العبد إلى ربه عز وجل، وإذا عفا الله سبحانه فقد غفر، فيا لها من نعمه كبرى لا- يستوعبها إلا- الفكر البشرى المتنور، فما أكثر الذنوب والزلل، وما أعظم التجاوز والانحدار، وهفوات الإنسان تتجدد مع المغريات وما أكثرها، وتزداد بمرور الزمن، ولا عاصم إلا البارى عز وجل.

وطلب العفو من الله سبحانه سيره المتشرعه، ونظام الحياه المتقلبه، ففيه يشعر الإنسان بالسعاده الغامره، فينفس عن كربه وتطمئن نفسه لذلك الفيض الإلهى برحمته التى وسعت كل شىء والغضب على العكس من ذلك كما سنرى. قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُؤًا غَفُورًا» .

يروى أن أعرابياً قال: يا رسول الله، من يحاسب الخلق يوم القيامة؟

ص: ١٤١

قال: الله عز وجل!! قال الأعرابي: نجونا ورب الكعبة، قال وكيف ذلك يا أعرابي؟ قال: لأن الكريم إذا قدر عفا(١).

هو استخراج لطيف، وبشاره للناس فكرم الله ولطفه وعطفه جدير بهذا الاعتقاد لذا وردت الآثار بالتضرع إلى الله طلباً للعفو، فقد ذكر ابن ماجه فى سننه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله عائشه عن الدعاء لىالى القدر قال: تقولين «اللهم إنك عفوٌ تحب العفو، فأعف عني»(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«اللهم أحملنى على عفوك ولا تحملنى على عدلك»(٣).

ولهذا ورد: اللهم عاملنى بعفوك ولا تعاملنى بعدلك، أو ما يشبهه هذا.

وفى مناجاه أمير المؤمنين عليه السلام:

«إلهى أفكر فى عفوك فتَهون علىّ خطيئتى، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم علىّ بليتى»(٤).

وإذا كان أمير المؤمنين بهذا المستوى من الرجاء والخوف فكيف بنا؟ وهو المعصوم من الزلل والإمام المفترض الطاعة. ولكنه أيضاً بإزاء إرشادنا وأمره لنا بالمعروف، ونهيه عن المنكر، يقول فيما روى عنه:

ص: ١٦٢

١- (١) تنبيه الخواطر: ٩/١.

٢- (٢) ابن ماجه / السنن ١٢٦٥/٢.

٣- (٣) نهج البلاغه / الخطيه رقم / ٢٢٧.

٤- (٤) الصدوق / الأمالى: ١٣٨.

«من تنزه عن حرمان الله سارع إليه عفو الله»(١).

ويعطى أمير المؤمنين نموذجاً فريداً من أطاريحه في نيل عفو الله تعالى في ضوء الاختبار والامتحان في الشدائد والمكاره دفعاً للتكبر وإسكانه للتذلل، فيقول: «ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتعبد لهم بأنواع المجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره إخراجاً للتكبر من قلوبهم وإسكاناً للتذلل من نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فتحة إلى فضله، وأسباباً ذللاً لعفوه»(٢).

ونجد أمير المؤمنين عليه السلام تارة أخرى يوحى بمسائله الله لعباده عن الصغيره والكبيره، والظاهر والباطن فمن استحق العذاب فهو الظالم لنفسه، وإن عفا الله فهو أكرم يقول - صلوات الله عليه -: «إنَّ الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيره والكبيره، والظاهره والباطنه، فإن يعذب فأنتم أظلم، وإن يعفو فهو أكرم»(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أرواحنا فداءه، أنه قال: «اللهم إنك بما أنت له أهل من العفو. أولى منى بما أنا له أهل من العقوبه»(٤).

وكما يطلب الإنسان من ربه العفو، فإنه يجب أن يعفو الإنسان عن الآخرين، فيخفف من غلوانه وينهته عن غضبه. وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك مراراً وتكراراً.

ص: ١٤٣

١- (١) المجلسي / بحار الأنوار / ٩٠/٧٨.

٢- (٢) نهج البلاغه / الخطبه / ١٩٢.

٣- (٣) نهج البلاغه / الكتاب / ٢٧.

٤- (٤) الإربلي / كشف الغمه: ٤١٨/٢.

فيروى أنه قال: «إن الله عفوٌ يحب العفو»^(١). وقال أيضاً: «من كثر عفوهُ مدّ في عمره»^(٢)، وقال: «عليكم بالعفو فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فتعافوا يعزكم الله»^(٣). والأعظم من ذلك أن يقول صلوات الله عليه:

«تجاوزوا عن عثرات الخاطئين يقيكم بذلك سوء الأقدار»^(٤). ودرء الغضب بالعفو يكون أجره على الله يوم القيامة فروى عن رسول الله أنه قال؛ ويا له من قول نافذ!!

«إذا عنت لكم غضبه فادرؤوها بالعفو؛ أنه ينادى منادٍ يوم القيامة من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلا العافون، ألم تسمعوا قوله تعالى: «فمن عفا وأصلح فأجره على الله»^(٥). وقد أعتبر الإمام الصادق عليه السلام العفو أحد مكارم الدنيا فيروى أنه قال: «ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: تعفو عن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم إذا جهل عليك»^(٦).

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «الندامة على العفو أفضل وأيسر من الندامة على العقوبة»^(٧).

ص: ١٤٤

١- (١) المتقى الهندي / كنز العمال / الحديث: ٧٠٠٥.

٢- (٢) أعلام الدين / ٣١٥.

٣- (٣) الكليني / الكافي: ١٠٨/٢.

٤- (٤) تنبيه الخواطر: ١٢٠/٢.

٥- (٥) أعلام الدين / ٣٣٧.

٦- (٦) الكليني / الكافي: ١٠٧/٢.

٧- (٧) المصدر نفسه: ١٠٨/٢.

وعن الإمام الرضا عليه السلام فى قوله تعالى: «فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۝١»، قال: عفوٌ من غير عقوبه، ولا تعنيف، ولا عتب»(١).

وأعظم مراتب العفو هو العفو عند المقدره كما تصرّح بذلك المرويات الصادره من أهل بيت الرحمة صلوات الله عليهم، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من عفا عند القدره عفا الله عنه يوم العسره(٢).

وعن الإمام على عليه السلام أنه قال: «إذا قدرت على عدوك فأجعل العفو عنه شكراً للقدره عليه»(٣).

ومن التعابير البليغه للإمام على عليه السلام «العفو زكاه الظفر»(٤).

وعن سيد الشهداء الإمام الحسين بن على عليهما السلام، أنه قال: (إن أعفى الناس من عفا عند قدرته»(٥).

والعفو قد يكون مظهره للإصلاح واستصلاح القلوب، والغض عن سوء الأدب، وقد يكون مفسده للئيم بقدر ما هو إصلاح للكريم؛ فمن الأول ما روى أنه: «شكا رجل إلى رسول الله خَدَمَهُ فقال له: أعف عنهم تستصلح قلوبهم، فقال: يا رسول الله: إنهم يتفاوتون فى سوء الأدب!! فقال: «أعف

ص: ١٤٥

١- (٢) أعلام الدين: ٣٠٧.

٢- (٣) المتقى الهنذى / كنز العمال / الحديث: ٧٠٠٧.

٣- (٤) نهج البلاغه / الحكمه رقم ١١.

٤- (٥) المصدر نفسه / الحكمه رقم ٢١١.

٥- (٦) الدرره الباهر / ٢٤.

عنهم. ففعل»(١).

وعلى العكس من هذا ما يكون العفو فيه إفساداً فقد ورد عن الإمام على عليه السلام أنه قال: «العفو يفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم»(٢).

ويوصى أمير المؤمنين عليه السلام ويوجه بأن تجازى السيئه بالحسنه، وهذا شأن الأبرار، إلا إذا كان التجاوز عن السيئه يحدث ثلماً في الدين ووهناً في سلطان الإسلام فيقول (جاز بالحسنه وتجاوز عن السيئه ما لم يكن ثلماً في الدين أو وهناً في سلطان الإسلام)(٣).

والغضب يقابل العفو من وجه، وكما كان العفو صفه من صفات الرحمن، فالغضب إيحاء من نزوات الشيطان، وأفضل الناس من أمسك نفسه عند الغضب، ولم يجعل للشيطان سبيلاً عليه ولا للحمق طريقاً إليه، وقد ورد عن رسول الله أنه قال:

«ألا أخبركم بأشدكم؟ من ملك نفسه عند الغضب»(٤).

وقد تسيطر القوه البهيميه على الإنسان فيغضب، فإذا سيطرت على العقل قوه عفا وحكم وكظم غيظه، فقد ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «لا قوه كرد الغضب»(٥).

ص: ١٦٦

١- (١) النورى / مستدرک الوسائل.

٢- (٢) كنز الفوائد: ١٨٢/٢.

٣- (٣) غرر الحكم / ٤٧٨٨.

٤- (٤) نثر الدرر: ١٨٣/١.

٥- (٥) تحف العقول / ٢٨٦.

وربما قد وازن الإمام جعفر الصادق عليه السلام مقارناً بين من يملك غضبه فملك عقله وبين من يملك غضبه فلم يملك عقله، وبديل المخالفه فإن من غضب لم يملك عقله، وعلى العكس فإن من لم يغضب وجعل للحلم والعفو سبيلاً فقد ملك عقله.

قال عليه السلام: «من لم يملك غضبه لم يملك عقله»^(١).

وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغضب بما روى عنه أنه قال: «الغضب جمره من الشيطان»^(٢).

وقد صور الإمام على عليه السلام حاله الغضبان في صورتى ندمه وعدم ندمه على غضبه فيروى أنه قال:

«الحده ضرب من الجنون لأن صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنونه مستحکم»^(٣).

وقد أعتبر الإمام جعفر الصادق عليه السلام أن الغضب مفتاح كل شر فقال: «الغضب مفتاح كل شر»^(٤). وتاره أخرى يقول عليه السلام: «الغضب ممحقه لقلب الحكيم»^(٥).

وقد ندب القرآن الكريم إلى المغفرة عند الغضب، وكظم الغيظ، والعفو

ص: ١٦٧

١- (١) الكليني / الكافي: ٣٠٥/٢.

٢- (٢) المجلسي / بحار الأنوار: ٣٠٥/٧٣.

٣- (٣) نهج البلاغه / الحكمه رقم ٢٥٥.

٤- (٤) الكليني / الكافي: ٣٠٣/٢.

٥- (٥) المصدر نفسه: ٣٠٥/٢.

عن الناس فى كثير من آياته:

قال تعالى: «وَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ۝۱» .

وقال تعالى: «وَ الْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝۲» .

وقد ورد عن أهل البيت من الآثار فى كبح الغضب وردّ الحده ما يعبر عن رضا الله عز وجل، ورجاحه العقل.

فعن الرسول الأعظم أنه قال: «من كَفَّ غضبه كفَّ الله عنه عذابه»(١).

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «من كظم غيظه وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة»(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «نعم الجرعه الغيظ لمن صبر عليها..»(٣).

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام بعدم الغضب معالجاً ذلك بتوجيهه السديد فروى أنه قال: «يا علي؛ لا تغضب فإن غضبت فأقعد وتفكر بقدره الرب على العباد وحلمه عنهم، وإذا قيل لك

ص: ١٦٨

١- (٣) المجلسى / بحار الأنوار: ٢٦٣/٧٣.

٢- (٤) الكلينى / الكافى: ١١٠/٢.

٣- (٥) المصدر نفسه: ١٠٩/٢.

أتق الله فأنبذ غضبك، وراجع حلمك»(١).

وقد ورد عن الإمام على عليه السلام أنه قال: «داووا الغضب بالصمت والشهوه بالعقل»(٢).

والغضب لله محمود ما في ذلك شك وقد وصف الإمام على عليه السلام الرسول الأعظم بأنه:

«كان لا يغضب للدين، فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له»(٣).

وعنه عليه السلام: «من شئىء الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة»(٤).

ومما يتساق مع هذا الباب ويناسب مقارنته بعضاً من بعض، الاستغفار من الله تعالى، وطلب المغفرة منه، وذلك أن عفو الله، ومدح الله لردّ الغضب لأنه من الشيطان فلا يبقى للإنسان إلا أن يستغفر الله من ذنبه وهو الغفور الرحيم.

قال تعالى: «وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً» .

ص: ١٦٩

١- (١) تحف العقول / ١٤.

٢- (٢) غرر الحكم / ٥١٥٥.

٣- (٣) المحججه البيضاء: ٣٠٣/٥.

٤- (٤) نهج البلاغه / الحكمه رقم ٣١.

وعمل السوء من المحرمات وظلم النفس بارتكاب الذنوب من المحظورات، إلا أن الله سبحانه وتعالى كتب على نفسه الرحمة، ومن يستغفر يغفر له؛ لهذا كان الاستغفار من خير العباد والبقاء، إذ قد يغفر الله الذنب وقد يستجيب الدعاء، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «خير العباد الاستغفار»^(١).

وروى عنه صلوات الله عليه أنه قال: «خير الدعاء الاستغفار»^(٢)، ومن أروع ما أستتجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأستنبطه وأشار إلى أمته به، أنه قال:

«أكثرُوا من الاستغفار فإن الله عز وجل لم يعلمكم الاستغفار إلا وهو يريد أن يغفر لكم»^(٣).

ومن أبلغ ما ذهب إليه الإمام على في طلب المغفرة والإسراع إلى الاستغفار قوله مستعيراً ومكيناً بالاستعارة:

تعطروا بالاستغفار لا تفضحكم روائح الذنوب»^(٤)، وهو عليه السلام يحث على الاستغفار ويدعو معه إلى عدم القنوط فيروى أنه قال:

«عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار»^(٥)، وقوله عليه السلام: «من أعطى

ص: ١٧٠

١- (١) الكليني / الكافي: ٥١٧/٢.

٢- (٢) الكليني / الكافي: ٥٠٤/٢.

٣- (٣) تنبيه الخواطر: ٥/١.

٤- (٤) المجلسي / بحار الأنوار: ٢٧٨/٩٣.

٥- (٥) نهج البلاغه / الحكمه رقم ٨٧.

الاستغفار لم يحرم المغفره»(١).

والله عز وجل رءوف بعباده، وقد يبدو من الروايات أن بعض الذنوب التي يرتكبها المرء صباحاً قد لا تسجل انتظاراً إلى الليل، فإذا استغفر منها لم تكتب عليه، فقد روى هذا المعنى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن العبد إذا أذنب ذنباً أجلاً من غدوه إلى الليل، فإن أستغفر الله لم يكتب عليه»(٢).

والمرويات عن أهل البيت عليه السلام تشير إن طلب المغفره من الله تعالى يزيد في الرزق، وهو رحمه للخلق، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «وقد جعل الله الاستغفار سبباً لدرّ الرزق ورحمه الخلق، فقال سبحانه: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً» . فرحم الله أمراً استقبل توبته واستقال خطيئته، وبادر منيته»(٣). وأكد هذا المعنى صلوات الله عليه بالقول: «الاستغفار يزيد في الرزق»(٤)، وعنه عليه السلام: أيضاً «أستغفر ترزق»(٥).

وقد حذر أئمة أهل البيت عليهم السلام من الاستغفار جزافاً مع

ص: ١٧١

١- (١) نهج البلاغه / الحكمه رقم ١٣٥.

٢- (٢) الكليني / الكافي: ٤٣٧/٢.

٣- (٣) نهج البلاغه / الخطبه رقم ١٤٣.

٤- (٤) المجلسي / بحار الأنوار: ٢٧٧/٩٣.

٥- (٥) غرر الحكم / ٢٢٢٨.

الإصرار على الخطايا والذنوب وعدواً ذلك ذنباً مجدداً تاره، واستهزاء بالرب تاره أخرى، واستهزاء بالنفس سواهما.

فعن الإمام على عليه السلام أنه قال: «الاستغفار مع الإصرار على الذنب ذنوب مجدده»^(١).

وعن الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «المستغفر من ذنب ويفعله كالمستهزئ بربه»^(٢).

وعنه أيضاً: «من أستغفر بلسانه ولم يندم بقلبه فقد استهزأ بنفسه»^(٣).

وخير ما نختم به هذا الباب قوله تعالى: «وَ أَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسِينًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَيَّبٍ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۗ»^(٤).

ص: ١٧٢

١- (١) تحف العقول / ٢٢٣.

٢- (٢) المجلسي / بحار الأنوار: ٤٠١/٧٧.

٣- (٣) المصدر نفسه: ١٩٠/٧٨.

قال تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» .

والآيتان ناظرتان إلى مواقع البر للوالدين في أرفع منازل البر وأسمى الآداب التربويه، فقد قرن عبادته بالإحسان إليهما، وبرعايتهما عند الكبر أحدهما أو كلاهما، ولو وجدت كلمه في التضجر أدنى من كلمه «أفٍ» لأستعملها القرآن العظيم فضلاً عن أن ينهرهما بل يقول لهما قولاً كريماً مصاقباً لخفض الجناح لهما تذلاً، والدعاء لهما بالرحمه كما ربياه صغيراً.

وسأل ابن مسعود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أحب الأعمال إلى الله تعالى، فقال: «الصلاه على وقتها» قلت: ثم أى؟ قال: «بر

الوالدين»(١) فقرن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصلاه بوقتها ببر الوالدين، وأعتبرهما أحب الأعمال لله عز وجل، وفي هذا عبره لمن أعتبر وتذكره لمن تذكر.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«من برّ والديه طوبى له، زاد له في عمره»(٢).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد»(٣).

وفي مقابله المثل بالمثل روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«بروا آباءكم، يبركم أبناءكم»(٤).

وهذه مقاصه عجيبه تشهد عليها دلائل الآثار ومجريات الأحداث.

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال:

«بر الوالدين واجب، فإذا كانا مشركين فلا تطعهما ولا غيرهما في المعصيه، فإنه لا طاعه لمخلوق في معصيه الخالق»(٥).

وعن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: (إن الله عز وجل أمر بالشكر

ص: ١٧٤

١- (١) الترغيب والترهيب: ٣١٤/٣.

٢- (٢) الترغيب والترهيب: ٣١٤/٣.

٣- (٣) المصدر نفسه: ٣١٤/٣.

٤- (٤) المجلسي، بحار الأنوار: ٦٥/٧٤.

٥- (٥) الصدوق / الخصال / ٦٠٨.

له وللوالدين، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله(١).

وكما كان البر للوالدين واجباً في حياتهما، فالبر لهما بعد وفاتهما واجبٌ أيضاً وقد أشار له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل عن بر الوالدين بعد موتهما؛ فقال: نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصله الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقيهما(٢).

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«إن العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما، ثم يموتان فلا يقضى عنهما ديونهما، ولا يستغفر لهما، فيكتبه الله عاقاً، وإنه ليكون عاقاً لهما في حياتهما غير بار بهما، فإذا ماتا قضى عنهما دينهما وأستغفر لهما، فيكتبه الله عز وجل باراً(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أدنى العقوق (أف) ولم علم الله عز وجل شيئاً أهون منه لنهى عنه(٤).

وعنه سلام الله عليه في قوله تعالى: «وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ۗ»، قال: «لا تملأ عينيك من النظر إليهما ولا يدك فوق أيديهما ولا

ص: ١٧٥

١- (١) المصدر نفسه / ١٥٦.

٢- (٢) الترغيب والترهيب: ٣٢٣/٣.

٣- (٣) الكليني / الكافي: ١٦٣/٢.

٤- (٤) المصدر نفسه: ٣٤٨/٢.

تقدم قدامهما»(١).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه قال:

«يقال للعاق: اعمل ما شئت فإنى لا أغفر لك»(٢).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:

«عقوق الوالدين من الكبائر، لأن الله تعالى جعل العاق شقياً عصياً»(٣).

وعنه سلام الله عليه:

«من العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحد النظر إليهما»(٤).

وعن الإمام الهادى عليه السلام:

«العقوق يعقب القله ويؤدى إلى الذله»(٥).

وفى ظل الأبوه والبنوه قد نشاهد المفارقات، وقد تسود الفوضى - أحياناً - بين الإفراط والتقصير وقد يؤدى ذلك إلى العقوق من حيث لا يشعر الآباء والأبناء ومن حيث لا يشعرون، فقد روى عن الأمام الباقر عليه السلام أنه قال: «شر الآباء من دعاه البر إلى الإفراط، وشر الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق».

ص: ١٧٦

١- (١) الكلينى / الكافى: ١٥٨/٢.

٢- (٢) المجلسى / البحار: ٨٠/٧٤.

٣- (٣) الصدوق / علل الشرائع / ٤٧٩.

٤- (٤) الكلينى / الكافى: ٣٤٩/٢.

٥- (٥) المجلسى / بحار الأنوار: ٨٤/٧٤.

فهذا وجه واقع بين القصور والتقصير وقد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه والنمط الأفضل، والنمط الأوسط وهو الاقتصار من هذا وذاك إلى حدود معينه تميل إلى الاعتدال.

والمرء قد يحب ولده إلى درجة الهيام، وقد لا يلام على ذلك فالولد قطعه من الكبد، وقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن الله عز وجل ليرحم الرجل لشده حبه إلى ولده»^(١).

وهذا فضل كبير من الله عز وجل باحتضان هذا المستهام، والعطف عليه واللفظ به، والله هو اللطيف الخبير.

وقد قال رسول الله فيما يروى عنه: «الولد مجبته، مبخله، محزنه»^(٢).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«أولادنا صغراؤهم أمراؤنا، وكبرائهم أعداؤنا، فإن عاشوا فتنونا، وإن ماتوا أحزنونا»^(٣).

وروى عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

«من سعادته الرجل أن يكون له الولد يعرف فيه شبهه: خلقه وخلقه، وشمائله»^(٤).

ص: ١٧٧

١- (١) الكليني / الكافي: ٥٠/٦.

٢- (٢) المجلسي / بحار الأنوار: ٩٧/١٠٤.

٣- (٣) جامع الأخبار / ٢٨٣.

٤- (٤) الكليني / الكافي: ٤/٦.

وللأطفال العطف الخاص، واللغة الخاصه، والمعامله التي تناسب عمره، وقد ورد الحث على مجاراته بأولاعه.

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«من كان عنده صبي فليتصاب له»^(١).

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعتبر الحسن والحسين ريحانتيه، وهما صبيان، فقد روى جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحسن والحسين عليهما السلام على ظهره، وهو يجثو لهما، ويقول: «نعم الجميل جملكما، ونعم العدلان أنتما»^(٢).

والسعادة المركزيه للإنسان أن يرزقه الله عز وجل ولداً صالحاً وخلفاً مؤمناً، يكون عوناً له في حياته، وذكراً له بعد وفاته، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الولد الصالح ريحانه من ريحان الجنة»^(٣).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«الولد الصالح ريحانه من الله، قسمها بين عباده»^(٤).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

ص: ١٧٨

١- (١) الصدوق / من لا يحضره الفقيه: ٤٨٣/٣.

٢- (٢) المجلسي / بحار الأنوار: ٢٨٥/٤٣.

٣- (٣) الكليني / الكافي: ٣/٦.

٤- (٤) الكليني / الكافي: ٢/٦.

«من سعادته الرجل الولد الصالح»^(١).

وعن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

«ما سألت ربي أولاداً نُظِرَ الوجوه، ولا - سألته ولداً حسن القامه، ولكن سألت ربي أولاداً مطيعين لله وجلين منه، حتى إذا نظرت إليه وهو مطيع لله فرّت عيني»^(٢).

وفى هذا الضوء صدرت التوجيهات الحضارية لأهل البيت عليهم السلام بتأديب الولد والعناية بتربيته، وتحبيب المكرمات له، وحثه على اكتساب الفضائل.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم»^(٣).

وقد أشار النبي إلى خصال ثلاث مما ينبغي تأديب الأبناء عليها فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال:

«أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم وحب أهل بيته، وقراءه القرآن»^(٤).

وهناك حقان في الأبوة والبنوة، حق الوالد على الولد، وحق الولد

ص: ١٧٩

١- (١) المجلسي / بحار الأنوار: ٩٨/١٠٤.

٢- (٢) المصدر نفسه: ٩٨/١٠٤.

٣- (٣) المتقى الهندي / كنز العمال: الحديث (٤٥٤١٠).

٤- (٤) المتقى الهندي / كنز العمال: الحديث (٤٥٤٠٩).

على الوالد، ليجعل التكافؤ التربوي الأخلاقي بينهما، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل عن حق الوالد على ولده!! قال:

«لا يسميه باسمه، ولا يمشى بين يديه، ولا يجلس قبله، ولا يستسب له»^(١).

وعنه صلى الله عليه وآله أن رجلاً قال له: إن أبي يريد أن يستيح مالى! فقال صلى الله عليه وآله: «أنت ومالك لأبيك»^(٢).

وفى قبال هذا وضع الإسلام حقاً للولد على الوالد أشارت إليه الأحاديث الشريفه ونصّت عليه المرويات. فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من حق الولد على والده ثلاثه: يحسن اسمه ويعلمه الكتابه، ويزوجه إذا بلغ»^(٣).

وروى عنه صلى الله عليه وآله أنه قال:

«حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن موضعه، ويحسن أدبه».

وروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«تجب للولد على والده ثلاث خصال: اختياره لوالدته، وتحسين اسمه، والمبالغه فى تأديبه»^(٤).

ص: ١٨٠

١- (١) الكليني / الكافي: ١٥٩/٢.

٢- (٢) المتقى الهندي / كنز العمال: الحديث (٤٥٩٣٣).

٣- (٣) مكارم الأخلاق: ١/٤٧٥.

٤- (٤) المجلسي / بحار الأنوار: ٢٣٦/٧٨.

ومن أنفس الكلمات فى هذا المقام قول الإمام الصادق عليه السلام فقد روى عنه أنه قال: «بَرَّ الرجل بولده، بر بوالديه»(١).

ومن البر أن يأمر ولده بالتوجه لمعالى الأمور، ومن أبرزها طلب العلم فقد ورد عن الإمام على عليه السلام أنه قال: «مروا أولادكم بطلب العلم»(٢).

وينبغى للأب مساواة الأبناء فى العطايا والهبات؛ إلا أن يجد مسوغاً آخر فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أعدلوا بين أولادكم فى النحل، كما تحبون أن تعدلوا بينكم فى البر واللف»(٣).

وقد روى أن الإمام علياً عليه السلام قال:

«أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً له ولدان فقيل أحدهما وترك الآخر فقال صلى الله عليه وآله وسلم: فهلاً واسيت بينهما»(٤).

ومن مخلفات الجاهلية التى تمخر فى عباب الأذهان حتى اليوم الاعتداد بالأبناء والاستهانة بالبنات، وقد حذب أهل البيت عليهم السلام على درء هذه الظاهره والدعوه إلى النظر بموضوعيه لكل من الأبناء والبنات، فقد ورد

ص: ١٨١

١- (١) مكارم الأخلاق: ١/٤٧٥.

٢- (٢) المتقى الهنذى / كنز العمال: الحديث (٤٥٩٥٣).

٣- (٣) المجلسى / بحار الأنوار: ٨٤/٧٤.

٤- (٤) المتقى الهنذى / كنز العمال: الحديث (٤٥٣٤٧).

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«لا تکرهوا البنات فإنهن المؤمنات الغاليات»^(١).

وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال:

«البنات هنّ المشفقات المجيزات المباركات»^(٢).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«إن الله تبارك وتعالى على الإناث أرف منه على الذكور، وما من رجل يدخل فرحه على امرأه بينه وبينها حرمة إلا فرّحه الله تعالى يوم القيامة»^(٣).

وليكن ختام هذا الباب بما روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«البنون نعيم والبنات حسنة، والله يسأل عن النعيم ويثيب على الحسنات»^(٤).

وأما صلة الأرحام فقد ندب إليها الشرع وحث عليها الآثار النبويه، وتناولتها الأحاديث القدسيه.

وقد ورد في الأثر: «الأرحام معلقه بين السماء والأرض، تقول ربّ

ص: ١٨٢

١- (١) المصدر نفسه: الحديث (٤٥٣٧٤).

٢- (٢) المصدر نفسه: الحديث (٤٥٣٩٩).

٣- (٣) الكليني / الكافي: ٦/٦.

٤- (٤) الكليني / الكافي: ٧/٦.

صل من وصلني، وأقطع من قطعني».

وعلى صلة الأرحام تترتب الآثار الوضعية في استجابته فعل لفعل تقابل ردّه الفعل وما ورد في هذا الشأن تفضل من الله على العبد من جهة وإبرام للعقد الاجتماعي بين الأرحام في التواصل والتزاور والمحبة والوئام.

وهناك حدود دنيا في صلة الأرحام تحدث عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما روى عنه أنه قال:

«صلوا أرحامكم ولو بالسلام»^(١).

وهذا أدنى ما يوصل به الرحم، والسلام فاتحه كل خير، وهو تحية الإسلام ومظهر من مظاهر الدعة والأمان.

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال:

«صل رحمك ولو بشربه من ماء، وأفضل ما توصل به الرحم كف الأذى عنها»^(٢).

ونجد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يتحدث عن أقل ما يوصل به الرحم كما يتحدث عن أفضل ما يوصل به الرحم وهو كف الأذى وإماطة الشرور.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «سزّ سنه صل رحمك»^(٣).

ص: ١٨٣

١- (١) تحف العقول / ٥٧.

٢- (٢) الكليني / الكافي: ١٥١/٢.

٣- (٣) المجلسي / بحار الأنوار: ١٠٣/٧٤.

وهذا من أبلغ الانتداب لصله الأرحام أن تتجشم عناء مسيره عام.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«إن أعجل الخير ثواباً صلته الرحم»^(١).

وعن سيده نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام أنها قالت:

«فرض الله صلته الأرحام منمأة للعدد»^(٢).

وعن سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «من سره أن ينسأ في أجله، ويزداد في رزقه، فليصل رحمه»^(٣).

أما الإمام محمد الباقر عليه السلام، فقد أعطى لصلته الأرحام زخماً عالياً في إفاضه محاسن الأعمال، وجلائل الصفات والتأكيد على الجانب الخلقى والخلقى والنفسى فى حديثين بلغا القمه فى الدفع إلى صلته الرحم، والتوجه إليها فقد روى أنه قال:

١ - «صلته الأرحام تزكى الأعمال، وتنمى الأموال، وتدفع البلوى، وتيسر الحساب، وتنسى من الأجل»^(٤).

٢ - وقال عليه السلام: (صلته الأرحام تحسن الخلق، وتسمح الكف، وتطيب النفس، وتزيد فى الرزق، وتنسى من الأجل)^(٥).

ص: ١٨٤

١- (١) الكلينى / الكافى: ١٥٢/٢.

٢- (٢) المجلسى / بحار الأنوار: ٩٤/٧٤.

٣- (٣) المجلسى / بحار الأنوار: ٩١/٧٤.

٤- (٤) الكلينى / الكافى: ١٥٠/٢.

٥- (٥) المصدر نفسه: ١٥٢/٢.

أما سيدنا ومولانا الإمام على الهادى عليه السلام فأورد ما أوحى إلى موسى فى جزء من وصل رحمه، فقدر روى أنه - عليه السلام - قال:

«لما كلم الله عز وجل موسى بن عمران عليه السلام قال موسى: إلهى.. ما جزء من وصل رحمه؟ قال: يا موسى أنسىء أجله؟ وأهون عليه سكرات الموت»^(١).

ويقابل هذا الملحظ فى صله الرحم قطيعه الرحم وقد ذمت ذمماً جذرياً فى تراث أهل البيت الإنسانى، وحذرت الأحاديث عنهم من قطع الرحم، وإلغاء الصلات القائمة على الحب المتبادل والتعاون المشترك والالتقاء فى الله، وأول ما يفجأنا الكتاب العزيز بذلك، قال الله تعالى:

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ۗ» .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«إن الملائكة لا تنزل على قوم فىهم قاطع رحم»^(٢).

وعن إمام المتقين وقائد الغر المحجلين الإمام على عليه السلام أنه قال:

«إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال فى أيدي الأشرار»^(٣). وهذا إنذار

ص: ١٨٥

١- (١) الصدوق / الأمالى: ٢٧٦.

٢- (٣) المتقى الهندي / كنز العمال: الحديث (٦٩٧٤).

٣- (٤) الكليني / الكافي: ٣٤٨/٢.

لقاطعى الرحم من رحيل الأموال عنهم إلى أيدي شرارهم.

وقد أعتبر الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قطيعه الرحم من الذنوب التى تعجل بالفناء والإباده وهو متساق مع ما تقدم بأن صلته الرحم تنسى من الأجل فقد روى عنه أنه قال:

«الذنوب التى تعجل الفناء قطيعه الرحم»^(١).

وأرقى أنواع الصله أن تصل من قطعك من الأرحام وفى ذلك صد للهوى ومغالبه للنفس، وإرغام لوازع السوء، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«لا تقطع رحمك وإن قطعتك»^(٢).

وقد وصف الإمام الحسين بن على عليه السلام من وصل من قطعه من الأرحام بأنه أوصل الناس، فقال:

«إن أوصل الناس من وصل من قطعه»^(٣).

ص: ١٨٦

١- (١) المجلسى / بحار الأنوار: ٩٤/٧٤.

٢- (٢) الكلينى / الكافى: ٣٤٧/٢.

٣- (٣) المجلسى / بحار الأنوار: ٤٠٠/٧٤.

إشاره

هناك الأخلاق الكريمة، والسجايا النبيله، ومسالك الوعى الرفيع، وهنالك ما يقابل هذا فى الصفات الذميمة والعادات الوضيعه، مما نعهه تخلفا عن الركب الحضارى الذى اضطلع به القران العظيم، ودعت إليه السنه الشريفه، وسوء التربيه هو الذى يقود إلى تلك الصفات اللا إنسانيه والمزايا اللا أخلاقيه.

ومحاسن الأخلاق كثيره تقود البحث عنها، ومساوئ الأخلاق كثيره أيضاً اقتصرنا منها على آفه العصر لى ناقصى العقول وفاقدى الأصاله، والسائرين على خطى الجهله والمغرورين الذين بدلوا وغيروا، فلا وازع من ضمير، ولا مانع من عقل، ولا رادع من تفكير سليم، اقتصرنا الحديث عن الغيبه والحسد والعجب، لان هذه النزغات مما ينخر فى جسم الأمه عبثا وصلفا وطغيانا، وكانت أحاديث أهل البيت عليهم السلام منصّبته على مكافحه هذه

الآفات الثلاث، بغيه توجيه الأمة توجيهاً تربوياً يتماشى مع تعليمات الإسلام، ويحقق للمجتمع المسلم أنشودته في الوحدة والانسجام وتهذيب السلوك.

إن أعرق الأمم تحضراً، واسبقها إلى الثقافه النفسيه، تنكر أشد الإنكار تلك السقطات اللا مسؤوله في التربيه المضاده للنهج القويم والفكر الصاعد، فكيف برسالة السماء التي اضطلع بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأئمه أهل البيت عليهم السلام وهم يناون بالإنسان المسلم عن التهافت في مزالق عقيمه لا قدم لها ولا قدم في الحياه الحره الكريمه، وهم يريدون إنقاذ الأجيال وصيانتها من الانخراط في متاهات لا- أول لها ولا آخر، وهم يدأبون على تلاقح النفس بومضات الأخلاق الإنسانيه للارتفاع بمستواها وشموخها عن الحضيض الأوهدي إلى الشموخ والارتقاء حيث العزه والكرامه والنظام التربوي الأمثل.

في هذا الضوء سيلخص البحث ظواهر الانحطاط الثلاث ومكافحتها بإيجاز:

١ - الغيبه

والغيبه سلاح من لاسلاح في إصلاح المجتمع وإنقاذ الأمه، ففاقد الشيء لا يعطيه، والناظر في شؤون الآخرين لا يرأف بنفسه الأماره بالسوء عن الانشغال بعيوبها دون عيوب الآخرين.

والغيبه أن تذكر أخاك بما يكره في ظهر الغيب، وتظهر العيوب فيه، إذ

ربما يتوب عنها، ويقلع منها، فليست أوقات المرء سواء في الفعل ورد الفعل، وقد يجوز اغتيال الفاسق بما يجاهر به من المعاصي لإضائه الطريق بين يدي المجتمع في ذلك، ولا تجوز غيبته بأكثر مما عمل وفعل.

أما الافتراء على الآخرين، والكذب عليهم، وتعمد الزور وقوله في حقهم، فهو من البهتان العظيم، وهو إحدى الكبائر.

وقد نهى عن الغيبة القرآن العظيم بأمر صارم جازم، أعقبه بتشبيه تمثيلي مبتكر من الوجهتين النفسيه والبلاغيه.

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾» .

وقد جمعت هذه الآيه التوجيهات الكبرى من اجل حياه أفضل ونظام أكمل، فحرمت السخرية على الرجال والنساء، فربما كانوا خيراً منهم ومنهن، وحرمت اللمز والتنابز بالألقاب واعتبرت كل أولئك مما يطلق عليه اسم الفسوق وهو بئس الاسم بعد الإيمان.

وجاءت الآيه إلى الغيبه ونهت عنها مشدداً، وجعلت ذلك بمثابة أن

يأكل المرء لحم أخيه ميتاً!! وهى كراهه ما بعدها كراهه. وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد سئل عن كفاره الاغتياى، فقال: «تستغفر لمن اغتبتك كلما ذكرته»(١).

وقال: «إذا اغتاب أحدكم أخاه فليستغفر الله، فأنها كفاره له»(٢).

وتقاطرت أحاديث أهل البيت عليهم السلام فى ذم الغيبه والنهى عنها، وكونها ماحقة للأعمال، ومغيرة لأحوال الطاعات، فى الانتقال من صاحبها إلى المغتاب فى الميزان، وحكم سماع الغيبه، وثواب ردّ الغيبه، ومن يجوز اغتيايه إلى آخر هذه المفردات!!

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«مررت ليله اسرى بى على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم، فقلت: يا جبرائيل، من هؤلاء؟، فقال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى أعراضهم»(٣).

وقد قارن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الغيبه والزنا، واعتبر الغيبه اشد من الزنا، والزنا أهون من الغيبه، وقد علل ذلك، فقال: الغيبه اشد من الزنا. قيل: وكيف؟، قال: الرجل يزنى ثم يتوب فيتوب الله عليه، وان صاحب الغيبه لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه»(٤)!!

ص: ١٩٠

١- (١) الكلينى / الكافى: ٣٥٧/٢.

٢- (٢) المتقى الهنذى / كنز العمال: الحديث (٨٠٣٧).

٣- (٣) تنبيه الخواطر: ١١٥/١.

٤- (٤) الترغيب والترهيب: ٥١١/٣.

وقد اعتبر أمير المؤمنين عليه السلام «الغيه سلاح العاجز»^(١).

وهو أوجز تعبير لأبشع الأعمال، فهي سلاح من لا سلاح له.

وقال سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام لرجل اغتاب عنده رجلاً!! (يا هذا، كف عن الغيبة، فأنها أدام كلاب النار)^(٢).

وقد عُد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إن من يستغيب أحداً سيستغيبه آخر، ومن حفر بئراً لأخيه وقع فيه، وكما تدين تدان!!، فقال عليه السلام: «لا تغتب فتغتب، ولا تحفر لأخيك حفره فتقع فيها، فأنتك كما تدين تدان»^(٣).

ومن نبيل الإمام زين العابدين عليه السلام، وفضائل أخلاقه العليا: أن قال له رجل: إن فلانا ينسبك إلى أنك ضال مبتدع!، فقال عليه السلام: ما رعيت حق مجالسه الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه!! إياك والغيه فأنها أدام كلاب النار.. واعلم أن من أكثر من ذكر عيوب الناس شهد عليه الإكثار أنه إنما يطلبها بقدر ما فيه»^(٤).

وتحدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن إسراع الغيبة في دين المسلم، وما تفعل فيه، وعن عدم تقبل عمل المستغيب من صلاه وصيام مده

ص: ١٩١

١- (١) نهج البلاغه / الحكمه رقم: ٥٦١.

٢- (٢) تحف العقول / ٢٤٥.

٣- (٣) المجلسي / بحار الأنوار: ٢٤٩/٧٥.

٤- (٤) المجلسي / بحار الأنوار: ٢٤٦/٧٥.

زمنيه حدها، إلا- أن يغفر له صاحبه، وعن إعطائه كتابه ولا حسنات فيه لأنها ذهبت باغتياب الناس وذلك في ثلاثه أحاديث:
الأول: «الغيبه أسرع في دين الرجل المسلم من الأكله في جوفه»(١).

الثاني: «من اغتاب مسلماً أو مسلمه لم يتقبل الله صلواته ولا صيامه أربعين يوماً وليله، إلا أن يغفر له صاحبه»(٢).

والثالث: «يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله ويدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته، فيقول: الهى ليس هذا كتابى!! فانى لا أرى فيها طاعتي؟ فيقال له إن ربك لا يغفل ولا ينسى، ذهب عملك باغتياب الناس، ثم يؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيره!! فيقول: الهى ما هذا كتابى، فانى ما عملت هذه الطاعات، فيقال له: لأن فلاناً اغتابك فدفعت حسناته إليك»(٣).

وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معنى الغيبه وفرق بينها وبين البهتان، فقد روى انه قال لأبى ذر رضى الله عنه «يا أبا ذر، إياك والغيبه فان الغيبه أشد من الزنا... قلت: يا رسول الله وما الغيبه؟ قال: ذكرتك أخاك بما يكره قلت: يا رسول الله فان كان فيه ذاك الذى يذكر به؟، قال: أعلم إنك إن ذكرت بما هو فيه فقد اغتبتته، وإذا ذكرت بما ليس فيه فقد بهتته»(٤).

ص: ١٩٢

١- (١) الكليني / الكافي: ٣٥٧/٢.

٢- (٢) المجلسي / بحار الأنوار: ٢٥٨/٧٥.

٣- (٣) جامع الأخبار: ٤١٢.

٤- (٤) المجلسي / بحار الأنوار: ٨٩/٧٧.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.. أنهم ذكروا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً فقالوا: لا يأكل حتى يطعم، ولا يرحل حتى يُرحل له، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اغتتموه، فقالوا: يا رسول الله، إنما حدثنا بما فيه!، قال: حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه»(١).

وعن الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام انه قال:

«من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يغبه، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه ولم يعرفه الناس اغتابه»(٢).

نعم تجوز الغيبة للفساق المتجاهر في فسقه، ولمن ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «أربعة ليست غيبتهم غيبه: الفاسق المعلن بفسقه، والإمام الكذاب، إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يغفر، والمتفكهون بالأمهات، والخارج عن الجماعه الطاعن على أمتي الشاهر عليها بسيفه»(٣).

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهتك الفاجر حتى يحذره الناس، فقال: «حتى متى ترعوون عن ذكر الفاجر؟؟ أهتكوه حتى يحذره الناس»(٤).

وقد نهى أمير المؤمنين عليه السلام عن سماع الغيبة، وتنزيه السمع عنها،

ص: ١٩٣

١- (١) غرر الحكم / ١٠١٧.

٢- (٢) غرر الحكم / ٥٢٤٢.

٣- (٣) بحار الأنوار: ٢٦١/٦٤.

٤- (٤) كنز العمال: ٨٠٧٤.

وتبعه حفيده مزين العابدين عليه السلام على ذلك.

قال أمير المؤمنين عليه السلام وقد نظر إلى رجل يعتاب رجلاً عند ابنه الإمام الحسن عليه السلام «يا بني نزه سمعك عن مثل هذا؛ فإنه نظر إلى أخبث ما في وعائه فأفرغه في وعائك»^(١).

وعن زين العابدين الإمام على بن الحسين عليه السلام أنه قال: حق السمع تنزهه عن سماع الغيبة، وسماع ما لا يحل سماعه»^(٢).
وينبغي لسامع الغيبة أن يردها عن المغتاب، وفي ذلك الثواب الجزيل من الله تعالى، فإن خذله الله في الدنيا والآخرة وذلك ما تضمنه حديثان شريفان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يروى عنه:

«من تطول على أخيه في غيبه سمعها فيه في مجلس فردها عنه، ردّ الله عنه ألف باب من سوء في الدنيا والآخرة»^(٣).

وعنه صلوات الله عليه انه قال: من اغتیب عنده أخوه المسلم فاستطاع نصره فلم ينصره، خذله الله في الدنيا والآخرة»^(٤).

ونختم هذا المبحث بقول أمير البلغاء وسيد الوصيين الإمام على عليه

ص: ١٩٤

١- (١) الاختصاص: ٢٢٥.

٢- (٢) كتر الفوائد: ١٣٦/١.

٣- (٣) غرر الحكم / ١٥٥٠.

٤- (٤) المجلسي / بحار الأنوار: ٢٥٦/٧٣.

السلام فيما يروى عنه «السامع للغيه كالمغتاب»(١).

٢ - الحسد

فى سالف أقوال الحكماء «قاتل الله الحسد ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله». وهذا أمر واقع، فالحسود ضيق العطن، مضطرب النفس، معذب الضمير، وهذا القول أخذ عن أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام الذى عالج ظاهره الحسد، وأفاض القول فيها فى مؤثراتها النفسية، ومؤثراتها القاتلة، فقال:

«لله در الحسد ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله»(٢).

والحاسد والعياذ بالله غاضب على من لا ذنب له، وحاقد على من لا أمر بيديه، يتمنى زوال نعمه أخيه، ويسخط على أفضال الله عليه، فهو عاتب على القدر، وواجد على القضاء، والأمور بيد الله، وفرق بين الحسد والغبطه، الحسد عقده مستعصيه لا تنحل عند صاحبها إلا- بزوال نعمه الآخريين، والغبطه أن يتمنى المرء ما لأخيه دون حسد له، وان يعطى ما أعطى من النعم أو الجاه أو المقتنيات أو المنزله، لهذا ورد «إن المؤمن يغبط ولا يحسد».

وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال الله - عز وجل - لموسى بن عمران: إن الحاسد ساخط لنعمى، صاڈ لقسمى الذى قسمت بين عبادى»(٣).

ص: ١٩٥

١- (١) الصدوق / الخصال / ١٢١.

٢- (٢) شرح نهج البلاغه: ٣١٦/١.

٣- (٣) الكلينى / الكافى: ٣٠٧/٢.

وقد وقف أمير المؤمنين الأمام على - عليه السلام - عند ظاهره الحسد، وعند الحاسدين موقفاً دقيقاً متأنياً في عدّه أحاديث مؤثّره، تكشف عن واقع زيف الحاسد، ونتائج الحسد المريره، وإفرازات هذه الظاهر على الروح والجسد والسلوك، وقد أعطى لذلك خلاصه تجاربه الأخلاقيه، وثمره جهوده في إصلاح الأمه.

فقال عليه السلام «الحسود لا يسود»^(١).

إذ الحسد آفه مانعه من السياده، فالسيّد ينظر إلى الناس نظره متساويه الأبعاد، فإذا جنح وظلم وحسد نفيت عنه السياده كامله، وعاد من الظلمه القاسطين.

وقال عليه السلام «رأس الرذائل الحسد»^(٢).

وهذا أمر طبيعي، لأنه مضادٌ للطبيعه الإنسانيه، فالله هو الواهب وهو المعطى، ومن جحد ذلك حظى من الرذائل برأسها، ومن الأمراض بشرها، فعنه - عليه السلام - «الحسد شر الأمراض»^(٣).

والروح ينبغي أن تتعاش في أفاق فسيحه هادئه مطمئنه، أما إذا واكبها الحسد، فهي في سجن، فعنه عليه السلام «الحسد حبس الروح»^(٤).

ص: ١٩٤

١- (١) غرر الحكم / ١٠١٧.

٢- (٢) المصدر نفسه / ٥٢٤٢.

٣- (٣) المصدر نفسه / ٣٣٢.

٤- (٤) المصدر نفسه / ٣٧٢.

وما يجنيه الحاسد أن يخسر الدنيا والآخرة، وإن تكون ثمره حسده شقاء الدنيا والآخرة، فعنه عليه السلام: «ثمره الحاسد شقاء الدنيا والآخرة»^(١).

وهناك مفارقة عجيبة أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام أن يرى الحاسد زوال نعمه أخيه نعمه عليه، فقال صلوات الله عليه: «الحاسد يرى أن زوال النعمة عن من يحسده نعمه عليه»^(٢).

وحسب الحاسد ما يلقي من تأنيب الضمير، أن كان له ضمير يعقل فيه، وحسبه أن يكون كثير الحسرات، مضاعف السيئات، وحسبه قلبه الهائم، وحزنه اللازم، ونفسه الدائم فعنه عليه السلام «حسب الحاسد ما يلقي»^(٣).

وقال عليه السلام: «الحسود كثير الحسرات، مضاعف السيئات»^(٤).

وقال عليه السلام: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد: نفس دائم، وقلب هائم، وحزن لازم»^(٥).

ومن علامات الحاسد ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قال لقمان لابنه: للحاسد ثلاث علامات: يغتاب إذا غاب، ويتملق إذا شهد، ويشمت بالمصيبة»^(٦).

ص: ١٩٧

١- (١) غرر الحكم / ٤٦٣٢.

٢- (٢) غرر الحكم / ١٨٣٢.

٣- (٣) كنز الفوائد: ١/١٣٦.

٤- (٤) غرر الحكم / ١٥٢٠.

٥- (٥) المجلسي / بحار الأنوار: ٢٥٦/٧٣.

٦- (٦) الصدوق / الخصال: ١٢١.

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالتكتم فى قضاء الحوائج حذر الحسد على النعمه، فيروى أنه قال صلوات الله عليه واله: «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان، فان كل ذى نعمه محسود»^(١).

وتحدثت الآثار عن أئمة أهل البيت عن علاقة الحسد بالتأثير على الإيمان من جهه، وعلاقه الحسد بالكفر، وكون الكفر أصله الحسد «إن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»^(٢).

وقال الأمام جعفر الصادق عليه السلام فيما يروى عنه: «إياكم أن يحسد لبعضكم بعضاً» فان الكفر أصله الحسد»^(٣).

وهذا غيض من فيض مما ورد فى الحسد من آثار، حسبنا فى ذلك كله قوله تعالى أمراً بالاستعاذه [«وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ»^(٤)]

٣ - العُجب

وإعجاب المرء بنفسه أو بعمله أو بأدائه الواجبات والفرائض دليل الجهل المركب، ومعيار الحمق المستحکم، فما للإنسان وللعجب، وما له والاعتزاز بما قدم، وما له واليه على الآخرين، ومن ظن أن الله لم يخلق مثله ذاتاً وعلماً وكياناً فقد أخطأ فى التقدير، وضل عن صواب الطريق، فله فى خلقه

ص: ١٩٨

١- (١) شرح نهج البلاغه: ٣١٦/١.

٢- (٢) الكليني / الكافي: ٣٠٦/٢.

٣- (٣) المصدر نفسه: ٨/٨.

٤- (٤) سورة الفلق / ٥.

شؤون، وللمرء فى ذلك عظة واعتبار، فعن الإمام على عليه السلام أنه قال: «من أعتبر أبصر، ون أبصر فهم، ومن فهم علم»(١).

والمرء بشخصه خبير، وهو على نفسه بصير، يعرف أولاهه ودواعيه والعجب يعنى الشموخ والتعالى والانتفاخ ويقابله الاعتبار الذى يودى إلى الاستبصار، فقد روى عن الإمام على عليه السلام قوله: «دوام الاعتبار يودى إلى الاستبصار، ويثمر الازدجار»(٢).

أما السادر فى غيه، والسائر على غير هدى، فيظل فى أرجوحه من التفكير الواهن، والزهو المصطنع، غير عارف بحقيقه ما كان وما سيكون عليه، وما هو عليه فى الحال، ولقد قال أمير المؤمنين على عليه السلام: «ما لابن آدم والعجب، وأوله نطفه منذره، وآخره جيفه قدره، وهو بين ذلك يحمل العذره»(٣).

وقد أستقطب أمير المؤمنين عليه السلام فى حكمه وأثاره وما روى عنه، ظواهر هذا الاستفزاز العجيب فى العجب، وله فى ذلك أحاديث قل أن يعيها هؤلاء الغارقون فى بحر من الأوهام الكاذبه. قال الإمام على عليه السلام فى عده حكم تجرى مجرى الأمثال، بل هى أمثال سائر مدى الحياه، منها:

١ - «الإعجاب ضد الصواب، وآفه الألباب»(٤).

ص: ١٩٩

١- (١) نهج البلاغه / الحكمه، رقم ٢٠٨.

٢- (٢) غرر الحكم / ٥١٥٠.

٣- (٣) غرر الحكم / ٩٦٦٦.

٤- (٤) تحف العقول / ٧٤.

٢ - «لا وحده أوحش من العجب» (١).

٣ - «العجب يفسد العقل» (٢).

٤ - «العجب حمق» (٣).

٥ - «الإعجاب يمنع الازدياد» (٤).

٦ - «الإعجاب يظهر النقيصه» (٥).

٧ - «ثمره العُجب البغضاء» (٦).

٨ - «سينه تسوؤك خير عند الله من حسنه تعجبك» (٧).

٩ - «إياك أن ترضى عن نفسك فيكثر الساخط عليك» (٨).

وهذا غيض من فيض مما وقفنا عليه في ذم العجب، مما أفاض به أمير المؤمنين الأمام على عليه السلام، وقد سار على هداه أئمه أهل البيت عليهم السلام في هذا الاتجاه. فعن الإمام الباقر عليه السلام أو الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى يقول: إن من عبادى من يسألنى الشىء من

ص: ٢٠٠

١- (١) نهج البلاغه / الحكمه، رقم ١١٣.

٢- (٢) غرر الحكم / ٧٢٦.

٣- (٣) نهج البلاغه / الحكمه / ٦٢.

٤- (٤) المصدر نفسه / ١٦٧.

٥- (٥) غرر الحكم / ٩٥٤.

٦- (٦) غرر الحكم / ٦٤٠٦.

٧- (٧) نهج البلاغه / الحكمه، رقم ٤٦.

٨- (٨) غرر الحكم / ٢٤٦٢.

طاعته لأحبه، فأصرف لك عنه لكي لا يعجبه عمله»(١).

ويحذر الإمام الصادق عليه السلام من الهلاك لمن تداخله العجب فروى عنه أنه قال: «من دخله العجب هلك»(٢).

وينبغي للمرء أن يستقل الخير من نفسه، ويستكثر قليل الخير من غيره، فلا يساوره العجب في نفسه، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال - في صفة العاقل - : «يستكثر قليل الخير من غيره، ويستقل كثير الخير من نفسه»(٣).

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «استقل من نفسك كثير الطاعة لله، إزراءً على النفس، وتعرضاً للعفو»(٤).

وعنه - عليه السلام - أيضاً «سدّ سبيل العجب بمعرفة النفس»(٥).

عن الإمام الصادق عليه السلام «أن كان الممر على الصراط حقاً، فالعجب لماذا؟». «قال إبليس - لعنه الله عليه - لجنوده: إذا إستمكنك من ابن آدم في ثلاث لم أبال ما عمل، فإنه غير مقبول منه: إذا أستكثر عمله، ونسى ذنبه، ودخله العجب».

وبهذا الملخص الموجز ننهي الحديث عن العجب آفة النفوس والحمد لله تعالى أولاً وآخراً.

ص: ٢٠١

١- (١) حميد الحسيني / منتخب ميزان الحكمه / ٤٠٦، وانظر مصدره.

٢- (٢) الكليني / الكافي: ٣١٣/٢.

٣- (٣) الصدوق / الخصال / ٤٣٣.

٤- (٤) تحف العقول / ٢٨٥.

٥- (٥) الصدوق / الأمالي / ٥٦.

الفصل الثالث: المثلُ المتقابله

اشاره

- ١ - الرساله.. واستعلاء الطواغيت.
- ٢ - ظواهر الابتلاء.. وعوائد العافيه.
- ٣ - مكاره الدهر.. وانتظار الفرج.
- ٤ - ارتكاب الذنوب. والغفله عن ذكر الله

ص:٢٠٣

فى مسيره أهل البيت الرساليه - ابتداءً من الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانتهاءً بصاحب الأمر عجل الله فرجه - وفى ظل قيادتهم للأمة بحكمه وأناه ومعالجتهم الأوضاع بصبرٍ وترصد، كان الطواغيت فى حضور لا إنسانى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام منذ أن صدع بالرساله. وقام بدور البشير النذير، ومنذ أن نصب أهل بيته عليهم السلام علماءً للأمة ومناراً للإسلام، وقاده للبشريه، فهاهى قريش تتبع الرسول الأعظم خطوه خطوه، وما جرى عليه من الأذى والاستفزاز والتشريد قد لا تستوعبه هذه السطور إلا على سبيل النموذج حتى قال صلوات الله عليه: «ما أودى نبى مثلما أوديت» أو كما أوديت.

وحيثما نجيل النظر فيما جرى على الأنبياء والمرسلين من ذى قبل على يد أممهم من القتل والتشريد والتسفيه والمقاطعه والمنابذه يمتلكك هول ما وقع على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المحن والإحن فمنذ أن جمع

عشيرته الأقربين فانذرهم وحذرهم وأمرهم بالتوحيد، صاح أبو لهب: ألهذا جمعتنا يا محمد؟ تباً لك ولما جمعتنا له، فتفرق الجمع ونزلت سورة المسد.

ونزل القرآن العظيم، فرمى بالجنون تاره والسحر تاره أخرى، وأدعى عليه أنه شاعر وقالوا عن القرآن انه أساطير الأولين، وقاطعوا النبي ونابذوه، وحصروه في شعب بنى هاشم، وكتبوا الصحيفة السوداء في المقاطعه للنبي وبنى هاشم، وفعلوا الأفاعيل بالمستضعفين من أوليائه وأتباعه، ووضعوا الفرث والسلا على ظهره، وهو في الصلاة.. فعن ابن مسعود، قال:

«بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلى عند الكعبه وأبو جهل وأصحابه جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل لعنه الله: أيكم يقوم إلى سلا الجزور فيلقيه على كتفى محمد إذا سجد فأنبعث أشقى القوم فأخذه وأتى به، فلما سجد صلوات الله عليه وضع بين كتفيه السلا والفرث والدم، فضحكوا ساعه وأنا قائم أنظر، فقلت: لو كان لى منعه لطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والنبي ساجد يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمه عليه السلام فجاءت وطرحتة عن ظهره، ثم أقبلت عليهم فسبتهم.

فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة رفع يديه فدعا عليهم، وقال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات.. فلما سمع القوم صوته ودعائه ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته... وكان من دعائه أن قال: «اللهم عليك بأبى جهل وعتبه وشيبهه وربيعه وأميه بن خلف». فقال على

عليه السلام: «والذي بعث محمداً بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر».

وهكذا كانت البدايه حتى إذا نزلت سوره النجم، قيل إن عتبه بن أبي لهب قال للنبي: «كفرت برب النجم!!»، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أما تخاف أن يأكلك كلب من كلاب الله؟» ثم خرج بعد أيام للنجاره مع أبيه وجماعه من قريش، ثم نزلوا منزلاً فسمعوا صوت أسد مقبل عليهم ففزعوا، وكان أشدهم فزعاً عتبه، فإنه قال لهم: إني مأكول بدعاء محمد!! فاجتمعوا حوله وفرشوا له في مكان مرتفع وأحاطوا به وأبو لهب يقول يا معشر قريش أعيوننا هذه الليله، فإني أخاف على ابني من دعوه محمد. فلما جاء الأسد تشمم وجوههم إلى أن وصل إلى عتبه فأترسه ما بينهم.

وما انتهت هذه الاستفزازات المضنيه إلا بالهجره بعد أن قررت قريش انتداب بطل من أبطال كل قبيله عربيه للهجوم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بياتاً، ففداه على عليه السلام بنفسه وبات في فراشه وغادر النبي مكه مهاجراً إلى المدينه المنوره.

وما عرض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرض أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام فقد عزل عن قياده الأمه وقامت مرجعيه الصحابه حتى إذا ولي الأمر بعد فتنه عثمان ومقتله، وهو كاره، ثم انحرفت المسيره في ظلال كثيفه، وطبيعيه إرادته العوده بالإسلام إلى ينايحه الأولى كان ذلك

عملية شاقه أنجبت له انتفاض طلحه والزبير بقياده أم المؤمنين عائشه، كما انتجت له طمع معاويه بالخلافه، وهو ليس هناك حتى قال أمير المؤمنين فيما يروى عنه «أنزلنى الدهر حتى قيل: علئى ومعاويه».

وبعد حرب طاحنه سقطت فيها الرؤوس وندرت الأيدى وخلعت الأكتاف وطارت الأطراف قام الحكمان الضالان المضلان عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري، فحكما بغير حكم الله، وقامت فتنه الخوارج على قدم وساق بشعار: «لا حكم إلا لله»، وكانت كما قال أمير المؤمنين: «كلمه حق يراد بها باطل» وكانت الحرب الضروس التي تهاوت فى نفوس القوم.

وقد صور أمير المؤمنين عليه السلام ذلك فقال: «فلما نهضت بالأمر نكثت طائفه، وقسطت أخرى، ومرق آخرون.

وانتهى الأمر بأمر المؤمنين إلى المؤامره الثلاثيه بقياده الخوارج ومعاويه والطابور الخامس المتربص بأمر المؤمنين عليه السلام، وذهب أمير المؤمنين شهيد عظمته وقتيل عدالته وخسرت الإنسانيه برحيله قائداً عملاقاً، ومفكراً عالمياً، وعبقرياً رسالياً، وبطلاً مجرباً، وعادلاً حراً كريماً، وزاهداً ورعاً متمرساً.

حتى إذا نهض بالأمر الإمام الحسن عليه السلام حيكت حوله المؤامرات من كل حدب وصوب، وحشد معاويه عليه سيلاً من العيون والجواسيس يراقبون حركاته وسكناته، ويهيئون الطريق سالكه إلى المؤامره الكبيره بإقصاء هذا الإمام المفترض الطاعه عن قياده الأمه والحكم، وتجراً عليه أصحاب

المطامع والانتهازيون، فضرب على فخذة بالمغول، وسحبت سجاده صلاته من تحته، وكاد أن يقتله الخوارج وحملوا عليه بالقول: «أشركت كما أشرك أبوك من قبل يا حسن» فمنعه أصحابه وداوى جراحاته في المدائن، حتى انتهت حياته بالغصص بين معاويه وأعداء أهل البيت.

وكان الطواغيت من ملوك الأمويين وخلفاء الجور من العباسيين، ومن تبعهم من الظلمه والحكام وطائفه كبرى من وعياظ السلاطين، يتحينون الفرص بالأئمه الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأوجب مودتهم بنص القرآن العظيم، وتتبعوا أولياءهم تحت كل حجر ومدبر، وألحقوا بهم الشر المستطير، فحرموا الأرزاق، وقطعت الأعناق، وهدمت البيوت وصودرت الممتلكات، وحشدوا لذلك شتى الأساليب للغض من منزلتهم، والإهانه والاستخفاف بأشرافهم، حتى انتهى بهم المطاف إلى القتل والتعذيب والتشريد، وخنق الأصوات، وكم الأفواه.. والناس بين ناظر مستنكر في قلبه وعابر سبيل لا يهمله من الأمر شىء.. ومتحرق غضباً على ما يشاهد من استعلاء الباطل، وتوارى مشاهد العدل والحق، وكانت مصارع أهل البيت فى الطفوف، والكوفه، وفخ، والجوزجان، وباخمري، والمدينه المنوره، شواهد على هذا الاستفزاز ومعالم فى الطريق على ذاك العدو المستديم.

وكان الصراع بين الهاشميين والأمويين يمثل نموذجاً صارخاً على تلك الأحابيل المتعدده فى تشابك أسلاكها وترابط أدوارها، فوقف أبو سفيان فى

وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى غزوات قريش وحروبها وأحزابها وأحبيشها، وكان معاوية رأس الضلال فى حرب أمير المؤمنين، والصادق عن سبيل الله فى مجابهة أمير المؤمنين فى قيادته للأمة، وفى انتزاع الأمر - بالكيد والغدر والرشوات - من الإمام الصابر المظلوم الحسن بن على عليه السلام.

وكان يزيد بن معاوية قد سبق إلى أفضح جريمه فى تاريخ الإسلام، وذلك بقتله للإمام الحسين بن أمير المؤمنين عليهما السلام، واستئصال أهل بيته وأصحابه فى كربلاء، بما أوضحنا أبعاده كاه فى كتابنا «الإمام الحسين عملاق الفكر الثورى» ضمن موسوعه أهل البيت الحضاريه.

والصراع بين أهل البيت وبنى أميه صراع مبدأى، وقد أبان الإمام جعفر الصادق عليه السلام حقيقه جذوره المتأصله، فقال: «نحن وآل أبى سفيان تعايننا فى الله قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله».

وكان الإمام الحسين عليه السلام فى ثورته قد صوّر أبعاد هذا الصراع على حقيقته، وذلك عند وضع اللمحات المؤشره لأراجيف الأمويين، وأبان صلابه المبدأ فى مجابهتهم مما سجّله التأريخ السياسى والعقائدى بأحرف من نور، وذلك بحمله من التصريحات المهمه فى الموضوع، وكان من أبرزها.

١ - «ألا وإنى لا أرى الموت إلا سعادة، والحياه مع الظالمين إلا برماً».

٢ - «والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد».

٣ - «ألا وإن الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين بين السله والذله،

وهيهات منا الذله، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون».

واستطال مجد الإمام الحسين عليه السلام فى ظل هذه الصلابه، وفى ضوء هذا الثبات المرّ، فهو أبى الضيم دون منازع.

قال ابن أبى الحديد: «وسيد الأباه جميعاً والذى علم الناس كيف يختارون الموت مع العز، وتحت ظلال السيوف على الحياه مع الذل، هو أبو عبد الله الحسين عليه السلام».

وفى هذا السياق يقول النابغه جبران خليل جبران:

«لم أجد كالحسين فى سجل مجد البشريه بدمائه».

ونرى المهاتما غاندى محرر الهند متحدتاً عن النصر الذى أحرزه الإمام الحسين عليه السلام مستقبلياً بظلامته، فيقول: «تعلمت من الحسين أن أكون مظلوماً حتى أنتصر».

وقد نقّب الأستاذ عباس محمود العقاد عن جذور ذلك تاريخياً ونسبياً، فنفى عروبه الأمويين، فقال فى أبى الشهداء:

«إن بنى أميه ليسوا من قريش، ولا من العرب، وذلك لأن أميه لم يكن ابناً صليياً لعبد شمس، بل كان غلاماً رومياً تبناه عبد شمس، - على سنه التبنى فى الجاهليه - فعرف به، وسمى أميه بن عبد شمس، ومنه تفرعت الشجره الملعونه فى القرآن».

وقد طوحت معركة أطف فى كربلاء بيزيد وآل يزيد، وقد تعصب له

قوم من المؤرخين فوقفوا إلى جنبه في قتله الحسين، وقالوا: إن الحسين قتل بسيف جده، لأنه خرج على إمام زمانه يزيد، وقال غيرهم: إن بيعه يزيد بيعه شرعيه!! فيا لله وللمسلمين، بينما وقف رغيل آخر في مجابته وردّه وصدّه وضدّه، ومنهم أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. إذ قال:

«المنكرات التي أترفها يزيد من الحسين، وحمله بنات رسول الله سبايا، وقرعه ثايا الحسين بالعود، وإخافته أهل المدينة، وهدمه للكعبة المشرفة؛ تدل على القسوه والغلظه، والنصب، والحقد، والبغضاء، والنفاق، والخروج عن الإيمان، فالفاسق ملعون».

ومن ردّ على مناصري يزيد ومشايحيه؛ سعد الدين التفتازاني فقال: «إن رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره به، وأهانته أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما تواتر معناه، ونحن لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه؛ لعنه الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه».

ويكفينا في متابعه الأمر إلقاء الضوء على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط».

وهذه الشهاده وحدها تطوّح صرح الظالمين من الكتاب والمؤرخين والطواغيت الصغار الذين ما قدّروا الحسين حق قدره.

إلا أن الأوباش من بنى العباس تتبعوا قبر الحسين بالحرث وإجراء الماء عليه حتى حار واستدار ولم يصل إلى القبر فسمى (الحائر الحسيني) بل حاولوا

نبش القبر الشريف فنكلّ الله بهم.

ذكر أبو الفداء: «أنّ لماماً جرى على قبر الحسين عليه السلام ليمحى أثره، جاء إعرابي من بني أسد، فجعل يفتش عن القبر، ويأخذ قبضه قبضه من التراب ويشمّها، حتى وقع على قبر الحسين عليه السلام فبكى وقال: «بأبي أنت وأمي ما كان أطيبك وأطيب تربتك» ثم أنشأ يقول:

أرادوا ليخفوا قبره عن محبّه وطيب تراب القبر دلّ على القبرِ

وبقى قبر الحسين مناراً شاخصاً مدى السنين والأعصار، بعيد الأثر في القلوب، عريق الجذور في الخلود.

نشر الأديب المصري فاروق عبد القادر في مجله (الطليعه) المصريه مقالاً بعنوان (أصوات وألوان) قال فيه:

«قبر الحسين محجه ومزار، وقبر معاويه في الصمت البارد، لا- أحد يعرفه إلا- إذا دلّ عليه، وتحت أقدام على تستلقى ثروات العالم.. تاج الشاه المرصع بالدر والجوهر، وثرورات الأغنياء وعلى من وقف عند منعطف الطريق أن يختار أين يكون».

وهذا حق فعشرات الملايين أمس واليوم تشكل رقماً قياسيماً في زياره الإمام الحسين في ذكرى الأربعين، والنصف من رجب، والنصف من شعبان، وليالي القدر، وليالي الجمع، وزياره عرفه والعيدين والمناسبات الأخرى، بل لقد تطورت زيارته عليه السلام إلى زيارته سيراً على الأقدام طلباً للثواب، وقد بلغت لملايين من المشاه وتجاوزت حدّ التصور في الأعداد الهائله لاسيما

فى زياره الأربعين المأثوره.

والحق أن ثوره الحسين عليه السلام فى طف كربلاء قد نسفت الكيان الأموى نسفاً، وقضت على حكمهم قضاء مبرماً، وألحقوا بمزبله التاريخ قذفاً ورمياً.

قال الدكتور كامل مصطفى الشيبى فى كتابه (الصله بين التصوّف والتشيع) وهو يتحدث عن مجزره كربلاء:

«وقد أثر قتل الحسين فى النفوس تأثيراً، لكنه محاط بهاله من الأحاديث النبويه، التى ذكر منها أحمد أمين فى ضحى الإسلام:

١ - ما رواه عمر عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الحسن والحسين ريحانئى».

٢ - ما رواه أبو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

٣ - ما رواه الترمذى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسين منى وأنا منه، أحب الله من أحب حسيناً».

وكان أولياء أهل البيت قد بذلوا الغالى والنفيس من أجل الحسين، وقاموا بزيارته زرافاتٍ ووحداناً فى عصور الطواغيت حتى فرضت عليهم الضرائب المالىه الضخمه، وقطعت الآلاف، وسملت العيون، عدا الحبس والتشريد والتغريب.

ص: ٢١٤

وفى هذا المجال يروى أنه فى زمن غيبه صاحب الأمر - عجل الله فرجه - الصغرى صدرت التوقيع الرفيع من صاحب الأمر على يد أحد السفراء تتضمن النهى عن زياره الحائر الحسينى ومقابر قريش فى الكاظميه، فأمتنع الناس من زياره الإمام الحسين عليه السلام وزياره الكاظمين موسى والجواد عليهما السلام دون أن يعرفوا السبب فى هذا النهى، وبعد شهر علموا أن الخليفه العباسى قد أمر بإلقاء القبض على كل رجل يأتى لزياره هذين المشهدين الشريفين.

وكانت ثوره الطف قد جددت معالم الإسلام، وقد أوشك على الإندراس، كما إنها قضت على آل أبى سفيان عاجلاً، وأنتقل الحكم إلى بنى مروان، ولقد وقف الحسين يوم عاشوراء ليعلن: «رضا الله ورضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، فيوفينا أجور الصابرين».

وصور حقيقه المجتمع ألامسئول فى التكالب على الدنيا، وعدم الاعتداد بدين الله فقال:

«الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معائشهم، فإذا مَحَّصوا بالبلاء قلَّ الديانون».

وما يروى لدى بعض المؤرخين الرسميين أن الحسين عليه السلام قد استجاب بالرضوخ للأمر الواقع بوضع يده بيد يزيد، فموضوع لا أصل له وقد أخرج سبط ابن الجوزى حينما كان يعظ على المنبر فى جامع دمشق، فطلب منه بعض الحاضر من أن يذكر شيئاً من مصرع الحسين عليه السلام فقال:

ويل لمن شفاعؤه خصماؤه والصور فى نشر الخلائق ينفخ

لا بد أن ترد القيامة فاطمً وقميصها بدم الحسين ملطخ

ثم صار يبكى، ويجهش بالبكاء حتى نزل من المنبر.

وواجه الإحراج أن الشام أمويه فى عصره، وهى صاحبه القرار فى قتل الحسين عليه السلام.

ولقد وصف الإمام الباقر عليه السلام ما أصاب أولياء أهل البيت من المظالم والفجائع والفظائع من قبل أيام معاويه وولائه، فقال:

«وقتل شيعتنا بكل بلده، وقطعت الأيدى والأرجل على الظنه، وكل من يذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله، أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد».

ولكن أولياء أهل البيت ظلوا على ولائهم صامدين، يجابهون الطغاه، ويصبرون على البلاء، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

(إن لنا أولياء لو قطعناهم بسيفنا إرباً إرباً لم يزدادوا لنا إلا حباً!! وإن لنا أعداء لو أطعمناهم العسل المصفى لما زادوا إلا بغضاً).

ولعل من أطرف ما يروى أنه كان لسليمان الأعمش جارٌّ يرى فى زياره الحسين أنها بدعه، وكل بدعه ضلاله، وكل ضلاله فى النار، فرآه يزور الحسين عليه السلام فسأله عن ذلك!! فقال ملخصاً أنه رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام وخديجه أم المؤمنين رضى الله عنه وفاطمه

بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى الرؤيا، قلت: فأين يريدون؟ قالوا: يمشون بأجمعهم إلى زياره المقتول ظلماً بكرىلاء الشهيد بن الشهيد الحسين بن على عليهما السلام، ثم رأيت رقاعاً تتساقط من السماء وإذا فيها أمان من الله تعالى يتساقط على زوار الحسين ليله الجمعة.

ثم سمعت هاتفاً يقول، إنهم وشيعتهم فى الدرجه العليا من الجنة، والله يا سليمان لا- أفارق هذا المكان حتى تفارق روحى جسدى.

وعوداً على بدء فقد ذكر الطبرسى وابن الأثير وسواهما عن عقبه بن سمعان أنه قال:

«صحت الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكه، ومن مكه إلى العراق، ولم أفارقه حتى قتل، وسمعت جميع مخاطباته الناس إلى يوم مقتله، فو الله ما أعطاهم ما يتذاكر به الناس من انه يضع يده بيد يزيد!! ولا أن يسيروه بثغر من ثغور المسلمين».

وكيف يصح هذا الزعم المتهافت والحسين هو القائل:

«ألا وإن الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين، بين السله والذله، وهيئات منا الذله، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طهرت، وأنوف حميه، ونفوس أبيه، من أن تؤثر طاعه اللثام على مصارع الكرام».

وهكذا نجد أن هذا الإنسان الطاغى هو نفسه ذلك الضعيف الذليل الواهن، ولكنه قد يتعالى؛ فيعتقد جازماً بما حوله من السلطه أو الحكم أو القوه أو الأتباع بأنه قادر قدير، وهو عاجز حتى عن إداره نفسه، متناسياً أن

الحول والطول بيد الله تعالى، فلا حول إلا بالله ولا قوة إلا بالله فهذا الطاغوت عبد الملك بن مروان يقول: «لا يأمرني أحد بتقوى الله إلا ضربت عنقه».

وقد استمرت هذه الجراء على الله تعالى من معاوية فيما عرف عنه من القول لآثار النبي والنبوه بما يرويه عنه المغيرة بن شعبه: «هذا ابن أبي كبشه ينادى باسمه خمس مرات في اليوم. ألا طمساً طمساً، يريد بذلك محمد صلى الله عليه وآله».

وليس ذلك بغريب على معاوية الذي أبتدع في الإسلام ما لم يعرف من ذي قبل في قطع الأعناق، ومنع الأرزاق، وسمل العيون وسجن النساء، فكان مما قلده به أربابه الطواغيت حينما هرب من جوره وظلمه عمرو بن الحمق الخزاعي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام من الكوفة إلى الموصل، فكتب معاوية إلى زياد بن أبيه أن يقبض على زوجته الصالحة (آمنة بنت رشيد) ويبعث بها إلى الشام، فدخلت الشام، وأمر بها معاوية إلى السجن، وبقيت فيه حتى قبضوا على زوجها بالموصل وطعنوه تسع طعنات، ثم قطعوا رأسه وحملوه إلى معاوية فأمر الحرسى أن يذهب به إلى زوجته في السجن ويحفظ ما تقول، فوضع الحرسى رأسه في حجرها فضمته إلى صدرها، وقالت:

«غيبتموه عنى طويلاً وأهديتموه إلى قتيلاً، فأهلاً وسهلاً به من هديه غير قاله ولا مقلية».

وقالت للحرسى أبلغ معاوية عنى ما أقول:

ص: ٢١٨

«أَيْتَمَ اللهُ وَلَدَكَ وَأَوْحَشَ مِنْكَ أَهْلَكَ، وَلَا غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ، وَعَجَّلَ لَكَ الْوَيْلَ مِنْ نَقْمِهِ، وَطَلَبَ مِنْكَ بِدَمِهِ، فَلَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيّاً، وَقَتَلْتَ بَرّاً تَقِيّاً».

فأبلغ الحرسي كلامها لمعاويه فأحضرها وشتمها وأقذع بسبابها كأنه لم يسمع قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته».

وهذه الحكمة التي لا يعيها الظالمون والمتحكمون، تلقى بعبء المسؤولية بين طرفين هما الراعي والرعيه، وكل بحسبه، فكل الناس راعٍ، بل كل المسلمين راعٍ بقدر ما يحسن ويستطيع، وهو نفسه مسئول عن شؤون هذه الرعيه.

وهذا الأمر نسبي بين الناس، بل هو - صلوات الله عليه - أول من أشار إلى النسبيه في الحقوق والواجبات والالتزامات.

وبذلك يتم الحفاظ على التوازن الاجتماعي والتطور الحضاري بحيث يقف كل عند حدوده، ويؤدي كل واجبه المفروض عليه، وإذا استقامت هذا الموازين بلغ المجتمع الإنساني ذروته في التحضر والتطور، وبذلك تتكافئ الفرص، ويكون الرجل المناسب في الموقع المناسب، والوصول بالأمة والحياه العامه إلى ذروه الرقى المنشود.

ولكن حكام السوء لا يفقهون ذلك، وإذا فقهوا فهم لا يعيئون به لأنهم حكام لا يقيمون للعدل وزناً، ولا لكرامه الناس اعتباراً، فحب التسلط والمال والجاه هدف مركزي، وسبيل الانفتاح والفطريه بدل الانفتاح

والتواضع هو السائد حتى اليوم فى الوطن العربى والعالم الإسلامى فأين هم من تعليمات الرسول الإنسانىة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقليل أولئك الرجال المتيقظون بعد الغفلة، ممن نظروا بعقلهم إلى مجريات الأحداث فقارعوا الباطل ومالوا إلى الحق، فقد حدث التأريخ أن أبا الحتوف بن الحارث الأنصارى وأخاه سعداً، وهما من الخوارج، خرجا مع ابن سعد لقتال الحسين عليه السلام فلما كان العاشر من المحرم، وقتل أصحاب الحسين وأهل بيته، وسمعا نداء الحسين عليه السلام بطلب النصرة، قالوا: إنا نقول: (لا حكم إلا لله، ولا طاعة لمن عصاه، وهذا الحسين ابن بنت نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن نرجو شفاعته يوم القيامة، فكيف نقاتله؟، وهو بهذا الحال لا ناصر له ولا معين) فمالا بسيفهما مع الحسين عليه السلام على أعدائه، وجعلا يقاتلان قريباً منه حتى قتلا جمعاً وجرحا آخرين، ثم ختم لهما بالسعادة الأبدية، فقتلا مع الحسين فى مكان واحد.

وأصحاب الحسين عليه السلام هم النموذج الأرقى فى مقارعه الطغيان، وحرمات الدين، فهذا أبو ثمامة الصائدى، وهو من فرسان العرب ووجه أولياء أهل البيت عليهم السلام حينما كثر قتل أنصار الحسين عليه السلام قال للإمام: يا أبا عبد الله نفسى لك الفداء، إنى أرى هؤلاء القوم قد اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله، وأحب أن ألقى الله وقد صليت هذا الصلاة التى قد دنا وقتها خلفك، قال فرفع الحسين عليه السلام رأسه وقال: ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين نعم هذا أول وقتها.

وقد قاتل أبو ثمامه بين يدي الحسين برجوله وبساله حتى مضى شهيداً.

أما طغاه الحكام فلا يرون ذلك إلا خروجاً عن المألوف وشذوذاً عن القاعده، فلا يباليون بهذه القيم، ولا يعترفون بهذه المثل، وحسبك ما صنع المتوكل بقبر الحسين عليه السلام سنة ٢٣٦ هـ - قال الشاعر البسامي، وهو محمد بن بسام البغدادي:

تالله إن كانت أميه قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوماً

فلقد أتاه بنو أبيه بمثلها هذا لعمر ك قبره مهودماً

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله.. فقتبعوه رميماً

وهكذا أقدم العباسيون على ما لم يجراً عليه احد من سَم الإمام جعفر الصادق عليه السلام وسجن الأمام موسى بن جعفر عليه السلام وقتل الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام وسَم ولده الإمام محمد الجواد والاستهانه بالإمام على الهادي عليه السلام والتعجيل بقتل الإمام الحسن العسكري والهجوم على دار الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف وسجن نسائه إلى آخر ما عملوا.

وكان من أهم ما اقترفوه هو مجزره (فخ) وقائدها الحسين بن على بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين عليه السلام حتى قال الإمام محمد الجواد عليه السلام: «لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ».

وقال الإمام موسى بن جعفر عن صاحب فخ - رضوان الله عليه -: «مضى والله مسلماً صالحاً صواماً قواماً آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ما

كان في أهل بيته مثله».

وحيثما قتل شهيد فخر هو وأهل بيته وأصحابه توعد الخليفة العباسي موسى بن المهدي الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام وقال: إنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت، فدافع أبو يوسف القاضي عن الإمام بالأيمان المغلظه حتى سكن غضب موسى الهادي وكتب على بن يقطين بالخبر إلى الإمام الكاظم عليه السلام فجمع الإمام أهل بيته وبعض شيعته فأطلعهم على الخبر وقال: «ما تشيرون بهذا؟ فقالوا: نشير عليك أن تباعد شخصك عن هذا الجبار فإنه لا يؤمن شره وعاديته وغشمه».

فتبسم الإمام عليه السلام وتمثل:

زعمت سخينه أن ستغلب ربها فليغلب مغالب الغلاب

ثم قال: أنه لا يرد أول كتاب من العراق إلا بموت موسى بن المهدي وهلاكه، ثم قال: وحرمة هذا القبر؛ مات في يومه هذا، وإنه لحق مثلما أنتم تنطقون».

ويكاد يقوم الإجماع بين المؤرخين أن المتوكل العباسي كان أشد الناس على الأئمة الطاهرين فيما صنع بالإمام علي الهادي عليه السلام بعدما صنعه بحرم سيد الشهداء.

فقد قال زواره حاجب المتوكل:

«أراد المتوكل أن يهين علي بن محمد الهادي عليه السلام فأمر أن يمشى علي قدميه في موكب حاشد بالقواد والوزراء ورجال الدوله وهم راكبون،

ص: ٢٢٢

فقلت له: لا- تفعل، فإن في هذا شناعه عليك وسوء قاله، قال: لا- بد أن افعل؛ قلت: فإن كان ولا بد فأمر ان يمشى القواد والإشراف حتى لا يظن الناس أنك قصدته بهذا دون غيرك!! فأخذ بنصيحتي». فلما مشى الإمام عليه السلام وكان الوقت قائضاً شديداً الحرارة، عرق عرقاً شديداً، فلقيته وأجلسته، ومسحت وجهه بمنديل، وقلت له: إن ابن عمك - ويقصد المتوكل - لم يردك بهذا دون غيرك، فلا- تجد عليه في قلبك، فقال إيهاً عنك(١). فلما سمعت منه هذه المقالة وانصرفت منه إلى منزلي؛ حدثت بها رجلاً يعمل في بيتي وكان يتشيع. فقال لي: أقول لك: فاسمع نصيحتي، قلت: هاتها؛ قال هيئ جميع أمورك وأخزن جميع ما تمتلك، فإن المتوكل سيموت أو يقتل بعد ثلاثة أيام، فغضبت عليه وطرده من بيتي. ثم قلت:

ما ضرني لو أخذت بالحزم، فجمعت كل أموالى وأودعتها عند من أثق بهم ففعلت ذلك، ولم أترك في بيتي شيئاً يعتد به.

وما مضت ثلاثة أيام حتى قتل المتوكل، وسلمت أنا ومالى، فتشيعت ولزمت خدمه سيدى ومولاي على بن محمد الهادى صلوات الله عليه.

هذه الكرامه فى أبعاد الطغاه كانت نتيجة الاستخفاف بالإمام وكان المتوكل قد استدعى الإمام على الهادى وولده الإمام الحسن العسكرى، ووضعهما فى الإقامه الجبريه، وأنزلهما (خان الصعاليك) استهاناه بهما، فقد

ص: ٢٢٣

روى المفيد فى الإرشاد عن صالح بن سعيد، قال: «دخلت على أبى الحسن الهادى يوم وروده إلى (سر من رأى) فقلت له جعلت فداك؛ فى كل الأمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع «خان الصعاليك» فقال الإمام:

«هاهنا أنت يا ابن سعيد؟» ثم أوماً بيده، فإذا بروضات أنيقات، وأنهار جاريات وجنات فيها خيرات عطرات، وولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون فحار بصرى وكثر تعجبى، فقال لى: «حيث كنا فهذا لنا يا ابن سعيد، لسنا فى خان الصعاليك».

ولا عجب فى هذا فإن الله تعالى إذا أراد كبت الطواغيت أجرى على يدي أوليائه كرامته الإلهيه وليس هذا بأعجب مما جرى ل - (يوسف النقاش) وهو رجل من أهل الصنائع، وكان مجاوراً لبيت الإمام على الهادى عليه السلام فى سامراء ويحضر مجلسه؛ فجاءه يوماً يرتعد من الخوف، وقال: يا سيدى، أوصيك بأهلى خيراً، فقال له الإمام: ما الخبر؟ قال: بعث إلى موسى بن بغا - أحد رجال المتوكل - بفصّ لأنقشه، فأنكسر بيدي نصفين، وموعده غداً، فإذا جاء وعلم ذلك فسوف يقتلنى أو يضربنى ألف سوط، فقال الإمام: «أمض إلى منزلك إلى غد فما يكون إلا خيراً».

وفى الغد جاء رسول موسى يلتمس الفصّ فأقبل على الإمام خائفاً وقال: قد جاءنى رسوله فماذا أقول له؟ قال: امض إليه فما ترى إلا خيراً، فمضى يونس ثم عاد ضاحكاً وهو يقول: يا سيدى قال لى: إن جارتين لى

اختصمتا على هذا الفص، فهل تقدر على أن تجعله نصفين متساويتين، وأنا أكافئك مكافأه تغنيك؟. فسر الإمام عليه السلام وحمد الله على ذلك، وقال له: «وأى شيء قلت له؟» قال: قلت له أمهلني حتى أتأمل أمره وأنظر كيف أصنع في ذلك!!.

وكان من طغيان المتوكل ما جرى لأبن السكيت يعقوب بن إسحاق على يديه، وكان ابن السكيت مؤدباً لأبني المتوكل، فقال له المتوكل: أيهما أحب إليك أبنائى هذان - يعنى المعتر والمؤيد - أم الحسن والحسين؟ فاستشاط ابن السكيت غضباً، وقال له: والله إن قنبراً خادم على بن أبى طالب عليه السلام خير منك ومن أبنيك؟ فقال المتوكل للأتراك سلوا لسانه من قفاه!! ففعلوا ذلك، فمات فى الخامس من رجب عام ٢٤٤ هـ -.

وكان الرشيد من الطواغيت الكبار، وقد سجن الإمام موسى بن جعفر سنين متطاولة، فكتب إليه الإمام من السجن: «إنه لن ينقضى عنى يوم من البلاء، إلا أنقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نقضى جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء».

وفى تحذير الطغاه وإنذار الظلمه، آثار من المأثور، وسيل من الروايات، فيها التشديد الصارم، وبها الكنايه التى هى أبلغ من التصريح.

وهناك حدثان فعليان من آلاف الأحداث أوردهما:

الأول: عن الإمام الصادق عليه السلام وقد أراد به إكبات المنصور، وإذلال تعاليه، والغض من شأنه وجبروته، فقد روى أن الإمام دخل عليه،

والمنصور يذب الذباب عن وجهه مره بعد أخرى فقال للإمام: يا أبا عبد الله لأي شيء خلق الله الذباب؟ فقال عليه السلام: «ليذل به الجبارين» فأفحم المنصور.

الثانى: يتظاهر الطغاه بين حين آخر بالتماس العظه والبحث عن الخلاص، وليسوا من هذا فى شىء ولكنه الرياء الظاهر والنفاق المغلف، وليس هذا مما يخدع الناس عنهم أو يقربهم منهم، فتلك محاولات يائسه مفضوحه لا تخفى إلا على الأغرار والأغمار، وهذا النوع من التوجه من مرأاه الناس من الاجترأ المكشوف على سنن الدنيا والدين ونماذجه كثيره تكاد لا تحصى، ومن أبرزها استدعاء هرون الرشيد لسفيان الثورى عدة مرات لموعظته وليس الأمر كذلك ولكنه هدف مزدوج فى آن واحد، ويتمثل هذا الهدف بطلب الموعظه ونشيدان الاعتبار من وجه كاذب، وخلق قيادات رسميه تقف ضد تيار أهل البيت فى استقطاب الأمه. ومن قبله كان هشام بن عبد الملك يتظاهر بذلك، فقد أرسل على طاووس اليماني، وقال له: عطني، فقال طاووس: «سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب يقول:

«إن فى جهنم حيات كالتلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل فى رعيته».

فهل نفع هذا النذير؟.

ومن الطواغيت الصغار عمر بن الفرج الرخجى والى العباسيين على المدينه أيام المعتصم وقد ضيق على بنى هاشم وعلى الفواطم، فنكل بكل من

يبرّ بهم، أو يساعده عائلهم أو يعطف على فقيرهم حتى تحاشى الناس أهل البيت جراء ذلك وقد أرضى بعمله هذا العباسيين فأثروه على غيره وقدموه على من سواه وأستدعى فى بغداد وعاد فى منصب الوزراء من الكتّاب، أو الكتّاب من الوزراء، والصحيح انه كان مدير البلاط العباسى، وقد أراد هذا الطاغية الصغير إن يخرج الإمام الجواد عليه السلام فقال له: إن شيعتك تزعم أنك تعلم مثاقيل وزن ماء دجله - وكان على شاطئ دجله - فقال الإمام الجواد عليه السلام: يقدر الله تعالى أن يفوض علم ذلك إلى بعوضه من خلقه أم لا؟ فقال عمر بن الفرج: نعم يقدر. فقال الإمام الجواد عليه السلام: «أنا أكرم على الله من بعوضه ومن أكثر خلقه».

وحدیث الطغاه لا يكاد ينتهى مع هؤلاء الحاكمين باسم الإسلام وهم لا يعرفون من الإسلام إلا أسمه بل ويكيدون له، لأنه يحد من غلوائهم، ويحجم من صلاحياتهم، لقد وقفوا فى وجه رساله المحمدية، وانتجعوا فى الحياه الرافهه باسم الإسلام، وانتقموا من صاحب الرساله بالانقضاض على أهله وذويه، وملاحقه أتباعهم تحت كل حجر ومدر، وهكذا شأن الطواغيت.

قال ابن خلكان: قال الشيخ نصر الله بن مجلى، وكان من ثقات أهل السنه: رأيت فى المنام على بن أبى طالب عليه السلام فقلت له: يا أمير المؤمنين تفتحون مكه وتقولون من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ثم يتم على ولدك الحسين عليه السلام يوم الطف ما تم؟ فقال: أما سمعت أبيات ابن الصيفى (حيص بيص) فى هذا؟ فقلت: لا، فقال: أسمعها منه ثم استيقظت!!

فبادرت إلى دار حيص بيص فخرج إليّ، فذكرت الرؤيا فشهو وأجهش بالبكاء، وحلف بالله إن كانت خرجت من فمي أو خطي إلى أحد، وإن كنت نظمتها في ليلتي هذه وأنشدني:

ملكنا فكان العفو منا سجيّه ولما ملكتم سال بالدم أبطح

وحلّتم قتل الأسارى.. وطالما غدونا عن الأسرى نكف ونصفح

فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

وهكذا كان فأهل البيت يصفحون والطغاه يتجبرون.

والرؤيا هذه تتعلق بمصرع سيد الشهداء، وما فعلوه من الآثام في سفك دمه، وانتهاك حرمة، وكان سليمان بن قتّه قد مرّ بمصارع شهداء كربلاء فكان أول من رثى الإمام الحسين بقوله:

مررت على أبيات آل محمد فلم أرها أمثالها يوم حلّت

وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاباً من قريش فذلت

فلا يبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت منهم بزعمى تخلت

ولكن الحسين عليه السلام قد زلزل كيان الطغاه وهدّ عروشهم، وهو الباقي مخلداً مدى الأجيال وهم القابعون وراء الظلمات:

يبقى الحسين مناراً يستضاء به وإن تجبر فرعون وهامان

روى ابن قولويه في كامل الزيارات عن محمد بن مسلم قال:

قال الإمام الباقر عليه السلام: «مروا شيعتنا بزياره قبر الحسين عليه السلام فإن إتيانه يزيد في الرزق ويمدّ في العمر، ويدفع مدافع السوء، وإتيانه مفترض على كل مؤمن يقرّ للحسين بالإمامه من الله.

ظواهر الابتلاء فى الحياه الدنيا متعدده الجوانب، وكثيره الاسباب، وقد جعل الله تعالى فى قبال البلاء والابتلاء النعم والعافيه، وقد أوضح القرآن العظيم حياه الابتلاء بقوله تعالى:

«وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَمْثَلًا» .

وذلك للاختبار والامتحان ومعرفه المجاهد الصابر من الجازع لا الشاكر، وذلك لكشف ما عليه الإنسان من حسن العمل وجميل الصبر، حتى عدّ تعالى خلق الموت والحياه نوعاً من الابتلاء العظيم فى إستيحاء العمل الصالح، قال تعالى: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» .

فى الآيه إيحاء صريح بعد الاختبار أن الله عزّ وغفر لمن كان أهلاً للعفو والمغفره. فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«كلما كانت البلوى والاختبار أعظم كانت المثوبه والجزاء أجزل، ألا ترون أن الله سبحانه أختبر الأولين من لدن آدم صلوات الله عليه إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع، لا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذى جعله للناس قياماً...»

ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبهم بأنواع المجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره، أخرجا للتكبر من قلوبهم، وإسكانا للتذلل فى نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فتحة إلى فضله، أسباباً ذللاً لعفوه» (١). قال الله تعالى: «وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَكُمْ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ۚ» .

وأمر المؤمنين الإمام على عليه السلام هو السباق إلى فلسفه القرآن، وبيان ما فيه من الإفاضات العظمى فى الموازنه بين البلاء والمعافاه، والعناء والرخاء، للامتحان فى سلامه الأداء من أحسن الأعمال، مرتباً على ذلك الثواب لمن يختار الامتحان والعقاب جزاء لمن أخفق فيه والعياذ بالله.

قال عليه السلام: «ألا إن الله تعالى قد كشف الخلق كشفه لا أنه جهل ما أخفوه من مصون أسرارهم ومكنون ضمائرهم، ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملاً فيكون الثواب جزاءً والعقاب بواءً» (٢).

ولذا فقد صرح أمير المؤمنين أن على المؤمن أن يثبت لما قدره الله تعالى،

ص: ٢٣٠

١- (١) نهج البلاغه، للإمام على عليه السلام / الخطبه / ١٩٢.

٢- (٢) نهج البلاغه، للإمام على عليه السلام / الخطبه رقم ١٤٤.

فلا يفرح بالغناء مثلاً، ولا يغتتم بالفقر كذلك بل يكلل الأمور إلى الله تعالى، فإنما هو الذهب الذى يجرب بالنار.

قال عليه السلام: «لا تفرح بالغناء والرخاء ولا تغتم بالفقر والبلاء فإن الذهب يجرب بالنار، والمؤمن يجرب بالبلاء»^(١).

وقد خص المؤمن بالبلاء لتمحيص ذنوبه حتى يغدو على ربه سبحانه وتعالى مطهراً من الذنوب كيوم ولدته أمه. ولقد خصه أمير المؤمنين بالقول: «إن البلاء أسرع إلى المؤمن النقى من المطر إلى قرار الأرض»^(٢).

و لقد سار الأئمة من أهل البيت فى ضوء هداة، و أفرغوا عن حكمه و مواعظه نفسها، فالأمام الباقر عليه السلام يقول:

«إن المؤمن يبتلى بكل بليه، ويموت بكل موته، إلا أنه لا يقتل نفسه»^(٣).

و تبعه الإمام جعفر الصادق عليه السلام فيروى أنه قال: «إن أشد الناس ابتلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الأمثل فالأمثل»^(٤).

وقد أبان الإمام زين العابدين عليه السلام أنه يكره معافاه الرجل فى الدنيا دون المصائب تحل فيها، فيروى أنه قال:

ص: ٢٣١

١- (١) غرر الحكم / الحديث رقم ١٠٣٩٤.

٢- (٢) المجلسى / بحار الأنوار: ٢٢٢/٦٧.

٣- (٣) الكلينى / الكافى: ٢٥٤/٢.

٤- (٤) المصدر نفسه: ٢٥٢/٢.

«إنى لأكره أن يعافى الرجل فى الدنيا ولا يصيبه شىء من المصائب»^(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«إن الله عز وجل ليتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالهدية من الغيبه، ويحميه الدنيا كما يحمى الطبيب المريض»^(٢).

وقد أفاد سيدنا ومولانا الإمام الكاظم عليه السلام بالقول:

«لن تكونوا مؤمنين حتى تعدوا البلاء نعمه، والرخاء مصيبه، وذلك أن الصبر عند البلاء أعظم من الغفله عند الرخاء»^(٣).

وقد قارن أمير المؤمنين عليه السلام بين ما يناله المرء من النعمه، وما يفارقه من نقمه أخرى، وكذلك الحال فى أجله، فقال: «لا ينال العبد نعمه إلا بفراق أخرى، ولا يستقبل يوماً من عمره إلا بفراق آخر من أجله».

لك الله يا أمير المؤمنين؛ ما أروع هذه الحكمة، وما أصدق معطياتها، وما أبعد أثرها، فبها عبره لكل معتبر، وجذوه لكل مقتبس، وهى تتحدث عن جانبين:

الأول: يعنى بتجدد النعم وزوال أخرى، إذ لا تتم الدنيا على الإطلاق فما أن يستقبل العبد نعمه، ونعم الله كثيره ومتواتره حتى يفارق نعمه أخرى، وفى ذلك دلالة أخرى أن الحياه الدنيا لا تبقى على حال فالبقاء على الحال من

ص: ٢٣٢

١- (١) المجلسى / بحار الأنوار: ١٧٦/٨١.

٢- (٢) الكلينى / الكافى: ٢٥٥/٢.

٣- (٣) جامع الأخبار: ٣١٣.

المحال، وذلك أمر مطّرد في حياتنا العامه وحياتنا الخاصه.

الجانب الثانى: يرتفع فى نظرى القاصر إلى مستوى عميق الأثر، فعمر الإنسان أيام معدوده، فما أن يستقبل يوماً من حياته إلا بفراق يوماً من أجله، والإنسان بعادته مجبول أن ينتظر الأيام القادمه، ويتطلع إلى الحياه المستقبلية، ولا يأتى عليه يوم إلا فكر فى يوم آخر ذى منفعه أو عده أو مصلحه، وبهذا تتجلى الكارثه لأننا فى مثل هذا المناخ إنما ننتظر آجالنا، ونستعجل انقضاء أعمارنا، ونستدعى تصدّر أيامنا.. وهكذا الدهر يبلى الجديد ويقرب البعيد، حتى نطل على ذلك اليوم الذى لا انقضاء له.

وورد عن الإمام الحسن العسكرى أنه قال:

«ما من بليه إلا والله فيها نعمه تحيط بها»^(١).

وهذا الحديث من غرر الكلام إذ جعل الله عز وجل ضمن كل بليه ظاهره نعمه باطنه تحيط بتلك البليه تحننا ورحمه من الله، ولقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة... إلا حطّ الله بها من خطاياها»^(٢).

وهناك من الوعد الحسن على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

ص: ٢٣٣

١- (١) المجلسى / بحار الأنوار: ٣٧٤/٨.

٢- (٢) المجلسى / بحار الأنوار: ٢٢٩/٦٧.

«إذا أراد الله بعبده الخير عَجَّلَ له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر، أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة».

وقد ترجم الإمام جعفر الصادق عليه السلام هذا الوجه من الابتلاء وأثره عندما يذنب العبد ويرتكب المعاصي وذلك انه يتبع النعمة نقمه إذا أراد به الخير، فإذا أذنب تبعه بنقمه وإذا أراد به الشر تبعه بنعمه استدراجاً، يروى أنه عليه السلام قال:

«إذا أراد الله بعبد خيراً فأذنب ذنباً تبعه بنقمه ويذكره الاستغفار، وإذا أراد الله عز وجل بعبد شراً فأذنب ذنباً تبعه بنعمه ينسيه الاستغفار ويتمادى به وهو قول الله عز وجل «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۗ» ، بالنعم عند المعاصي»^(١).

وعن الإمام محمد الباقر انه قال: «أن الله تبارك وتعالى إذا كان أمره أن يكرم عبداً وله عنده ذنب أبتلاه بالسقم فإن لم يفعل فبالحاجة، فإن لم يفعل شدد عليه عند الموت، وإذا كان من أمره أن يهين عبداً وله عنده حسنه أصحّ بدنه، فإن لم يفعل وسع عليه في معيشته، فإن لم يفعل هوّن عليه الموت»^(٢).

وقد صرّح الإمام جعفر الصادق عليه السلام بهذه الحقيقة، وإن البلاء موكل بالمؤمن، وأن المؤمن مبتلى وأنه يغتّ بالبلاء غتاً.. فيروى أنه قال

ص: ٢٣٤

١- (٢) المجلسي / بحار الأنوار: ٢٢٩/٦٧

٢- (٣) أعلام الدين / ٤٣٣.

وعنده غدیر الصیرفی: «إن الله إذا أحب عبداً غته بالبلاء غتاً، وإنّا وإياكم يا سدير لنصبح به ونمسي» (١).

وكرر الإمام الصادق عليه السلام بما يروى أنه قال:

«إذا أحب الله قوماً، أو أحب عبداً صبَّ عليه البلاء صبّاً، فلا يخرج من غم إلا وقع في غم» (٢).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد عدّ المحنة والابتلاء تمحيصاً لذنوب أوليائه في الدنيا، لتسلم الطاعات، ويستحقوا الثواب، فيروى انه قال: «الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بمحتهم لتسلم بها طاعتهم، ويستحقوا عليها ثوابها» (٣).

وقد بشر أمير المؤمنين عليه السلام أصحاب الابتلاء والعقوبة في الدنيا بنجاتهم من العقاب يوم القيامة فيروى أنه قال:

«ما عاقب الله عبداً مؤمناً في هذه الدنيا إلا كان الله أعلم وأمجّد وأجود وأكرم من أن يعود في عقابه يوم القيامة» (٤).

وللإمام محمد الباقر عليه السلام في مقام ابتلاء المؤمن عده أحاديث تمثل درجه عاليه في إضافه الإيمان للإيمان وزيادة ذلك بحسب إيمان المرء فروى

ص: ٢٣٥

١- (١) الكليني / الكافي: ٢/٢٥٣.

٢- (٢) المجلسي / بحار الأنوار: ١٤٨/٨٢.

٣- (٣) المصدر نفسه: ٦٧/٢٣٢.

٤- (٤) المصدر نفسه: ٨١/١٧٩.

أنه قال: «كلما أزداد العبد إيماناً أزداد ضيقاً في معيشته»(١).

وقوله - عليه السلام -: «إنما يتلى المؤمن في الدنيا على قدر دينه»(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام في كتاب على عليه السلام (إنما يتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنه، فمن صح دينه وحسن عمله أشدّ بلاؤه، وذلك إن الله عز وجل لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن، ولا عقوبه لكافر، ومن سَخف دينه، وضعف عمله قلّ بلاؤه)(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام في بيان منزله العبد المبتلى عند الله تعالى في حديثين من أقواله:

١ - «أنه ليكون للعبد منزله عند الله فما ينالها إلا بإحدى خصلتين: أما بذهاب ماله أو ببليه في جسده»(٤).

٢ - «إن في الجنة منزله لا يبلغها عبدٌ إلا بالابتلاء في جسده»(٥).

وفي روايه للإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «فيما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام، ما خلقت خلقاً أحب إليّ من عبدى المؤمن، فإنى إنما تبليته لما هو خير له، وأعافيه لما هو خير له، وأزوى عنه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدى، فليصبر على بلائى وليشكر نعمائى، وليرض

ص: ٢٣٦

١- (١) جامع الأخبار: ٣١٤.

٢- (٢) الكليني / الكافي: ٢٥٣/٢.

٣- (٣) المجلسي / بحار الأنوار: ٢٢٢/٦٧.

٤- (٤) الكليني / الكافي: ٢٥٧/٢.

٥- (٥) المجلسي / بحار الأنوار: ٢١٢/٦٧.

بقضائي، أكتبه في الصديقين عندي»(١).

ومن أطرف ما روى عن الإمام الصادق - عليه السلام - أنه قال، وفي قوله فصل المقال: «إذا أضيف البلاء من البلاء كان من البلاء عافيه»(٢).

وفي قبال الابتلاء والبلاء.. العافيه من البلاء والشكر على العافيه، والعافيه في الدين والدنيا، ومن فتح الله عليه باب العافيه فقد أغناه، ولالإمام على عليه السلام عده حكم قصار في هذا السياق، منها «لا لباس أجمل من العافيه»(٣).

وقوله عليه السلام: «بالعافيه توجد لذه الحياه»(٤).

وقوله عليه السلام: «العافيه أهني النعم»(٥).

ومن بليغ الأقوال وجميل الحكم، وعظيم العبر، وما روى عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: «العافيه نعمه خفيه، إذا وجدت نسيت، وإذا فقدت ذكرت»(٦).

ومن بركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاه عليه أن يقول

ص: ٢٣٧

١- (١) المجلسي / بحار الأنوار: ٣٣١/٧٢.

٢- (٢) تحف العقول / ٣٥٧.

٣- (٣) الصدوق / التوحيد: ٧٤.

٤- (٤) غرر الحكم، رقم الحديث ٤٢٠٧.

٥- (٥) المصدر نفسه، رقم الحديث ٩٧٣.

٦- (٦) الصدوق / من لا يحضره الفقيه: ٤٠٦/٤.

رسول الله: «من صلى عليّ مره فتح الله عليه باباً من العافيه»(١).

وعن الإمام على عليه السلام فى تقسيم العافيه ما يسير مثله من الركبان، فقد روى أنه قال: العافيه عشره أجزاء، تسعه منها فى الصمت إلا بذكر الله، وواحد فى ترك مجالسه السفهاء»(٢).

وقد قرن الإمام الصادق عليه السلام بين طول العافيه والتقوى فقال:

«من سرّه طول العافيه فليلتق الله»(٣).

وينبغى للإنسان أن يطلب من الله العافيه، كما يطلب منه العفو، والإلحاح فى الطلب مذموم إلا من الله عز وجل، وإذا كان الإنسان فى شده من البلاء فليصبر وليسأل الله المعافاه من ذلك.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد سمع رجل يسأل الله الصبر!! فقال: «سألت الله البلاء، فأساله المعافاه»(٤).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «سلوا الله المعافاه فإنه لم يؤت أحداً بعد اليقين خيراً من المعافاه»(٥).

وهذه خاصيه بالمعافاه لا يدانيها أمر إذ جاءت بعد اليقين، واليقين هو الفضل الأكبر من الله، والنعمه التى تطل بصاحبها على ما وعده الله من

ص: ٢٣٨

١- (١) جامع الأخبار: ١٥٣.

٢- (٢) تحف العقول: ٨٩.

٣- (٣) المجلسى / بحار الأنوار: ٢٣٢/٧٢.

٤- (٤) ابن ماجه / السنن: ١٢٦٥/٢.

٥- (٥) الدعوات: ٢٦٢/١١٤.

الرضوان، والفوز بالجنة والنعيم الأبدى.

وقد يوقع الجهل بالسنن فى متاهات يحسبها الإنسان مرضيّه عند الله، ولا يقيسها بنظائر رضا الله فيما يطلب منه بالدعاء فقد روى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم دخل على مريض قال: ما شأنك؟ قال: صليت بنا صلاه المغرب فقرأت القارعه!! فقلت: اللهم إن كان لى عندك ذنب تريد أن تعذبنى به فى الآخره فعجل ذلك فى الدنيا، فصرت كما ترى!!.

فقال صلوات الله عليه: «بئسما قلت، ألا قلت: ربنا آتانا فى الدنيا حسنه وفى الآخره حسنه وقنا عذاب النار؟ فدعا له حتى أفاق»(١).

وعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«ما سئل الله شيئاً أحبّ إليه من أن يسأل العافيه»(٢).

وقد ذكر أن الإمام زين العابدين عليه السلام ضرب على كتف رجل يطوف بالكعبه ويقول: اللهم إنى أسألك الصبر!!.

قال الإمام عليه السلام: سألت البلاء، قلّ.

«اللهم إنى أسألك العافيه، والشكر على العافيه»(٣).

وهناك حديث عجيب الدلاله، أنيق العبارة، جليل العائديه، يتمناه كل عبد، فقد روى أن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: «إن لله عز وجل

ص: ٢٣٩

١- (١) المتقى الهندى / كنز العمال: ٣١٣٠.

٢- (٢) الدعوات: ٢٦١/١١٤.

٣- (٣) الكلينى / الكافى: ٤٦٢/٢.

ضنائن يضمن بهم عن البلاء فيحيهم في عافيه ويرزقهم في عافيه ويميتهم في عافيه ويعيهم في عافيه، ويسكنهم الجنة في عافيه»^(١).

ونختم هذا الباب بالدعاء العظيم الذي يروى أن الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام قد فاه به:

«اللهم إني أسألك العافيه وأسألك جميل العافيه، وأسألك شكر العافيه، وأسألك شكر العافيه»^(٢).

وإنما يستجار من البلاء، وسؤال العافيه لدفع غائله الهموم والغموم من جهه، وللشفاء من الأمراض والأعراض من جهه أخرى، فمن الآفات التي تمر على الإنسان تلك الهموم التي تتنابه والغموم التي تؤرق جفنه، وتكدر حياته، فتجعل نهاره ليلاً، وليله آلاماً، لهذا ورد في الدعاء: «واجعلني من طوارق الهموم والغموم في حصنك».

والدافع لتلك الهموم والغموم الإكثار من قول: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»^٣ وذلك استناداً لما اقتضه الله سبحانه من نأ يونس عليه السلام، قال تعالى: «وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ

ص: ٢٤٠

١- (١) الكليني / الكافي: ٢/٤٦٢.

٢- (٢) الدعوات ٢٦١.

الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ۝۱ .

وهذا الغم ومثله الهم مما يؤثر على الصحة العامه بدنياً ونفسياً وهما من مشكلات العصر القائم وإفرازاته المضنيه لما تحمل حياتنا من المآسى والكوارث والابتلاءات فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كثر همه سقم بدنه» وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الهم نصف الهرم» وهذا القول على جانب أصيل من الأهميه، فذو الهموم قد يطوى صفحه الشباب إلى الكهوله، وصفحته الكهوله إلى الشيخوخه، وصفحته الشيخوخه إلى الهرم، وكون الهم نصف الهرم تعبير عن انقضاذه عله نضاره الإنسان وشبابه.

وقد ورد عن الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال:

«كثره الهم تورث الهرم».

وهذه الإفاضه منه سلام الله عليه تحرير لقول جدّه أمير المؤمنين السابق، أعاذ الله المؤمنين من كثره الهموم.

وأما الأمراض فهى من البلاء الذى يخفف به الخطايا وتتلاشى به الذنوب بفضل الله تعالى، فقد ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (المريض تُحات خطاياها كما يتحات ورق الشجر)^(١).

ص: ٢٤١

١- (٢) الترغيب والترهيب: ٢٩٢/٤.

وعنه - صلى الله عليه وآله -: «لا يمرض مؤمن ولا مؤمنة، ولا مسلم ولا مسلمة، إلا حطَّ الله به خطيئته» (١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام أو ولده الإمام الصادق عليه السلام: «سهر ليله من مرض أو وجع أفضل وأعظم أجراً من عباده سنه» (٢).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «إذا مرض المؤمن أوحى الله عز وجل إلى صاحب الشمال لا تكتب».

وروى عن رسول الله أنه قال:

«قال الله عز وجل: إذا وجهت إلى عبد من عبادى مصيبه فى بدنه أو ماله أو ولده ثم أستقبل ذلك (ب -) جميل استحيت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً».

وذلك لأن الله تعالى رءوف بالعباد وهو أشفق على المرء من الوالد على ولده، فإذا ما أبتلى عبداً من عباده بمصيبه ما، ومصائب الدنيا كثيره: فى البدن وفى المال وفى الولد وفى الجاه وفى المنزله وسوى ذلك فالله تعالى بلطفه العميم يعوضه تعويضاً عظيماً فلا ينصب له ميزاناً، ولا ينشر له ديواناً للمساءله.

وروى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم عاد سلمان الفارسى فى مرض فقال له:

«إن فى مرضك هذا ثلاث خصال: الأولى ذكر الله إياك، والثانيه يكفر

ص: ٢٤٢

١- (١) المصدر نفسه: ٢٩٢/٤.

٢- (٢) الكلينى / الكافى: ١١٤/٣.

الله عنك خطاياك، والثالثة تستجاب دعوتك، فأدع الله تشفّ وتعاف».

وذلك إن المرض من منغصات العيش، ومكاره الدهر، وهو ظل كثيف الكرب على النفس، وثقيل الوطأه على القلب، يمتلك الضجر فيه الإنسان، وتتأبه الآلام، فيجزع من لأواء هذا الداء بما أفاضه على سلمان، وهو غير خاص به، بل هو لجميع المسلمين، فالعبره بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وقد روى أن الإمام جعفر الصادق قد قال:

«العافيه نعمه خفيه، إذا وجدت نسيته، وإذا فقدت ذكرت»

وقد وردت الوصايا بكتمان المرض وعدم الشكوى فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«قال الله عز وجل من مرض ثلاثاً فلم يشك إلى أحد من عواده أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه، فإن عافيته عافيته ولا ذنب له، وإن قبضته قبضته إلى رحمتي»^(١).

وعدم الشكوى من المرض رياضه نفسه، إذ جبل الإنسان على بث ما يجد، وكشف ما يشعر به ويحس، أما إذا كتم ذلك، فقد بلغ مرتبه البر والإنابه، وقد عبّر عن ذلك رسول الله بما يروى أنه قال: «من كنوز البر: كتمان المصائب، والمرض، والصدقه»^(٢).

وناحيه أخرى نبه عليها أمير المؤمنين عليه السلام: إن كتمان الوجع

ص: ٢٤٣

١- (١) الترغيب والترهيب: ٢٩٢/٤.

٢- (٢) الكليني / الكافي: ١١٤/٣.

وعدم الشكايه منه إلا الله تعالى توجب من الله شفاءه، فقد روى عنه أنه قال: «من كتم وجعه ثلاثة أيام من الناس وشكا إلى الله؛ كان حقاً على الله أن يعافيه منه»^(١).

والكتمان محمود ومندوب إليه إلا عن الأطباء، فهم أولى الناس بعرفان الداء لوصف الدواء، وتشخيص العله، وليس ذلك من قبيل الشكوى، وإنما هو من قبيل العرض الضروري لأهل التخصص بغيه الشفاء، فقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من كتم الأطباء مرضه خان بدنه»^(٢).

والتعبير عن كتمان الأطباء المرض بأنه خيانه للبدن من أرقى من التعبيرات الموحيه بصنف جديد من أصناف الخيانه.

وعنه عليه السلام أنه قال: (من كتم مكنون دائه عجز طبيبه عن شفائه)^(٣).

وقد يعبر عن السلامه من الأمراض بالداء، وذلك إن من طبيعه الجسم الإنساني أن يمرض، وإن من آلاء الله الخفيه على المرء إن يمرض لما أعد له من منزله خاصه بأهل الزمنى والأمراض. فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «كفى بالسلامه داءً»^(٤).

ص: ٢٤٤

١- (١) الكليني / الكافي: ١١٥/٣.

٢- (٢) الصدوق / الخصال: ١٦٧.

٣- (٣) المصدر نفسه / ٦٣٠.

٤- (٤) غرر الحكم / ٨٥٤٥.

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

«الجسد إذا لم يمرض أشد ولا خير في جسد يأشر»^(١).

وتستحب عياده المريض، ففيها العظه والاعتبار من وجه والأجر الزلفى من وجه آخر، والنظر في المصير سواهما، وقد ورد عن رسول الله عده أحاديث توحى باستحباب عياده المريض، وإن تركها يدعو إلى التائب، أو الشعور بالتقصير عن أمر مستحسن، فعن رسول الله أنه قال:

«إن الله عز وجل يقول يوم القيامة، يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى، قال: يا رب؛ كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده»^(٢).

وتلك مأثره ما بعدها مأثره أن يكون ربّ العزه في عياده عبده المؤمن في صورته نجهلها ولا ندرك كنهها.

وروى عنه صلى الله عليه وآله أنه قال:

«عائد المريض يخوض في الرحمة»^(٣).

وعنه أيضاً: «عودوا المريض، وأتبعوا الجنازه، يذكر كم الآخره»^(٤).

وفي سياق الأجر الكريم الذى يحصل عليه عائد المريض وأعداد الملائكه

ص: ٢٤٥

١- (١) غرر الحكم / ٨٦١٢.

٢- (٢) الترغيب والترهيب: ٣١٧/٤.

٣- (٣) المتقى الهندى / كنز العمال: ٢٥١٤١.

٤- (٤) المتقى الهندى / كنز العمال: ٢٥١٤٣.

المستغفرين له، ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (من عاد مريضاً شيعة سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يرجع إلى منزله)^(١).

ولعياده المريض آدابها وسننها، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«خير العيادة أخفها»^(٢).

وعن أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام أنه قال: «إن من أعظم العواد أجراً عند الله عز وجل لمن إذا عاد أخاه خفف الجلوس إلا أن يكون المريض يحب ذلك ويريده ويسأله ذلك»^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام في آداب العيادة أنه قال: «من تمام العيادة للمريض أن تضع يدك على ذراعه، وتعجل القيام من عنده، فإن عياده النوكى^(٤)، أشد على المريض من وجعه»^(٥).

وروى عن مولى للإمام جعفر محمد الصادق عليه السلام قال:

«مرض بعض مواليه فخرجنا إليه نعوذه، ونحن عنده موالى جعفر!! فاستقبلنا جعفر عليه السلام فى بعض الطريق، فقال لنا: أين تريدون؟ فقلنا نريد فلاناً نعوذه، فقال لنا قفوا، فوقفنا، فقال:

ص: ٢٤٤

١- (١) الكليني / الكافي: ١٢٠/٣.

٢- (٢) المتقى الهندي / كنز العمال: ٢٥١٣٩.

٣- (٣) الكليني / الكافي: ١١٨/٣.

٤- (٤) النوكى هم الحمقى.

٥- (٥) الكليني / الكافي: ١١٨/٣.

مع أحدكم تفاحه أو سفرجله، أو أترجه، أو لعقه من طيب، أو قطعه من عود بخور؟» فقلنا ما معنا شيء من هذا!! فقال: «أما تعلمون أن المريض يستريح إلى كل ما أدخل عليه»(١).

وما قوره الإمام الصادق عليه السلام، استراح له أغلب الناس، وجرت العاده به في عياده المريض من حمل الفاكهه وسواها إلى المريض.

ولعل من المفيد حقاً أن نختم هذا الباب ببلغ من القول روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قاله: «عجيب لمن ابتلى بخمس كيف يغفل عن خمس:

عجيب لمن ابتلى بالضر! كيف يذهب عنه أن يقول «أَنْتِي مَسْنِي الضُّرُّ وَأَنْتِ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ». والله يقول «فَاسْتَجِبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ» ٢.

وعجيب لمن ابتلى بالغم كيف يذهب عنه أن يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»

(٢)، والله تعالى يقول: «فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ» ٤.

وعجبت لمن خاف شيئاً؛ كيف يذهب عنه أن يقول:

«حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» ٥، والله تعالى يقول:

ص: ٢٤٧

١- (١) الكليني / الكافي: ١١٨/٣.

٢- (٣) سورة الأنبياء / ٨٧.

«فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مَنِ اللّٰهِ وَفَضْلِ لَّمْ يَمَسَّسُهُمْ سُوءٌ ۱» .

وعجبت لمن مكر به كيف يذهب عنه أن يقول:

«وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۲» . والله تعالى يقول: «فَوَقَاةُ اللّٰهِ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُوهًا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۳» .

وعجبت لمن أنعم الله عليه بنعمه خاف زوالها كيف يذهب.

عنه أنه يقول: «ما شاء اللّٰهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ ۴» .

والله تعالى يقول: «وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللّٰهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ إِنَّ تَرْنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۵» .

والحق أن هذا الباب في اتساع وسيوره، حاولت أن أقتطف من ثماره ما قدمناه، وإن أختار من أحاديثه ما قد أوردناه، وفيه الغنيه بتمامها لمن أراد الإفاده، أما من أراد الاستزاده فعليه بكتب الحديث الشريف، ومرويات أهل البيت عليهم السلام.

مكاره الدهر وانتظار الفرج

فى الحياه شداىء ومكاره، وفى المسيره الإنسانيه ابتلاءات ومصائب، ولا يكافح ذلك ويخفف من غلوانه إلا انتظار الفرج من الله تعالى، والاتكال عليه فى الشده والرخاء، والتسليم للأمر الواقع، والصبر على ذلك.

وانتظار الفرج على نحوين:

الأول: انتظار الفرج فى الخلاص من الرزايا والمحن والخطوب، وعوادي الزمن، ومشكلات الحياه.

الثانى: انتظار فرج آل محمد صلوات الله عليه، وهو يعنى انتظار ظهور الحجه المهدي عجل الله فرجه.

وفى هذا المنظور سيتحدث البحث عن القسمين فى الموضوع على سبيل الإشاره الموحيه والنموذج الهادف تذكيراً للمؤمن، وتطميناً للنفوس من الجزع واجترار الغصص، وذلك فى ضوء التوجه عند أهل البيت عليهم السلام فى

ص: ٢٤٩

الخلاص وضمان الاستقرار النسبي في الحياه عسى أن يجعل الله بعد عسر يسراً، وبعد الشده فرجاً، ويفرغ علينا صبراً انه نعم المولى ونعم النصير.

أولاً: وليس الصبر على الشدائد بألا مر الهين ولا بالشىء المتوافر عند كثير من الناس لأنه صعب مستصعب، وقد يكون الإنسان شاكراً ذاكراً على كل حال، ولكنه لا يكون صابراً إلا لمأماً، لهذا يأتي توجيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمه المعصومين أطروحه لمعالجه هذا الفرز من حياه الإنسان. وقد أشارت الروايات لهذه المهمه حيث بدأها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقول المأثور أفضل عباده أمتى انتظارها فرج الله تعالى».

فجعل هذا الانتظار من أفضل فصائل العباده المتعدده الأطراف، وقد أردف ذلك بما روى عنه أنه قال:

«عند تناهى الشده يكون الفرج، وعند تضايق البلاء يكون الرخاء» وهى حكمه سائره نشاهدها عياناً ونلمسها تطبيقاً عملياً.

وفى ظلال هذا الفهم التير نجده صلوات الله عليه مبشراً، ومتفائلاً ومعلماً بقوله:

«لو كان العسر فى حجر، لدخل عليه اليسر حتى يخرجه». ولولا هذا الأمل المشرق لكانت الحياه جحيماً لا يطاق. وقد أفاد الشاعر من هذا الملحظ فقال:

إذا ابتليت فتق بالله وارض به إن الذى يكشف البلوى هو الله

اليأس يقطع أحياناً بصاحبه لا تياسن.. فإن الصانع هو الله

إذا قضى الله فاستسلم لقدرته فما ترى حيله فيما قضى الله

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«ثلاث من رزقهن فقد رزق خيرى الدنيا والآخرة: الرضاء بالقضاء، والصبر على البلاء، والدعاء فى الرضاء». ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلم الإنسانىة جمعاء، وقد أوتى جوامع الكلم وفصل الخطاب، وأراد لأمتة إن تكون المثل الأعلى لمكارم العادات، والقدوة المثلى فى إلزام النفس بمعانى الأمور وأثابها، فقال «بالصبر يتوقع الفرء».

وهذه هى سنة الكون، وطبىعه الحىة: شدة ورضاء، وعافىة وبلاء، وشفاء وسعاده، ونعمىة وجحىم، والى جانب ذلك الرجاء وتوقع دفع البلاء، وبلطف من الله تعالى الرؤف الرحىم، وهو بعباده خىبر بصىر، فعند تناهى حلقات الشدائد فى كظتها وغطتها، تتدخل رحمه الواسعة، وتنقسم تلك الحلقات، فتكشف الكروب، وتتلاشى المصائب.

وهناك ملحظ جدىر بالأهمىة، إن يجعل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مقىاس المؤمن الفذّ، والعبد الصالح عدّه البلاء نعمه، والرضاء محنه، وىعلل ذلك تعلىل الحكماء فىقول صلوات الله علىه «لا ىكون العبد مؤمنا حتى ىعد البلاء نعمه، والرضاء محنه، لأن بلاء الدنيا نعمه فى الآخرة، ورضاء الدنيا محنه فى الآخرة».

وهذا نوع من التوجىه الروحى فى تطهىر النفوس، والارتفاع بها إلى مستوى القدىسین.

وقد روى الإمام الصادق علیه السلام: عن إباءة عن أمىر المؤمنین علیه

السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلى عليه السلام:

«واعلم إن النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً».

وقد عدّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاستغفار فى المقام الأول والرفيع الذى يجعل الله به الفرج من كل هم، والمخرج من كل ضيق، والرزق الوفير من حيث لا يحتسب الإنسان، فروى أنه قال:

«من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب».

وينسب للإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال:

وإذا ابتليت بعسره فأصبر لها صبر الكريم... فإن ذلك أحزم

لا تشكون إلى الخلائق إنما تشكو الرحيم إلى الذى لا يرحم

وقد ضرب المثل بالصحابى الجليل بلال بن رباح الحبشى رضى الله عنه فى صبره على أذى قريش، وكان مملوكاً عند أميه بن خلف أحد كبار طواغيت قريش، وكان يعذبه عذاباً شديداً لدى إعلانه الإسلام، وهو صابر على عظام الخطوب، وكلما ألحوا عليه أن يقول كلمه الكفر وعباراه الشرك يأبى، ويقول: «أحد.. أحد» فلما هاجر النبى صلى الله عليه وآله وسلم.. إلى المدينه المنوره، كان بلال أحد المهاجرين.

وفى معركه بدر الكبرى خرج أميه مع المشركين وعليه قريش، وخرج بلال مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين فلما رأى بلال أميه صرّخ قائلاً: «هذا رأس الكفر فلا نجوت إن نجا» ثم حمل على أميه وأراد قتيلاً،

وحمل رأسه على سيفه، وهذا من عجيب المفارقات نتيجة الصبر.

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طرق متعددة أنه قال:

«بينما ثلاثه من بنى إسرائيل يسيرون إذ أخذهم المطر، فأووا إلى غار، فانطبقت عليهم صخره، فسدت الغار، فقالوا فليسأل الله تعالى كل رجل منا بأفضل عمله، فقال أحدهم: اللهم إن كانت لى ابنه عم جميله، وكنت أهواها، فدفعت إليها مئة دينار، فلما جلست منها مجلس الرجل من المرأه قالت: أتق الله يا ابن العم، ولا تفضّ الخاتم، إلا بحقه، فقامت عنها، وتركت المائه دينار!! اللهم إن كنت تعلم إنى فعلت هذا خشيه منك، وابتغاء ما عندك فأفرج عنا، فانفرج عنهم ثلث الصخره.

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لى أبوان شيخان كبيران، وكنت أغدو عليهما بصبحهما، وأروح عليهما بغبوقهما، فغدوت عليهما يوماً، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما، وكرهت أن أنصرف عنهما، فيفقدتا غدائهما، فوقفت حتى استيقظا فدفعت إليهما غدائهما، اللهم إن كنت تعلم أنى إنما فعلت ذلك ابتغاء ما عندك، وخشيه منك؛ فأفرج عنا، فانفرج الثلث الثانى.

وقال الثالث: اللهم إن كنت تعلم، أنى استأجرت أجيراً، فلما دفعت إليه أجره قال عملى بأكثر من هذا، فترك على أجره، وقال: بينى وبينك يوم يؤخذ فيه للمظلوم على الظالم، ومضى، فابتعت له بأجره غنماً، ولم أزل أنميها وأرعها، وهى تزيد وتكثر، فلما كان بعد مره، أتانى فقال: يا هذا إن

لى عندك أجراً، عملت كذا وكذا، فقلت: خذ هذه الغنم فهى لك، فأخذها ودعا لى.

اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت هذا خشيه منك، وابتغاء ما عندك فأفرج عَنَّا، فانفرج عنهم باقى الصخره وخرجوا.

هكذا روى التنوخى فى الفرج بعد الشده، القصة / ٥٢٧، والاعتبار فى هذه القصة الفريده وأحداثها المتغايره أن الصبر على المعصيه، والصبر على الطاعه والأمانه المطلقه، فيما بين المرء وربّه، كل أولئك يورثان الفرج عند الشده.

وعن أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام أنه قال:

علمنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل بى كرب أو شده أن أقول: «لا- إله إلا الله الحليم الكريم، عزّ الله وتبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين».

وعاده ما يعبر عن هذا الدعاء بدعاء الفرج، وله صيغه أخرى رويت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلى العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع، ورب العرش العظيم».

وهناك دعاء بالغ الأهميه، مشرق العبارة، فصيح الأداء، بليغ فى المعنى والمبنى، مروى عن أمير على عليه السلام يسمى بدعاء (الفرج) أيضاً، وأهله

يتوارثونه عنه، وهو: «يا من تحل به عقد المكاره، ويفلّ حد الشدائد، ويا من يلتمس به المخرج، ويطلب منه روح الفرج، أنت المدعو في المهمات والمنزع بالملمات، لا يندفع منها إلا ما دفعت، ولا ينكشف منها إلا ما كشفت، قد نزل بي ما قد علمت، وقد كادني في ثقله، وألم بي ما بهضني حمله، ويقدرتك أوردته عليّ وبسلطانك وجهت إليّ ولا مصدر لما أوردت، ولا كاشف لما وجهته، ولا فاتح لما أغلقت، ولا ميسر لما عسرت، ولا معسر لما يسرت.

فصل على محمد وعلى آل محمد، وأفتح لي باب الفرج بطولك، وأحبس عني سلطان الهم بحولك، وأنلني حسن المنظر فيما شكوت، وأذقني حلاوه الصفح فيما سألت، وهب لي من لدنك فرجاً هنيئاً عاجلاً، وصلاًحاً في جميع أمري سنياً شاملاً، وأجعل لي من عندك فرجاً قريباً ومخرجاً رجباً، ولا تشغلني بالاهتمام عن تعاهد فروضك، واستعمال سنتك، فقد ضقت ذرعاً بما عراني، وتحيرت فيما نزل بي ودهاني، وضعفت عن حمل ما أثقلني همماً، وتبدلت فيما أنا فيه قلقاً وغمماً، وأنت القادر على كشف ما وقعت فيه، ودفعت ما منيت به، فأفعل بي ذلك يا سيدي ومولاي، وإن لم أستحقه، وأجبنى إليه، وإن لم أستوجهه، يا ذا العرش العظيم، يا ذا العرش العظيم، يا ذا العرش العظيم.

أرأيت كيف أفرغت البلاغه ألفاظها، وكيف أنجبت الإنابه رجالها، وكيف أقامت العقيدة أركانها، ولك أن تتأمل فيما نزل بأمر المؤمنين من المصائب العظيمه، وما أكتنفته من الدواهي الجليله، وما أحاط به من الهموم

والغموم، فأنفجر بهذا الدعاء العظيم».

وروى عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

«إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علّم علياً دعاءً يدعو به في كل هم، وكان عليٌّ يعلمه الناس، وهو:

«يا كائناً قبل كل شيء، ويا مكوّن كل شيء، ويا كائناً بعد كل شيء، افعل بي كذا وكذا».

وهذا الدعاء في طلب الفرج أشتمل على مادة الكون والتكوين في ثلاثه مواضع، وكلها منسوبة إلى الله تعالى، لإغاثة السامع وتنبهه على تفهم معنى الوجدانيه المطلقه.

ومن حكم أمير المؤمنين السائره وعباراته المعبره قوله:

«أطردوا واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين»، فله درّك يا أمير المؤمنين حينما شخصت الداء ووصفت الدواء.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«من أصابه هم، أو غم، أو سقم، أو شدة أو ذل، أو لأواء، فقال: (الله ربي لا شريك له) كشف الله ذلك عنه»، عبارته موجزه فيها الكثير وعليها المعول في الأمر الخطير فيما عدده رسول الله من أنواع البلاء، فبالله تعالى يدفع كل مكروه.

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله، قال:

ص: ٢٥٦

«كنت معتقلاً بالكوفه، فخرجت يوماً من السجن مع بعض الرجال، وقد زاد همى، وكادت نفسى أن تزهدق، وضاق على الأرض بما رحبت، وإذا برجل عليه آثار العباده قد رأى ما أنا فيه من الكآبه فقال: الصبر.. الصبر.. فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«الصبر ستر الكروب وعون على الخطوب».

فروى أنه فرّج الله عنه وخرج من السجن.

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«إذا عجزتم عن الليل أن تكابدوه، وعن العدوان أن تجاهدوه، فلا تعجزوا عن الكلمات الأربعه: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فإنهنّ الباقيات الصالحات».

وبهذا ننهي الحديث عن القسم الأول في انتظار الفرج عند الشدائد ومنتقل إلى القسم الثاني في انتظار فرج آل محمد.

ثانياً: فرج آل محمد:

لم يكن الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف فرضيه فلسفيه يشرق ويغرب بها فلاسفه الظواهر أو يتداولها المتكلمون بفارق القول وجدليات النزاع والتخاصم، ولكنه حقيقه تاريخيه تشهد بها وقائع العيان وصدق المشاهده، وجمهور المسلمين على هذا، والأماميه كذلك، والفرق بينهما أن بعض الجمهور، وهم يقولون به أنه سيولد عليه السلام، والإماميه قالوا بولادته في حياه أبيه الإمام الحسن العسكري في الخامس عشر من شعبان عام ٢٥٥ هـ -.

ص: ٢٥٧

وكانت ملاحقه العباسيين للإمام وكبس داره، واعتقال نسائه من أدله وجوده الشريف حياً يرزق، وينتظر الأمر من الله عز وجل للقيام بملاء الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فهذا وذاك من الثوابت التي لا تتحول، ومن العقائد التي لا تتزلزل، فقد خلفه أبوه إماماً بالنص، وثبتت إمامته لدى أوليائه بالشواهد والاعتبار ودلائل البرهان سواء بالإفتاء أو الكرامه أو الأنبياء بعوالم الغيب المجهول ويتحقق بالفعل.

وكان للإمام وكلاء وسفراء بينه وبين شيعته عندما ثبتت إمامته دون شك بالصلاه على أبيه، فقد روى أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام لما توفى، ووضع نعشه للصلاه عليه، تقدم أخوه جعفر بن الإمام الهادي للصلاه، فلما همم بالتكبير خرج صبي بوجهه سمره، وبشعره ققط، وبأسنانه تفليخ، ف جذب رداء جعفر، وقال: تأخر يا عم، فانا أحق بالصلاه على أبي، فتأخر وقد إربد وجهه، فتقدم الصبي - وهو الحجه المنتظر - فصلى على أبيه، ودفن إلى جنب قبر أبيه الهادي عليه السلام فى دارهم بسامراء.

ولاحقته أجهزه الأمن المدربه لدى البلاط العباسى فما ظفروا به، وعشروا على آثاره ودلائله، وما استطاعوا القبض عليه، وهنا قامت السفاره بين الإمام وشيعته على يد الوكلاء وهم:

١ - عثمان بن سعيد العمري.

٢ - محمد بن عثمان بن سعيد العمري.

٣ - الحسن بن روح النوبختي.

ص: ٢٥٨

واستمرت هذه السفاره أربعه وسبعين عاماً حتى سنة ٣٢٩ هـ - وهي سنة وفاه السفير الرابع الذي خرج التوقيع الرفيع على يديه بان لا يوصى إلى أحد، فقد بدأت الغيبه الكبرى حتى يأذن الله له بالظهور، أما وجه الانتفاع بغيبته، فقد أشار إليه وصرح به صاحب الأمر بالقول:

«وأما وجه الانتفاع بي في غيبتى، فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب، وإنى لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء».

وعله الغيبه عدم التكامل الأسباب للظهور الشريف من جهه، والحذر من الطواغيت بالأقدام على قتله لو أمكنهم ذلك، ولعلل مجهوله تتجلى عند الظهور، وقد أشبعنا هذا الموضوع وسواه، وفيما يتعلق بالمهدى المنتظر عجل الله فرجه فى كتابنا (الإمام المهدي المنتظر نصب عينيك وكأنك تراه) ووجوده الشريف مرتبط بحفظ وجود أوليائه، فهو وريث حجج الله على عباده كما روى ذلك مئات المؤلفين من الجمهور الإماميه، وقد ذكر الخوارزمي فى مقتله بسنده عن سلمان الفارسي رضى الله عنه قال:

دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحسين على فخذه، وهو يقبل عينيه ويلثم فاه، ويقول: إنك إمام وابن إمام أبو أئمه، إنك حجه ابن حجج تسعه من صلبك، تاسعهم قائمهم»

وروى الحموي والصدوق والطبرسي والقندوزي وسواهم عن سليمان

بن مهران الأعمش عن جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه محمد الباقر عليه السلام عن أبيه علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنه قال:

«نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وساده المؤمنين، وقاده الغر المحجلين، وموالى المؤمنين.

ونحن أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه وبنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث وينشر الرحمه ويخرج بركات الأرض، ولولا ما فى الأرض منا لساخت الأرض بأهلها.. ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجه لله فيها، ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجه فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله»

قال سليمان: فقلت: كيف ينتفع الناس بالحجه الغائب المستور؟

قال: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها حجاب».

والشئ الذى نريد قوله: أن الإمام المهدي غائب عن الأنظار، ومنتظر من قبل الأولياء، وانتظار فرجه من أفضل الأعمال.

وروى عن عبد السلام بن صالح الهروى أنه قال: سمعت دعبل بن علي الخزاعى يقول: أنشدت مولاي الرضا قصيدتى وأولها:

مدارس آيات خلت من تلاوه ومنزل وحى مقفر العرصات

فلما انتهيت إلى قولى:

ص: ٢٦٠

ولولا لذي ارجوه فى اليوم أوغد لقطعت نفسى إثرهم حسراتى

خروج إمام لا محاله خارج يقوم على أسم الله والبركات

يميز فىنا كل حق وباطل ويجزى على النعماء والنقمات

بكى الإمام الرضا: على بن موسى بكاء شديداً ثم رفع رأسه إلى وقال:

«يا خزاعى نطق الروح الأمين على لسانك فى هذين البيتين!! فهل تدرى من هو هذا الإمام؟ ومتى يقوم!!؟».

فقلت يا مولاي: لا، إلا أنى سمعت بخروج إمام منكم يطهر الأرض من الفساد ويملؤها عدلاً وقسطاً.

فقال عليه السلام: «يا دعبل بعدى محمد، وبعد محمد أبنه على، وبعد على أبنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم، المنتظر فى غيبته، المطاع فى ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً!! أما متى؟ فقد حدثنى أبى عن أبيه عن آبائه؛ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال صلى الله عليه وآله: مثله مثل الساعة التى لا يجليها لوقتها إلا هو عز وجل، لا يأتيكم إلا بغتة».

ولذلك ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«أفضل أعمال أمتى انتظار فرج الله تعالى»، ولا مانع أن يكون انتظار

الفرج تطبيقاً عملياً في الإعداد لخروجه - عليه السلام - بتهيأه المناخ المناسب، وخلق الجيل الصاعد تدريجياً وتربيته على مبادئ الدين الإسلامي، وتعليمات أهل البيت، وإشاعه مفاهيم فلسفه الغيبه وفلسفه الظهور، ويكون هذا الانتظار نوعاً من العباده المتقبله عند الله تعالى، وثبات على موالاه الأئمه الطاهرين زمن الغيبه، فقد روى الصدوق في «كمال الدين» بسنده عن عمرو بن ثابت عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال:

«من ثبت على مواليتنا في غيبه قائمنا، أعطاه الله عز وجل، أجر ألف شهيد من شهداء بدر وأحد». وذلك أنه لا يخرج إلا بعد اشتداد الأمر، وتظاهر الأئمه على الفتنة، وكثره الفتن وانتشارها في الأفاق كقطع الليل المظلم، وتكفير الناس بعضهم لبعض، والقتل على الظنه والتهمه، واستشراء البغى والفساد، وانتشار الخمر والفجور، واهتزاز أمر العرب والمسلمين في كل صقع وربع من ديار الإسلام، فقد روى الشيخ الطوسي في «الغيبه» عن الإمام الحسن عليه السلام، أنه قال:

«لا يكون هذا الأمر الذي تنتظرون حتى يبرأ بعضكم من بعض، ويتفل بعضكم في وجه بعض، وحتى يشهد بعضكم بالكفر على بعض».

وهذا أمر مشين لا- يقرّه الإسلام؟ فكيف بالقتال الدائر اليوم بين التكفيريين والمسلمين، وأين حرمة الدماء التي شدد عليها الإسلام، وكيف بالمتفجرات والمفخخات، ومن أين مواردها، وكيف تتوافر مصادرها؟ أنفط العرب يقتل العرب؟ وبثروه الإسلام يباد المسلمون، وأموال الأئمه تنسف

وتقصف بيوت الأمم؟، أنه ما نشاهده اليوم من هذه الأعمال التي تضح فيها أهل السماوات وأهل الأرض لمذكور في روايات أهل البيت حذو القذة بالقذة فقد روى المجلسى في «بحار الأنوار» عن رسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«منا مهدي هذه الأمة، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً، وتظاهر الفتن، وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيراً، ولا صغير يوقر كبيراً، فيبعث الله عند ذلك مهدينا، التاسع من صلب الحسين عليه السلام يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً. يقوم في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان، فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً».

وفي زمن الغيبة يختبر الناس، ويمحص الله القلوب، ويغربل الخلق، لتكن الحجة البالغة لله على الناس، فقد ورد عن الأمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لابد للناس من أن يمحصوا ويميزوا ويغربلوا.. وسيخرج من الغربال خلق كثير» وهذا حق لا يدانيه ريب، إذ لابد من تجربته والاختبار قال تعالى: «أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ١» .

وقد روى النعماني في «الغيبه» عن أمير المؤمنين أنه قال:

«إن بين يدي القائم سنين خداعه، يكذب فيها الصادق، والصدق الكاذب. ويقرب فيها المحال - أى الماكر - وينطق فيها الروبيضة» أى التافه.

وهذا ما شاهدناه في عصرنا هذا، فقد نطق تافه السياسيين، وكذب أهل

الدين الراسخ، وصدق أهل الكذب الصريح.

فعن ابن أبي يعفور، قال: سمعت أبا عبد الله - يعنى الأمام الصادق - يقول:

«ويل لظغاه العرب من شر قد أقرب»!! فقلت:

جعلت فداك: كم مع القائم من العرب؟ قال عليه السلام «شئ يسير» فقلت: والله أن من يصف هذا الأمر منهم لكثير» فقال عليه السلام:

«لابد الناس أن يمحصوا ويميزوا.. الخ وروى الحديث المتقدم ذكره.

والإحداث التي تسبق الظهور ثقله ظل بعيده الأثر، وأشدها الحروب الطاحنه بين العرب، وهو ما نشاهده هذه اليوم فى الربيع العربى الذى أنقلب خريفاً فأنا الله وإنا إليه راجعون، وما يجرى فى مصر وسوريا وتونس والعراق ما هو إلا إرهابات تنبئ عن أمر خطير فى الفرقه وتمزيق الصف وتشتت الهدف، ففى كل صقع ناعق، وفى كل أفق صائح، وعاد القتل على الهويه، والسؤال عن العقيده، والدماء تسيل كل مسيل، والحرمان تنتهك أيما انتهاك، وفتنه الشام قائمه على قدم وساق، وقد ورد فى أخبار أهل البيت أنها تقوم فتنه فى الشام يطلبون المخرج منها فلا يجدونه، ويكفيك ما تشاهد من الحال، مما يغنى عن المقال، والتوسع فى الوصف.

روى المجلسى فى «بحار الأنوار» عن الأمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

«لا يقوم القائم إلا على خوف شديد وفتنه وبلاء يصيب الناس،

وطاعون قبل ذلك، وثم سيف قاطع بين العرب، واختلاف بين الناس، وتشتت في دينهم، وتغير حالهم، حتى يتمنى المتمنى الموت صباحاً ومساءً من عظيم ما يرى من كَلْبِ الناس، وأكل بعضهم بعضاً».

ولا يكون ظهوره المبارك حتى يشكك في ذلك الناس، ويكفرون به ويجعلونه للشيطان عليهم سبيلاً، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

والذى بعثنى بالحق بشيراً، ليغيبَ القائم من ولدى بعهد معهود إليه منى، حتى يقول الناس: ما لله فى آل محمد حاجه، ويشكك آخرون فى ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه، ولا يجعل للشيطان إليه سبيلاً بشككه فيزيله عن ملتى، ويخرجه من دينى، كما أخرج أبوكم من الجنة من قبل. وإن الله عز وجل جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون».

بينما يكون أولياؤه المنتجبون فى منتهى الثبات والصلابه، وعند حسن الظن بهم، يتمتعون بالأحلام الرصينه، ويفكرون بعقول سليمه، وهم كمن شاهد الأمر، فقد روى عن الإمام زين العابدين عليه السلام وهو يتحدث عن أهل زمان غيبه القائم المنتظر، بأنه قال:

«إن أهل زمان غيبته، القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره، أفضل من أهل كل زمان؛ لأن الله أعطاهم من العقول والإفهام والمعرفه ما صارت به الغيبه عندهم بمنزله المشاهده، وجعلهم فى ذلك الزمان بمنزله المجاهدين بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف».

وقد أثنى الإمام الصادق عليه السلام على الثابتين المتمسكين بأمرهم عند غياب قائمهم، فروى عنه انه قال:

«يأتى على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيا طوبى للثابتين على أمرنا فى ذلك الزمان، إن أدنى ما يكون لهم من الثواب أن يناديهم البارى عز وجل: عبادى آمنتم بسرّى، وصدقتم بغيبتى، فابشروا بحسن الثواب منّى، فأنتم عبادى وإمائي حقاً، منكم أتقبل، وعنكم أعفو، ولكم اغفر، وبكم أسقى عبادى الغيث، وادفع عنهم البلاء، ولولاكم لأنزلت عليهم عذابي..»

ف قيل: يا ابن رسول الله، فما أفضل ما يستعمله المؤمن فى ذلك الزمان؟ قال: «حفظ اللسان، ولزوم البيت».

وورد الثناء فى زمن الغيبة على العلماء العاملين الذين يرشدون إلى النهج القويم، وينقذون البلاد والعباد من الزلل والضلال، ويتحابون مع المستضعفين فى الأرض فيمسكون بأيديهم تخليصاً لهم من الوقوع فى المزالق، والتردى فى الشبهات، فقد روى أن الإمام محمد الجواد عليه السلام قال: «لولا من يبقى بعد غيبه قائمنا من العلماء والداعين إليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شبابك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب لما بقى أحد إلا ارتد عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون أزمه قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل».

ومع هذا كله فان الناس تطلب السبيل إلى الفرج فلا تصل إليه، ومنهم

من يبقى صامدا صلب القلب على طول المده.

وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال:

«للقائم منا غيبه أمدها طويل، كأنى بالشيعة يجولون جولان النعم فى غيبته. يطلبون المرعى فلا يجدونه، إلا فمن ثبت منهم على دينه، ولم يقسُ قلبه لطول أمر غيبه أمامه: فهو معى فى درجتى يوم القيامة»

على إن لطواغيت الحكام أساليبهم الملتويه فى اجترار الإِجرام وسوء معامله المسلمين، والاعتداء على الحرمات، واستخلاص وعاظ السلاطين وعلماء السوء وعملاء الاستعمار العالمى، حتى يضح المؤمن فيمر على قبر أخيه فيتمنى أن يكون فيه، وحتى يتمنى الموت صباحا ومساء مما يشاهده من الحيف والضميم ولقد أورد القندوزى فى «ينابيع الموده» عن حذيفه بن اليمان انه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«ويح هذه الأمة من ملوك جباره، كيف يقتلون ويطردون المسلمين إلا من اظهر طاعتهم، فالمؤمن التقى يصانعههم بلسانه، ويفرّ منهم بقلبه، فإذا أراد الله تبارك وتعالى إن يعيد الإسلام عزيزاً، قصم كل جبار عنيد، وهو القادر على ما يشاء وأصلح الأمة بعد فسادها.

يا حذيفه: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتى يظهر الإسلام، لا يخلف وعده وهو على وعده قدير».

وينبغى هنا أن نشير إلى بعض إفاضات صاحب الأمر عجل الله فرجه،

وهو يطمئن أوليائه في ثلاثه أقوال ساتره:

١ - واني أمان لأهل الأرض، كما أن النجوم أمان لأهل السماء.

٢ - إنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم الأواء، واصطلمكم الأعداء.

٣ - وإما وجه الانتفاع بي في غيبتى، فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها السحاب.

ص: ٢٤٨

من منّا لم يقترب ذنباً، ومن منا من لم يرتكب خطيئته، هذا هو شأن الناس في كل زمان ومكان، إلا من عصم الله سبحانه وتعالى.

والذنوب على نوعين: كبائر وصغائر، فالكبائر ما أوعدها الله بالعقاب والنار، إلا مع التوبه والاستغفار، والصغائر أمرها إلى الله تعالى إن شاء عاقب وإن شاء عفا، والإصرار على الصغيره كبيره، وتجاوز كل ذلك بالإنباه إلى الله عز وجل، والإخبات إليه، والعزم على عدم العوده إلى الذنوب، فان عاد واستغفر، والله رءوف بالعباد «غَافِرِ الذُّنُوبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ۝١». والروايات عن أهل البيت عليهم السلام كثيره ومتواتره وعديده، فهم يعالجون ظاهره الذنب بالتي هي أحسن، وهم يدعون إلى التعجيل بالتوبه لئلا يقع الإنسان والعياذ بالله في المهالك.

وجاءت المرويات فى هذا الصدد محدّره، ومنذره، فمن الذنوب ما يغفر، ومن الذنوب مالا يغفر، ومن الذنوب ما تعجل عقوبتها، ومنها ما يكفر به عن الذنوب، ومنها ما يخفف عنها، والذنوب آثار وضعيه، ولها دواؤها، ولها عقوبتها فى الدنيا وسوى ذلك. قال تعالى: «إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا» ١ .

وقال تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ» ٢ .

وقال تعالى: «بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» ٣ .

وأنت ترى هذه الآيات محدّره ومنذره ومتوعده ومبشره، كلُّ أولئك من اجل المبادره إلى التوبه، وعدم الاستخفاف بالذنوب، عصمنا الله فيما بقى من العمر عن الذنوب التى لا تغفر.

وإذا ابتلى الإنسان بالمعصيه فلا يجاهر بها، وعليه أن يتكتم فى ذلك، فالمجاهره بالذنوب قد تعجل النقمه، وإذاعه السيئه خذلان ما بعده خذلان، وقد يغفر للمتستر بها.

قال الإمام على عليه السلام: «مجاهره الله سبحانه بالمعاصى تعجّل النقم...» (١).

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «المذيع بالسيئه مخذول، والمتستر بها مغفور له» (٢).

ويقابل هذا التحذير من المعاصى فى الخلوات، لأن الشاهد هو الله تعالى وهو الحاكم، هذا من جهه، ومن جهه أخرى فقد لا يعبأ الله به، فعن أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام انه قال: «اتقوا معاصى الله فى الخلوات، فان الشاهد هو الحاكم» (٣). وهذا من أبلغ الكلام وأصح الاستدلال.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «من ارتكب الذنب فى الخلاء لم يعبأ الله به» (٤).

والاستخفاف فى الذنب - كما هى عاده المذنبين - من أعظم الذنوب وأشدها عند الله تعالى، والاستمرار عليها حتى يئب اللحم والدم، والإصرار عليها. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أشدُّ الذنوب ما استخفَّ به صاحبه» (٥).

وعنه عليه السلام: «أعظم الذنوب عند الله ذنب أصر عليه عامله» (٦).

ص: ٢٧١

١- (١) غرر الحكم / ١٨٩٠.

٢- (٢) المجلسى / بحار الأنوار: ٣٥٦/٧٣.

٣- (٣) المصدر نفسه: ٧٠/٧٨.

٤- (٤) المصدر نفسه: ٢٤٧/٤٦.

٥- (٥) المصدر نفسه: ٣٦٣/٧٣.

٦- (٦) غرر الحكم / ٩٨/١.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «الذنوب كلها شديده، وأشدّها ما نبت عليه اللحم والدم»^(١).

وهنالک من الذنوب ما لا يغفر - نستجير بالله منها - والله يغفر ما دونها لمن يشاء، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا»^(٢).

وقد أفاض الإمام على عليه السلام في هذا الملحظ، وعدد ذنوبا كبيره تعتبر من عزائم الله تعالى في القرآن العظيم، فقد روى انه قال: «إن من عزائم الله في الذكر الحكيم.. أنه لا ينفع عبداً.. وإن أجهد نفسه واخلص فعله إن يخرج من الدنيا لاقياً ربه بخصله من هذه الخصال لم يتب فيها: أن يشرك بالله فيما افترض من عبادته، أو يشفى غليله بهلاكك نفس، أو يُعزَّ بأمر فعله غيره، أو يستنجح حاجه إلى الناس بإظهار بدعه في دينه، أو يلقي الناس بوجهين، أو يمشى فيهم بلسانين»^(٢).

واستصغار الذنب، والتمنى أن لا يؤاخذ الله تعالى إلا به، من الذنوب التي لا تغفر فيما قرره الإمام الباقر عليه السلام انه قال: «من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل يا ليتني لا أؤاخذ إلا بهذا»^(٣).

ص: ٢٧٢

١- (١) الكليني / الكافي: ٢٧٠/٢.

٢- (٣) نهج البلاغه / الخطبه: ١٥٣.

٣- (٤) الصدوق / الخصال: ٨٣/٢٤.

والاستخفاف بالذنب، وصغر الذنب بعين فاعله، والمحقرات من الذنوب واستقلالها، والصغائر الموصلة إلى الكبائر، كل أولئك من الذنوب الكبرى. فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت صخره يخاف أن تقع عليه، والكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مر على أنفه»^(١).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم «إن إبليس رضى منكم بالمحقرات»^(٢).

وعن الإمام على عليه السلام انه قال: «أعظم الذنوب عند الله سبحانه ذنب صغر عند صاحبه»^(٣).

وعن الباقر عليه السلام «لا مصيبه كاستهانتك بالذنب، ورضاك بحاله التي أنت عليها»^(٤).

وعن الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال:

«لا تستقلوا قليل الذنوب، فان قليل الذنوب يجتمع حتى يكون كثيراً»^(٥).

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «الصغائر من الذنوب طرق إلى الكبائر، ومن لم يخف الله في القليل لم يخفه في الكثير»^(٦).

ص: ٢٧٣

١- (١) الطوسي / الأمالى: ٥٢٧.

٢- (٢) المجلسى / بحار الأنوار: ٢٤٧/٤٦.

٣- (٣) المصدر نفسه: ٧٠/٧٨.

٤- (٤) غرر الحكم / ٣١٤١.

٥- (٥) تحف العقول / ٢٨٦.

٦- (٦) المجلسى / بحار الأنوار: ٣٥٣/٧٣.

وينبغي للإنسان أن لا يتهجم بالذنوب، ولا يركن إليها، ولا يأنس، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

«من تلذذ بمعاصي الله أورثه ذلاً»^(١).

وأى ذل ذلك الذى يورثه الله عبده - نستعيد بالله منه - فإن العار والشنار الذى لا يدفع ولا يرفع.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «إياك والابتهاج بالذنب، فإن الابتهاج به أعظم من ركوبه»^(٢)؛ لأن الابتهاج بالذنب يدعو إلى مقاربتة مرةً تلو مرة، والسرور به يعنى الابتعاد عن السداد، وقد يكون إصراراً على الذنب، والإصرار عليه حذرت منه الآثار فنجد روى عن الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«لا كبير مع الاستغفار، ولا صغير مع الإصرار»^(٣).

وفى ضوء قوله تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ ۚ».

فى ضوء هذه الآية المباركة، يقول الأمام محمد الباقر عليه السلام:

ص: ٢٧٤

١- (١) غرر الحكم / ٨٨٢٣.

٢- (٢) المجلسى / بحار الأنوار ١٥٩/٧٨.

٣- (٣) المصدر نفسه ٣٥٥/٧٣.

«الإصرار أن يذنب العبد ولا يستغفر، ولا يحدث نفسه بالتوبه فذلك الإصرار»(١).

أما كبائر الذنوب فقد حددها الحديث الشريف في بعض مصاديقها، فقال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

«الكبائر: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وقتل نفس، واليمين الغموس»(٢).

وحددها الإمام على عليه السلام حينما سئل عن أكبر الكبائر، قال: «الأمن من مكر الله، واليأس من روح الله والقنوط من رحمه الله»(٣).

وقد فضل الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بمصاديق جملة الكبائر، فقد روى عنه أنه قال:

«الكبائر سبع: قتل المؤمن متعمداً، وقذف المحصنه، والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجره، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا بعد البيئه، وكل ما أوجب الله عليه النار»(٤).

وهناك من الذنوب ما تعجل عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ثلاثه من الذنوب تعجل عقوبتها

ص: ٢٧٥

١- (١) ألمجلسى / بحار الأنوار ٣٢/٦٠.

٢- (٢) المتقى الهندي / كنز العمل / ٧٧٩٨.

٣- (٣) المصدر نفسه / ٤٣٢٥.

٤- (٤) الكليني / الكافي: ٢/٢٧٧.

ولا تؤخر إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبغى على الناس، وكفر الإحسان»(١).

وقد ذكر أن الأمام محمد الباقر عليه السلام روى قائلاً:

«فى كتاب أمير المؤمنين عليه السلام: ثلاث خصال لا يموت صاحبهن حتى يرى وبالهنّ: البغى، وقطيعه الرحم، واليمين الكاذبه»(٢).

وللذنوب فى مرويات أهل البيت عليه السلام آثار وضعيه فيها من العظه والعبره ما فيها، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الذنب شؤم على غير فاعله، إن عيره أبتلى، وإن اغتابه أثم، وإن رضى به شاركه»(٣).

وعن أمير المؤمنين الأمام على عليه السلام أنه قال: «ما جفت الدموع إلا لقسوه القلوب، وما قست القلب إلا لكثرة الذنوب»(٤).

وقد أشار الأمام زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام إلى تلك الذنوب التى تحبس عن الناس الغيث، فقال فيما روى عنه:

«الذنوب التى تحبس غيث السماء: جور الحكام فى القضاء، وشهاده الزور، وكتمان الشهاده»(٥).

ص: ٢٧٦

١- (١) الشيخ المفيد / الأمالى: ٢٣٧.

٢- (٢) المصدر نفسه / ٩٨.

٣- (٣) الفردوس: ٢٤٩/٢.

٤- (٤) الصدوق / علل الشرائع: ٨١.

٥- (٥) الصدوق / معانى الأخبار: ٢٧١.

وعن الأمام الباقر عليه السلام: «إنه ما من سنه أقل مطراً من سنه، ولكن الله يضعه حيث يشاء، أن الله عز وجل إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدر لهم من المطر»^(١).

وللإمام الصادق عليه السلام في فلسفه هذا الأمر عدة مرويات ذات مضامين دلاليه في تعليل أثار الذنوب، فقد روى عنه أنه قال: «إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكته سوداء، فإن تاب انمحت، وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً»^(٢).

وعنه عليه السلام:

«ما أنعم الله على عبده نعمه فسلبها إياه حتى يذنب ذنباً يستحق بذلك السلب»^(٣).

وعنه عليه السلام أيضاً:

«إن الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاه الليل، وإن العمل السيء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم»^(٤).

وعنه عليه السلام:

«من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال»^(٥).

ص: ٢٧٧

١- (١) المجلسي / بحار الأنوار ٣٢٩/٧٣.

٢- (٢) المصدر نفسه: ٣٢٧/٧٣.

٣- (٣) المصدر نفسه: ٣٢٩/٧٣.

٤- (٤) الكليني / الكافي: ٢٧٢/٢.

٥- (٥) الطوسي / الأمالى: ٧٠١.

وعن الإمام الرضا عليه السلام فى تحذير الظلمه، ومنع الزكاه، يروى أنه قال:

«إذا كذب الولاه حبس المطر، وإذا جار السلطان هانت الدوله، وإذا حبست الزكاه ماتت المواشى»^(١).

ومع هذا كله فان الله سبحانه وتعالى بعطفه ولطفه جعل الاستغفار والتوبه سبيلاً مهيباً للمؤمنين، يسلكونه حتى لا يقنطوا من رحمه الله تعالى. فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لكل داء دواء، ودواء الذنوب الاستغفار»^(٢).

وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «للمؤمن اثنان وسبعون مستتراً، فان تاب رده الله إليه وسبعه معه»^(٣).

وهناك طائفه كبيره من مكفرات الذنوب التى يقتربها العبد عمداً، أو بجهاله، وتلك المكفرات باب متسع الموارد نشير فى هذا البحث إلى أهمها فى روايات أهل البيت عليهم السلام.

١ - الهموم والأحزان

الهموم والأحزان من مشكلات الزمان قديمه وحديثه، ومن منغصات العيش المملحه فى شتى أنواع الآلام الفكرية والنفسية والعاطفيه، وقد يصل

ص: ٢٧٨

١- (١) المفيد / الأمالى: ٣١٠.

٢- (٢) الجعفرىات / ٢٢٨.

٣- (٣) الراوندى / النوادر: ٩٧.

الإنسان إلى اليأس المرير، فتشل الحركة، وتقف به مسيره الحياه على شاطئ من التفكير القاتل والعذاب الأليم، نسال الله عز وجل أن يحصننا من طوارق الهموم والغموم فى حصنه فإنه أرحم الرحمين.

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ما أصاب المؤمن من نصب ولا وصب ولا حزن حتى الهم يهّمه إلا كفر الله به عنه سيئاته»^(١).

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الهمّ ليذهب بذنوب المسلم»^(٢).

وعن الأمام الرضا عليه السلام أنه قال: «ما من أحد من شيعه على أصبح صبيحاً أتى بسئته أو ارتكب ذنباً إلا أمسى وقد ناله غمّ حط عنه سيئته، فكيف يجرى عليه القلم»^(٣).

وهذه الأحاديث الثلاثه مبشرات للمؤمن من أولياء أهل البيت عليهم السلام والمسلمين الصالحين بحط الذنوب والأوزار نتيجة ما يصيبهم من هم أو غم أو حزن مما يشكّل بمجموعه تكفير السيئات، والله عز وجل أعلم بما يصلح عباده.

ص: ٢٧٩

١- (١) تحف العقول / ٣٨.

٢- (٢) الدعوات / ١٢٠.

٣- (٣) المجلسى / بحار الأنوار: ١٤٦/٦٨.

والداء الوبيل قليله وكثيره، حقيقه وخطيره، عارضه ومزمنه مما يحيل الحياه - أحياناً - جحيماً لا يطاق، ويجعل الإنسان في دوامه من التفكير المعاكس لانتظار الفرج من الله تعالى، والمرض يتنقل مع الإنسان في مراحل حياته كافة، الصبي، والشاب، والكهل، والشيخ، ومن يردّ إلى أرذل العمر. وقد ينتهي المرض بالإنسان إلى الموت، وبذلك يكون الموت كفاره لذنوب المؤمنين كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الموت كفاره لذنوب المؤمنين»^(١)؛ وذلك لما يعانیه من سكرات الموت، ومشاهد العوالم الأخرى غير المرئيه لنا، وبذلك تكون نهايه الحياه الأولى.

وعوداً على بدء فأن الأمراض مما تحط السيئات، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: حمى ليله كفاره سنه^(٢).

فيا لها من رحمه غامره من الله تعالى أن تكون الحمى في ليله عابره سرعان ما تتصرم كفاره لذنوب سنه.

وعنه صلى الله عليه وآله قال «السقم يمحو الذنوب»^(٣).

وعن الأمام على عليه السلام أنه قال: «إذا ابتلى الله عبداً أسقط عنه من الذنوب بقدر علته»^(٤).

ص: ٢٨٠

١- (١) المفيد / الأمالى: ٢٨٣

٢- (٢) المجلسى / بحار الأنوار: ١٨٦/٨١.

٣- (٣) المصدر نفسه: ٢٤٤/٦٧.

٤- (٤) دعائم الإسلام: ٢١٨/١.

وعنه عليه السلام في المرض يصيب الصَّبِي (كفَّاره لوالديه)(١).

والحديث في هذا السياق ذو أبعاد كثيرة، اكتفينا بما ذكرنا عنه.

٣ - الأعراض في الحياه الدنيا

وأعراض الحياه الدنيا متواليه على كل أحد، ولا يسلم منها أحد عادة، فالبلاء في البدن والمال والولد يمثل صورته من ذلك، وتعجيل العقوبه للمرء في الدنيا من الخير العميم له، ولكن لا صبر لنا على ذلك.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (لا- يزال البلاء في المؤمن والمؤمنه في جسده وماله وولده حتى يلقي الله وما عليه من خطيئه)(٢).

وعن أمير المؤمنين الأمام على عليه السلام أنه قال: «ما من الشيعة عبد يقارف أمراً نهينا عنه فيموت حتى يبلى ببليه تمحص بها ذنوبه، إما في ماله، وإماً في ولده، وإماً في نفسه، حتى يلقي الله عز وجل وما له من ذنب، وإنه ليبقى عليه الشيء من ذنوبه فيشدد به عليه عند موته»(٣).

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال:

«إذا أراد الله بعبد خيراً عجل عقوبته في الدنيا، وإذا أراد بعبد سوءاً أمسك عليه ذنوبه حتى يوافي بها يوم القيامة»(٤).

ص: ٢٨١

١- (١) المجلسي / بحار الأنوار: ١٨٦/٨١.

٢- (٢) المجلسي / بحار الأنوار: ٢٣٦/٦٧.

٣- (٣) الصدوق / الخصال / ٦٣٥.

٤- (٤) المجلسي / بحار الأنوار ١٧٧/٨١.

وإتيان الحسنات والإسراع فى الخيرات، والاستباق إلى المبرّات، وحسن الخلق من مكفّرات الذنوب قال تعالى:

«وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ۝١» .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«إذ عملت السيئه فأعمل حسنة تمحوها»^(١).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«أربع من كن فيه، وكان من قرنه إلى قدمه ذنوباً بدله الله حسنات: الصدق، والحياء، وحسن الخلق، والشكر»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد، وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل»^(٣).

ومن أعظم مكارم الأخلاق وأجلها عند الله تعالى إغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب، وهما من كفّارات الذنوب.

ص: ٢٨٢

١- (٢) الطوسى / الأمالى / ١٨٦.

٢- (٣) الكلينى / الكافى / ١٠٧/٢.

٣- (٤) المجلسى / بحار الأنوار / ٣٩٥/٧١.

فعن الإمام على عليه السلام أنه قال:

«من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب»^(١).

٥ - السجود واستغفار الملائكة

ورد في الآثار أن كثرة السجود لله عز وجل تحط الذنوب لأنه أرقى درجات الإقرار بالعبودية لله تعالى، وإذا كان العبد متوجهاً إلى الله تعالى في هذه الكثرة الكاثرة من تعفير الجبين بالسجود، فإن الله هو الرحمن الرحيم.

وورد أيضاً أن الملائكة تستغفر للعاصين من المؤمنين وهناك حديثان عن الأمام الصادق عليه السلام في هذا الباب.

فعنه عليه السلام أنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله: كثرت ذنوبي وضعف عملي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أكثر السجود فانه يحطّ الذنوب كما تحط الريح ورق الشجر»^(٢).

وعن الصادق عليه السلام أيضاً أنه قال: «إن لله عز ذكره ملائكة يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا كما تسقط الريح الورق من الشجر في أوان سقوطه، وذلك قول الله عز وجل: «يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ

ص: ٢٨٣

١- (١) نهج البلاغه / الحكمة: ٢٤.

٢- (٢) الصدوق / الأمالي / ٥٨٩.

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ مَا أَرَادَ بِهِذَا غَيْرَكُمْ» (١).

٦ - الحج والعمرة والصلاة على النبي وآله

ورد في المأثور الحديثي أن الحج والعمرة، والوقف بعرفات، والصلاة على محمد وآل محمد، من مكفرات الذنوب، وأنها تهدم هدماً. فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«العمرة إلى العمرة كفارة ما بينهما، والحج المقبله ثوابها الجنة، ومن الذنوب ذنوب لا تغفر إلا بعرفات» (٢).

وعن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال:

«من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه، فليكثر من الصلاة على محمد وآله فأنها تهدم الذنوب هدماً» (٣).

والغفلة عن ذكر الله تعالى، تقود إلى الضلال والعياذ بالله، وقد تؤدي بالإنسان إلى الشقاء، وليعلم الغافل أنه غير مغفول عنه، ومن آثار الغفلة تعجيل الهلاك، وموت القلب، وعمى البصيرة، والآثار في ذلك كثيرة، وموقع البحث منها نماذج للتمثيل. فقد تحسر الأمام على عليه السلام على كل ذي غفلة، لان عمره الذي يعمره سيكون عليه حجه يوم القيامة، وقد يؤدي إلى الشقوه. فيروى عنه أنه قال: «فيا لها حسره على كل ذي

ص: ٢٨٤

١- (٢) المجلسي / بحار الأنوار ١٩٦/٥٩.

٢- (٣) المصدر نفسه: ٥٠/٥٩.

٣- (٤) الصدوق / الأمالي: ١٣١.

غفله أن يكون عمره عليه حجه، وأن تؤديه أيامه إلى الشقوه»(١).

وإذا كان الأمر كذلك، فهو كما قال: «الغفله ضلاله»(٢).

وعنه عليه السلام أنه قال:

«فأفق أيها السامع من سكرتك، وأستيقظ من غفلتك، واختصر من عجلتك»(٣).

وتوجه الإمام على عليه السلام إلى الناس الغافلين وغير مغفول عنهم، بما أفاضه من القول:

«أيها الناس غير المغفول عنهم، والتاركون المأخوذ منهم، مالى أراكم عن الله ذاهبين، وإلى غيره راغبين»(٤).

فيا لها من موعظه بالغه لو وجدت قلباً واعيه وأذاناً صاغيه.

وعنه عليه السلام أنه قال: «كم من غافل ينسج ثوباً ليلبسه وإنما هو كفته، ويبني بيتاً ليسكنه وإنما هو موضع قبره»(٥).

ص: ٢٨٥

١- (١) نهج البلاغه / الخطبه ٦٤.

٢- (٢) غرر الحكم / ١٩٦.

٣- (٣) نهج البلاغه / الخطبه ١٧٥.

٤- (٤) نهج البلاغه / الخطبه / ١٥٣.

٥- (٥) المجلسي / بحار الأنوار ٤٠١/٧٧.

وعن الأمام الصادق عليه السلام:

«إن كان الشيطان عدواً فالغفله لماذا؟»^(١).

وهنالک دوافع وأسباب وأولاع تمنع من الغفله، ونوقظ فى الإنسان حسن الوعى والخبره، فتنجاب الغفله وتتلاشى.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأبى ذر رضى الله عنه:

«يا أبا ذر، هم بالحسنه إن لم تعملها، لكيلا تكتب من الغافلين»^(٢).

وعن الإمام على عليه السلام أنه قال: «بدوام ذكر الله تنجاب الغفله»^(٣).

وعنه عليه السلام: «إن من عرف الأيام لم يغفل عن الاستعداد»^(٤).

وعن الإمام الباقر عليه السلام وهو يحث على أداء الصلوات بأوقاتها، أنه قال: «أیما مؤمن حافظ على الصلوات المفروضه فصلاًها لوقتها، فليس هذا من الغافلين»^(٥).

ويروى أن لقمان، قال لأبنه - وهو يعظه -

ص: ٢٨٦

١- (١) المصدر نفسه ١٩٠/٧٨.

٢- (٢) مكارم الأخلاق ٢٧٨/٢.

٣- (٣) غرر الحكم / ٤٢٦٩.

٤- (٤) الصدوق / التوحيد / ٧٤.

٥- (٥) الكليني / الكافي: ٧٢٠/٣.

«يا بنى لكل شيء علامه يعرف بها ويشهد عليها.. وللغافل ثلاث علامات: السهو، واللهو، والنسيان»(١).

وتحدث الإمام على عليه السلام عن آثار الغفلة على الإنسان في أربعة أقوال، فيها جماع الحكمه، وإيقاظ البصيره، وهو أمير البيان الذي فتق فنونه ببلاغته المعهوده:

١ - قال الإمام على عليه السلام (من طالت غفلته تعجلت هلكته)(٢).

٢ - وقال عليه السلام «من غلبت عليه الغفلة مات قلبه»(٣).

٣ - وعنه عليه السلام: «دوام الغفلة يعمى البصيره»(٤).

٤ - وعنه عليه السلام: «إياك والغفلة والاعتذار بالمهله، فأن الغفلة تفسد الأعمال»(٥).

أما الإمام الحسن بن على عليهما السلام، فقد حدّد بعض مصاديق الغفلة بالقول: «الغفلة تركك المسجد، وطاعتك المفسد»(٦).

وهنالكَ فرق بين الغفلة والتغافل، فالغفلة من مذمومه، والتغافل محمود، وعليه الأحاديث الآتية:

ص: ٢٨٧

١- (١) الصدوق / الخصال / ١٢١

٢- (٢) غرر الحكم / ٨٤٣٠

٣- (٣) غرر الحكم / ٨٣١٨

٤- (٤) غرر الحكم / ٥١٤٦

٥- (٥) غرر الحكم / ٠٢٧١٧

٦- (٦) غرر الحكم / ٠٢٧١٧

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن العاقل نصفه احتمال، ونصفه تغافل»^(١).

وعنه عليه السلام «من أشرف أعمال (أحوال) الكريم غفلته عما يعلم»^(٢).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «صلاح حال التعايش والتعاشر مكيال: ثلثاه فطنه وثلثه تغافل»^(٣).

ص: ٢٨٨

١- (١) غرر الحكم / ٢٣٧٨.

٢- (٢) نهج البلاغه / الحكمه رقم: ٢٢٢.

٣- (٣) تحف العقول / ٣٥٩.

الفصل الرابع: المثل الاجتماعي

أشاره

١ - أفضل الأعمال في الموروث الإسلامي

٢ - فضائل العلم.. ومنازل العلماء

٣ - قضاء الحوائج في الميزان

٤ - آداب الدعاء.. وتهذيب النفس

ص: ٢٨٩

الأعمال المتميزه فى تراث أهل البيت الحضارى متعدده الجوانب، وكثيره المناحى، فكلما كان شأنه قرب العبد إلى الله فى نيه نقيه خالصه كان فى رحاب عمل متقبل عند الله عز وجل.

وقد تألقت فى هذا المضممار ثلاثه أحاديث شريفه تعنى بالعمل المتجه إلى الله تعالى فى سلامه من الرياء وبراءه من النفاق، وهذا العمل فى هذه المعادلات المتفاضله يرتبط بالنيات الحسنه الصالحه التى يتجلى فيها صدق القصد، وصفاء الضمير، وعزّه التوجه لله لا سواه.

وهذه الأحاديث تمثل - بحق - عزّه الالتقاء الروحى بين العبد وربّه فلا مجال للرياء والمداجاه والاختلاط العملى فى اتجاهين متضادين، وإنما الوجه هو الوجه الاعتدالى الموزون ليس غير والحديث الأول: «إنما الأعمال بالنيات» وهذا جوهر العمل، والفرز المتقابل بين العمل وبين النيه، فالعمل أمر

ملموس ظاهر للعيان، والنيه أمر محسوس في عالم الغيب، فالعمل في ضوء هذا الفهم مثال حيّ فعلى، والنيه ضمير مختبئ عقلي، ولا يصح العمل إلا بالنيه النقيه الغراء.

يؤكد هذه الحقيقة الحديث الثاني: «لكل امرئ ما نوى» وهو يربط بين المرء وبين استحقاقه للثواب والجزاء في ضوء النيه وحدها في كل مجالات العمل.

ويطل الحديث الثالث ليفضل النيه على ذات العمل، فحينما يطعم المرء الفقراء مثلاً أو ينعش المساكين، أو يساعد ذوى الفقر والعوز والفاقة، فكل ذلك من أجل العطف على الآخرين، وإشاعه بعض مفاهيم العدالة الاجتماعيه، وإدخال السرور على جماعه من المسلمين قلوباً أو كثروا، وهكذا في لفتات إنسانيه بارعه، فإن هذه النيه خير من العمل نفسه، وهكذا ينطلق الحديث: «نيه المرء خير من عمله».

ويطل الإمام محمد الباقر عليه السلام ليعلل ذلك عملياً، ويضعه في جانب الإمكان من وجه، وعدم الإمكان من وجه آخر فيقول: «نيه المؤمن أفضل من عمله، وذلك لأنه ينوى من الخير ما يدركه» وهذه منزله كبرى تحكى عن أعماق النفس الإنسانيه في حب الخير، ولكن الإمكانيات التي يمتلكها قد لا تساعده على إدراك على ما ينويه من فعل الخير وأفضل الأعمال.

أما الإمام جعفر الصادق عليه السلام فيتجه بالحديث الشريف إتجاهاً

يخامر ما تكنه الضمائر، وما تضطم عليه القلوب فيقول: «نيه المرء خير من عمله، لأن العمل ربما يكون رياءً للمخلوقين، والنيه خالصة لرب العالمين، فيعطى عز وجل على النيه ما لا يعطى على العمل».

وهذا المنظور للحديث الشريف في تعليقه وتقييمه يحمل من الدقة والتعليل الأصيل ما يرتفع بمستوى عمل الإنسان إلى صفاء النيه وخلوص العمل، وصدق الموقف.

والأعمال الصالحة لها مجالاتها المتعدده وفصائلها المتعدده التي تشمل كثيراً من المفردات والمصاديق المؤديه إلى الطرق السليمه أداءً وامتثالاً، وقد يتعذر حصرها وإحصاؤها.

وقد روى أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له:

«يا رسول الله علمني عملاً إذا أنا عملته دخلت الجنة».

فقال صلوات الله عليه: «لا تشرك بالله شيئاً وإن عذبت وحرقت، وأطع والديك وإن أخرجاك من مالك ومن كل شيء هولك، لا تترك الصلاة متعمداً، فإن من ترك الصلاة متعمداً، فقد برئت منه ذمه الله».

وهذا هو جنس العمل الذي حدده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكبريات القضايا التي تتفرع عليها جملة من الجزئيات، وكلها تفضى بالعبد إلى الجنة وتتلخص بوضوح وشفافيه لا- عنت فيها ولا عسر: إلى الاعتصام بالتوحيد والإخلاص لله تعالى وحده لا شريك له، ونبذ الأنداد

والأضداد والنظير والمثيل والشبيه حتى مع التعذيب والتحرير، والبر بالوالدين وإطاعتهما في تنفيذ أوامرهما حرفياً حتى وإن أخرجاً ولدهما من ماله وعما يملك، وهو ما لا نشاهده في هذا العصر إلا لماماً.

وكذلك الحفاظ على الصلاة وعدم تركها أو الاستخفاف بها لأنها عمود الدين، وشعار الصالحين، والكتاب الموقوت والمفروض على الناس، والترك المتعمد لها مما تبرأ منه الله تعالى.

وقد ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

«أحب الأعمال إلى الله عز وجل ما داوم عليه العبد وإن قلّ» وهذا يشير بل يصرح أن الاستمرار في أداء الأعمال ضروريه، وهي أحب الأعمال إلى الله عز وجل، قلت أو كثرت، المهم في الأمر استدامه العمل وإن قلّ.

وقد جاء في الحديث الشريف: «أن الله لا ينظر إلى صوركم وأشكالكم ولكن ينظر في قلوبكم وأعمالكم».

وهذا النظر العرفاني لا يتمثل بالصور والأشكال، وإنما يتجاوز ذلك إلى القلوب والأعمال، القلوب في صفائها، والأعمال في نقائها، فطوبى لنفسٍ أدت إلى بارئها واجبها، ومحض الإخلاص في أفضل أعمالها.

وقد كان من خطاب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لأئمة المؤمنين عليه السلام: «يا على سيد الأعمال ثلاث خصال: إنصافك الناس من نفسك، ومواساتك الأخ في الله عز وجل، وذكرك الله على كل حال».

وهذه الخصال الثلاث تستوعب كمال النفس الإنسانية، ولا- يتوافر مثالها إلا- فى نفوس متعلقه بالله تعالى فى الإنابه والاتكال وتمسكه بحبل متين من الإيمان والتسليم المطلق، وليس بالأمر الهين الضغط على النفس الأماره بالسوء أن تنصف الناس على حسابها، وأن تكون أمثوله للمؤاخاه والمواساه فى جنب الله عز وجل، أما ذكر الله على كل حال فذلك من سمات الصديقين وسيماء الأبرار ودرجه المقربين.

وليس غريباً أن يقول أمير المؤمنين فى هذا الميزان:

«أشد الأعمال ثلاثه: ذكر الله على كل حال، ومواساه الأخوان بالمال، وإنصاف الناس من نفسك».

فهذه ترجمه حرفيه لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهما يصدران عن منبع واحد ويصبان فى رافد واحد.

وبعد خلوص النيه ونقاء الإراده وصلابه التصميم، تأتى الأعمال التى تقرب المرء زلفى من الله عز وجل، وهذا باب متلثب متكاثف الظلال فى تفرعاته الكثيره التى تستقطب خير الدنيا والآخره.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«من أعطى أربع خصال فى الدنيا فقد أوتى خير الدنيا وخير الآخره وفاز بحظه منها: ورع يعصمه من محارم الله، وحسن خلق يعيش به فى الناس، وحلم يدفع به جهل الجاهل، وزوجه صالحه تعينه على أمر الدنيا والآخره».

وتلكم الخصال لو تحققت عند المرء فهى من هبات الله الجزيله التى

ينبغي أن تقابل بالحمد والشكر، لأنها من آلائه الغزيره التي لا يوازيها شيء، ولا يضارعها إلا رضا الله تعالى عن الإنسان، وذلك أن الورع ملاك الطاعة القصوى، وهو الذي يحدد سلوك الكائن الحي في علاقته بين شهوات النفس، وفي العصمه التي تمسك الإنسان بقوه وعرفان عن اجتناب المآثم وارتكاب المحارب، وبذلك يكون عمله مقبولاً، وسعيه مشكوراً، وأنى بذلك؟ وأما حسن الخلق فهو الوسيله الفضلى للتعايش السلمى والتربوى بين الناس، فإذا أضيف إلى ذلك الحلم فقد أجمع له الخير من جهاته كافه، فإذا دعم ذلك بالزوجه الصالحه التي تعينه على أمر الدنيا والآخره، فهو فى بحوحه من النعيم بفضل من الله عز وجل.

وهناك من الأعمال ما يقيم أود الإنسان، ويحله فى المرتبه العليا من الأداء الإلهى، فقد طلب أبو الجارود زياد بن المنذر من الإمام الباقر عليه السلام أمراً يدين به الله تعالى، فقال الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام: نعم يا أبا الجارود، شهاده أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأقام الصلاه، وإيتاء الزكاه، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، وولايه ولينا، وعداوه عدونا، والتسليم لأمرنا، وانتظار قائمنا، والورع والاجتهاد».

أقول: ما نطق به الإمام محمد الباقر عليه السلام وما أفاضه على أبى الجارود يعدّ من جوامع الكلم، وجماع معالم الدين فى الأصول والفروع، وذلك إن الإمام عليه السلام قد أجابه لطلبه لتعلم أمر يدين به الله عز وجل،

فبدأ الإمام بالركيزه الأولى وهى التوحيد، ثم النبوه، والإقرار بهما منهجاً واعتقاداً ثم استوعب فى حديثه فروع الدين فى إقامه الصلاه وإيتاء الزكاه، وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام.

ووقف الإمام عند الولايه الإلهيه لأهل البيت عليهم السلام والبراءه من أعدائهم والتسليم بأمرهم والسير بركابهم، وانتظار فرج قائمهم عجل الله تعالى فرجه الشريف كما وصاه بالورع والاجتهاد، وبترشح منهما، ويتفرع عنهما العفه والسداد كما قال أمير المؤمنين عليه السلام حين ألقى بعض الضوء على سيرته المثلى فى الزهد والتقوى فقال مخاطباً أوليائه: «ألا وإنكم لا تقدرُونَ على ذلك، ولكن أعينونى بورع واجتهاد، وعفه وسداد».

ومن أفضل الأعمال وأسمأها درجه ومنزله الالتزام بوصايا أمير المؤمنين لأصحابه فقد أوصى رجلاً بقوله: «خذ منى خمساً: لا يرجون أحدكم إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه، ولا يستحى أن يتعلم ما لا يعلم، ولا يستحى إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، وأعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزله الرأس من الجسد».

وفى هذا زبده ما يبذله من يوصى الناس بهذه المثل العليا، رجاء الله وحده وخوف الذنب، والحث على طلب العلم، وعدم الاستحياء من قولاً أعلم إذا لم يعلم، والصبر على مكاره الدهر، لأنه بمنزله الرأس من الجسد، فيه الحياه وعليه المعول فى الفكر والنظر والسمع والنطق وسوى ذلك.

ويجد أمير المؤمنين عليه السلام فى نصائحه القيمه لأوليائه، ويكررها

على أتباعه، لتهذيب السلوك، وإقامه التوازن المراد بين الدنيا والآخرة، وذلك في شذرات ثمينه من توجيهاته التي لو التزم بها الناس، لكانت كلمه الله هي العليا في الأرض، وكلمه أعدائه هي السفلى، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام لنوف البكالى، وقد بايته ليلاً:

«يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والكتاب شعاراً، والدعاء دثاراً، ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح بن مريم».

وهذه الوصايا هي الجذور المتأصلة للقديسين من الأولياء، ولا يقوى عليها كل أحد بيد أن لكل قوم قدوه، ولكل طائفه مقربين، وأولئك القدوه والمقربون هم الضوء الذي يهدى على آثاره السالكون.

أما الطبقة العامه من الناس فقد أوصاها الإمام بالتقوى وهو من أفضل الأعمال، وأنى به هذا اليوم، فقد روى عنه عليه السلام أنه قال: «أتق الله بعض التقى وإن قل، وأجعل بينك وبينه سترًا وإن دق».

وهذا امتداد لما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عامه الناس في الحديث الشريف: «اجتهدوا في العمل، فإن قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصي».

وهذا من أبلغ القول وأشمله، إذ قد تصيب المرء فتره من الاجتهاد، وسنه عن الامتثال المتكافىء، وقصور أو تقصير في الأداء، فلا أقل من اجتناب المعاصي والكف عنها.

وهذا بالضبط مما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام موضحاً:

«إن للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فأقتصروا على الفرائض».

ومن أفضل الأعمال إسداء المعروف، ومكافئته من أسدى للآخرين معروفاً، وإذا لم يقدر على ذلك دعا لصاحب المعروف فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تقدرُوا فادعوا له».

وقد أكد رسول الله صلوات الله عليه عمل المعروف، والجد في تحقيقه وأضاف له صدقه السر، وصله الرحم، بما لا يحتاج إلى شرح أو إيضاح، فهو أفصح من نطق بالضاد، قال صلى الله عليه وآله:

«صنائع المعروف تقى مصارع السوء، وصدقه السر تطفى غضب الرب، وصله الرحم تزيد في العمر».

وأكد صلوات الله عليه على صلة الأرحام بما تيسر فقال:

«صلوا أرحامكم ولو بالسلام».

وقال الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام:

«صلة الأرحام تزكى الأعمال، وتنمى الأموال، وتدفع البلوى، وتيسر الحساب، وتنسى الأجل».

فيا لها من بشرى وموعظه لمن يصل رحمه، فيزكو عمله، وينمو ماله،

وتدفع البلوى عنه وتيسر الحساب [يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ] وتؤخر في الأجل، فتطول الأعمار.

ولقد ورد في الحديث الشريف:

«لا خير فيمن لا يحب المال ليصل به رحمه، ويؤدى به أمانته، ويستغنى به عن خلق ربه».

فمن أجل صله الأرحام، وأداء الأمانة، والاستغناء عن الناس، نفى الخير عمن لا يحب المال، ففيه هذه الفضائل من الأعمال.

وبعد هذه الإشارات الروحية، والإفاضات في الأعمال التي تقرب زلفى من الله عز وجل تتوجه حضاريه أهل البيت إلى التحدث عن طلب الرزق، وتهيئه المعاش، وشرف العمل اليدوى، والحث على ذلك ليصون المرء ماء وجهه، ويتجنب صدقات الآخرين، ويعيل أهله، وذلك في عده أقوال، وتراث من الأفعال وتطبيق عملي لذلك.

فقد ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لئن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب على ظهره، خير له من أن يأتى رجلاً فيسأله، أعطاه أو منعه».

لأن في العمل شرف أى شرف، وفي السؤال ذل أى ذل. وقد قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام بتطبيق هذا الأمر عملياً في عده شواهد، لا يستطيع البحث إحصاءها، بل يورد منها ما هو على سبيل الأنموذج والمثال:

شكا رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفقر، فأعطاه درهمين، وقال له:

«أذهب فأشترى بأحدهما طعاماً، وبالأخر فأسأ، وأحتطب وبع، فغاب الرجل خمسة عشر يوماً ثم أتى فقال: يا رسول الله بارك الله فيما أمرتني به، اكتسبت بعملى عشره دراهم، فاشتريت لأهلى بخمسه دراهم، وبخمسه كسوه، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم: «هذا خير لك من المسأله».

وقد أثار رسول الله مسأله الناس لو اذا وإلحافاً، وكلاهما غير محمود، فالسؤال يعنى الاستجداء، والاستجداء قد يعنى الاستخذاء، وكلاهما مذمومان، وقد يتعاهد المرء المسأله حتى مع الاستغناء، فتكون له عادة، والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يريد من المسلم أن يكسب قوته بنفسه، ولا يسأل أحداً، فالسؤال ذلٌ والمسلم ينبغى أن يكون عزيزاً، والكسب عمل، بل هو من أفضل الأعمال فى النظرية والتطبيق، والله يحب من يتمتع بطيبات الدنيا بكسب يده، وجهد بدنه، وتصيب عرقه، ويغض العاقل الفارغ من أعمال الدنيا والآخرة.

وقد كان أمير المؤمنين عاملاً بكد يمينه، جاعلاً كسبه المعاشى إلى جنب ورده العبادى، ولا تستغرب أن تجد أمير المؤمنين عليه السلام قد عمل فلاحاً طيله ربع قرن من الزمان، وذلك حينما أقضى عن الولاية العامه، وقامت مرجعيه الصحابه، وكان ينتضح على ناضح له خارج المدينة، وله مزرعتان هما: (أبو نيزر) و (البغيغه) وقد أحيا أرضهما بجهده وكده، والأرض لمن

أحيائها فى الشريعة الغراء، ولم يشغله هذا عن عبء الإمامه، فالإمام إمام مفترض الطاعه، نافذ القول حكم أو لم يحكم. ولقد اقتدى الأئمه الطاهرون عليه السلام بأمر المؤمنين عليه السلام فيما حذب عليه من العمل الكسبى والمهن الحره.

قال محمد بن المنكدر: خرجت إلى بعض نواحي المدينة فى ساعه حاره، فلقيت أبا جعفر محمد بن على (يعنى الإمام الباقر عليه السلام) وكان رجلاً بادناً، وهو متكئ على غلامين، فقلت فى نفسى: سبحان الله شيخ من شيوخ قريش فى هذه الساعه على هذه الحال فى طلب الدنيا، أما لأعظه، فدنوت منه، فسلمت عليه فردّ علىّ بنهر، وهو يتصبب عرقاً، فقلت أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش فى هذه الساعه على هذا الحال فى طلب الدنيا.. أ رأيت لو جاءك أجلك وأنت على هذه الحال ما كنت تصنع؟ فقال: لو جاءنى الموت وأنا على هذه الحال، جاءنى وانا فى طاعه من طاعه الله، أكفّ نفسى و عيالى عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف أن لو جاءنى الموت وأنا على معصيه من معاصى الله، فقلت صدقت يرحمك الله، أردت أن أعظك فوعظتنى.

وقال أبو عمرو الشيبانى: أنه رأى الإمام جعفر الصادق عليه السلام ويده مسحاه، وعليه أزار غليظ، وهو يعمر فى حائط له، والعرق يتصبب على ظهره، قال: فقلت: جعلت فداك أعطنى أكفك!!، فقال إنى أحب أن يتأذى الرجل بحر الشمس فى طلب المعيشه».

أرأيت هذا التوجه الإنسانى وهذه النقلة الحضاريه التى يضرب بها أئمه أهل البيت المثل الأعلى للعمل والكفاح فى سبيل العيش والكسب المشروع، درأً للبطاله وإعزازاً للنفس فى توطئتها على القيام بمتطلبات العيال ومن هم فى مؤونته.

ولا تعجب فى هذا ومنه، وأنظر فيما كتبه ورّام فى كتابه:

«أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يحتطب، ويستقى ويكنس، وكانت فاطمه الزهراء عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز، ومع عمل أمير المؤمنين عليه السلام المضمنى، والسنين التى أمضاها فى الحرث والغرس والسقى وإعمال الأرض فنجده لم يحتجن لنفسه شيئاً، فما عمره وأحياه، فى الضيعتين «أبى نيزر» و «البغيغ» جعلهما - فيما يروى - وقفاً على فقراء المدينة وأبن السبيل. ونص كتابه فى ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا ما تصدق به على أمير المؤمنين، تصدق بالضيعتين المعروفتين وبعين أبى نيزر والبغيغ على فقراء أهل المدينة وأبن السبيل، ليقى الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة، لا- تباعا ولا- توهبا حيث يرثهما الله وهو خير الوارثين، إلا- أن يحتاج إليهما الحسن والحسين فهما طلق لهما، وليس لأحد غيرهما».

فلحق الإمام الحسين عليه السلام دين فبعث له معاويه بمائتى ألف دينار بعين أبى نيزر فأبى أن يبيع، وقال: «إنما تصدق بها أبى ليقى الله وجهه حر

النار، ولست بايعهما بشيء».

والعمل شرف وليس كل أبعاده طلباً للدنيا، ولا مانع أن يتملى من ذلك بالقدر الموزون رحمه بآله وعياله من بعده، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس».

وقد وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البكور في طلب الرزق والتماس الحوائج فقال: «باكروا في طلب الرزق والحوائج، فإن الغدو بركه ونجاح».

وكان مما ذكر في مسيره الإمام الصادق عليه السلام أن أصحابه وتلامذته كان يزاولون الأعمال الحره، ومهن مختلفه، وأشغالهم متواتره، ومنهم: بياع السابري، وبياع اللؤلؤ، وبياع الحنطه، والطحان، والبزاز، والقزاز، والزراد، وسواهم من أصحاب المهن، وهم جميعاً من العلماء وحمله الحديث، وأسرار هذا التوجه عرضنا له في كتابنا: (الإمام جعفر الصادق زعيم مدرسه أهل البيت).

وكان من هؤلاء عمران بن عبد الله بن سعد الأشعري، وكان قد صنع مضارب الإمام الصادق عليه السلام من الكرايس وأهداها إليه وقال: إن الكرايس من صنعتي وعملتها لك، فأنا أحب جعلت فداك أن تقبلها هديه، فقبض أبو عبد الله عليه السلام على يده ثم قال:

«أسأل الله أن يصلى على محمد وآل محمد وإن يظللک وعترتك يوم لا

ظل إلا ظله».

ومن أفضل الأعمال أداء الصلاة بشروطها وسننها وآدابها، والمبادره إليها وعدم التسويف بأوقاتها، والتهيأ لها، والأعداد لمتطلباتها، فقد قالت عائشه أم المؤمنين:

«كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه».

وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«لا يزال الشيطان ذعراً من المؤمنين ما حافظوا على الصلوات الخمس...».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «صلوا من المساجد من بقاع مختلفه، فإن كل بقعه تشهد للمصلى عليها يوم القيامة».

ولا يكتفى فى الصلاة المفروضه، بل هناك توجيه مؤكد بالندبه إلى صلاه الليل وحسبنا من ذلك قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

«عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربه إلى الله تعالى، ومنهاه عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطرده للداء من الجسد».

ويأتى بعد هذا ذكر الله عز وجل على كل حال، فإن ذكره شفاء للأرواح والأبدان، وقد ورد فى الأثر قول رسول الله صلى الله عليه وآله

ص: ٣٠٥

وسلم: «ما من قوم أجمعوا يذكرون الله عز وجل لا- يريدون إلا وجهه، إلا ناداهم من السماء: قوموا مغفوراً لكم، فقد بدلت سيئاتكم حسنات».

ولمواصله المسيره فى الحياه الدنيا فيما يسدد شأنها وشان الآخره، لا بد من تنظيم ذلك وانتظامه بأمر الناس واستقرار حياتهم فى ظل ذلك من خلال توافر بعض الظواهر الاجتماعيه، متمثله بأعيانها وأشخاصها لتسيير نظام الحياه التى هى أحسن، والعمل الجاد الدءوب على إيجاد الفرص لتحقيق ذلك بتمام الكمال، فإذا لم يتوافر ذلك، فالناس هم الهمج الرعاع.

هذا الملحظ الدقيق يوضحه الإمام الصادق عليه السلام بما روى انه قال:

«لا يستغنى أهل كل بلد عن ثلاثة يفزع إليهم فى أمر دنياهم وآخرتهم، فإن عدموا ذلك كانوا همجاً: فقيه عالم ورع، وأمير خير مطاع، وطبيب بصير ثقه».

وقد حذب الإمام محمد الباقر عليه السلام على تحقيق التكامل الحضرى للإنسان من خلال ثلاثة أمور تحقق ذلك، فروى عنه أنه قال:

«الكمال كل الكمال، التفقه فى الدين، والصبر على النائبه، وتقدير المعيشه» وصدق عليه السلام فى ذلك.

والكمال إنما يتحقق فى ضوء الفقاهاه وإتقانها، والوقوف عند أحكام الشريعة الغزء والتبصر بأوامر الله ونواهيه، وعزائمه ورخصه، وواجباته ومستحباته، ومباحاته ومكروهاته والعمل فى ظل ذلك عسى أن يرتفع إلى

مستوى التفقه في الدين، وأما الصبر على النائبه فهو مظنه رضا الله تعالى، وهو تحييد للمناخ النفسى من الجزع والفرع، وإذا لم يصبر الإنسان على النوائب فماذا يفعل؟ والروايات بالمثات تشير إلى مدى الثواب الجزيل والأجر لمدى الصبر على ما يصاب به المرء فى نفسه أو ماله أو ولده، نسال الله العافيه.

وثالثه الكمال الإنسانى عند الإمام الباقر: «تقدير المعيشه» والتقدير وضع الشىء فى موضعه المناسب، فلا يتعداه إلى ما سواه، ولا يقصر فى غايته ومداه، فلا إفراط ولا تفريط، ولا شح ولا تبذير، وإنما هو الاقتصاد والاعتدال بين ذلك، وهذا ما تسالم عليه عقلاء الناس، وقد ورد فى الأثر «ما عال من أقتصد» والتقدير نوع من الاقتصاد المتوازن.

ومن أفضل الأعمال ضبط النفس، ووقوفها عند الشبهات وتنزيهاها عن الشهوات والابتعاد بها عن مظنه الانزلاق فى متاهات لا أول لها ولا آخر، ذلك كله من أجل الحفاظ على الكرامه الإنسانيه، وصيانه الذات من التدهور والانحلال، وخلق مجتمع أفضل، يسيطر على النفس ويجانب الهوى ويدرأ المعاصى، ويواكب شرف الذات الإنسانيه المثلى، وفى هذا الضوء نضع أيدينا على ثلاثه أحاديث لأمير المؤمنين على عليه السلام، يستدعى بعضها بعضاً ويأخذ أولها بوجه آخرها.

قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

١ - «من كرمته عليه نفسه هانت عليه شهوته». لأن كرامه النفس وتكريمها يدعوان إلى تنزيهاها عن الشهوات، وتدنيها بالأوزار والأوضار،

ص: ٣٠٧

والنأى بها عن مضان الإثارة.

٢ - وقال عليه السلام بصياغه بلاغية أخرى: «من كرمت عليه نفسه لم يهنها بالمعصية». وذلك أن الكرامة تأبى المعاصى، والمعاصى لا تبقى على كرامه، فهما على طرفى النقيض، ولا يجتمعان، فأما الكرامة وأما المعاصى.

٣ - وفى معان إضافيه قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من شرفت نفسه نزهها عن ذله المطالب». وذلك أن النفس الشريفه عزيزه، والعزه تأبى الدنيا من الأمور، والتوافه من المطالب، فذلك هو الإذلال للنفس ذات الشرف.

وقد جمع ملاك ذلك الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام بالقول: «من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا».

فالدنيا إذا اصطدمت بعزه النفس، وإبء الروح، فهي أهون على ذى الكرامه من كل شىء حتى لا تعود شيئاً ذا بال فى حياته، ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ساعه ذل لا تفى بعز الدهر».

ومن أفضل الأعمال: الحفاظ على الوقت من الضياع واغتنام العمر فيما يحقق أداء الحقوق وكسب الحمد، ومتابعه الفرض، واقتباس العلم «فمن استوى يومه فهو مغبون» وعن أمير المؤمنين: «من أمضى يومه فى غير حق قضاه أو فرض أداه، أو مجد بناه، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق يومه».

وهذا منتهى الاحتياط فى حفظ الأعمار من الإسراف فيما لا ينفع، أو تصريف الأيام بما لا عائديه فيه، أو تضييع الساعات بالهذر والهديان، ولا بد

للإنسان من معانيه ذلك بعين الاعتبار والنظر الثاقب، فغياب أى يوم من حياه الإنسان ينبغى أن يكون فى إمضاء حق يقضى وفرض يؤدى، ومجد يبنى، وحمد يحصل، وخير يؤسس، وعلم يقتبس، وإلا فالعمر هباء.

روى أنه دخل سفيان الثورى على الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فقال: علمنى يا ابن رسول الله مما علمك الله، فقال:

«إذا تظاهرت الذنوب فعليك بالاستغفار، وإذا تظاهرت النعم فعليك بالشكر، وإذا تظاهرت الغموم فقل: «لا حول ولا قوة إلا بالله» فخرج سفيان الثورى وهو يقول: ثلاث وأى ثلاث.

وهذا كله موصول بقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بما يروى أنه قال:

«من تظاهرت عليه النعم، فليقل: الحمد لله رب العالمين، ومن ألح عليه الفقر فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فإنه كنز من كنوز الجنة، وفيه شفاء من اثنين وسبعين داء، أدناها: الهم»

وللحوقه معانٍ عرفانيه جليله كشف عنها الإمام محمد الباقر عليه السلام فقد روى المجلسى فى (بحار الأنوار) عن جابر الجعفى قال:

سألت أبا جعفر عليه السلام عن معنى «لا حول ولا قوة إلا بالله» فقال:

«معناه لا حول لنا عن معصيه الله إلا بعون الله ولا قوة لنا على طاعه الله إلا بتوفيق الله».

وهذا أحد المعاني المهمه، ولها مصاديق لا تحد بحدود معينه، وقد علمنا الله سبحانه وتعالى، وأرشدنا إلى قول (لا حول ولا قوه إلا بالله) لأنه هو العلي العظيم القادر الذي بيده الحول والقوه مطلقاً.

وقد ورد في هذا الشأن: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«ليه أسرى (بى) مَرَّ بى إبراهيم عليه السلام فقال:

«مر أمتك أن يكثرُوا من غرس الجنة، فإن أرضها واسعة، وتربتها طيبه». فقلت له: ما غرس الجنة، فقال: «لا حول ولا قوه إلا بالله».

وتترى الإرشادات القيمه من أهل البيت فى الحث على فضائل الأعمال فى شتى طيوفها، ففى ثواب الأعمال عن معاذ بن مسلم الهراء قال:

كنت عند الإمام أبى عبد الله (يعنى الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فذكروا الوجع يعنى المرض، فقال الإمام:

«داووا مرضاكم بالصدقه، وما على أحدكم أن يتصدق بقوت يومه، إن ملك الموت يرفع إليه الصك بقبض روح العبد، فيتصدق، فيقال له: ردّ عليك الصك».

وورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «من سألكم بالله فأعطوه، ومن استعاذ فأعيذوه، ومن أهدى غليكم كراعاً فاقبلوه».

وإجابته السائل من أفضل الأعمال، وإعاده المستعيز من المروءه، وقبول

الهدية من الكرامه، والله يريد تكريم الإنسان.

ومما هذب به الأئمة عليهم السلام أولياءهم وأتباعهم بل الإنسانية جمعاء إعطاء الصدقه، والتقرب إلى الله عز وجل بالإيثار، فورد عنهم:

«الصدقه تدفع البلاء وقد أبرم في السماء إبراماً».

كما ورد في صدقه السر «أنها تطفئ غضب الرب» وهكذا قال المفضل بن قيس: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام الإمام الصادق فشكوت إليه بعض حالي وسألته الدعاء، فقال: يا جاريه هات الكيس فجاءت بكيس، فقال: هذا فيه أربعمائه دينار فأستعن به، فقلت لا- والله ما أردت ذلك، ولكن أردت الدعاء!! فقال عليه السلام: «لا ادع الدعاء، ولكن لا تخبر الناس بكل ما أنت عليه فتتهون عليهم».

وختام الحادثه نصيحه ثمينه جداً، أن المرء ينبغي له أن لا- يحدث الناس بكل ما هو عليه من الفاقه والاحتياج بل الأمراض والأعراض والابتلاء.

ومن طرائف هذا الباب أن سأل رجل الأمام الحسن بن علي عليهما السلام، فقال له الإمام: مرحباً بمن توسل إلينا بنا، ثم وصله وأكرمه.

وندى التراث الحضارى عند أهل البيت إلى عياده المرضى، وزياره الأخوان فى الله، وإصلاح ذات البين، فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «امش ميلاً وعد مريضاً وامش ميلين وزر أخاً فى الله، وامش ثلاثه أميال وأصلح بين اثنين».

وزياره قبور الأخوان والأحبه، تذكر باليوم الآخر، وقد تمنع ذى الرأى

الناهض عن الذنوب وتكفنه عن المعاصي، مضافاً إلى الثواب العميم، وقد ورد عن الإمام الجواد عليه السلام أنه قال:

«من زار قبر أخيه ووضع يده على قبره، وقرأ إنا أنزلناه في ليله القدر سبع مرات، أمن من الفزع الأكبر».

ولاء غرابه في هذا، وكرم الله تعالى لاء تحده حدود فهو الكريم الوهاب، وهو الرزاق ذو القوه المتين، وهو المعطى والمتفضل، يجازى على كريم الأعمال، بما شاء له كرمه وجوده وكبرياؤه وعزته، فقد روى أن إعرابياً قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله من يحاسب الخلائق يوم القيامة؟ فقال صلوات الله عليه: «الله عز وجل» قال الإعرابي: نجونا ورب الكعبة!!

فقال صلى الله عليه وآله: «وكيف ذاك يا إعرابي؟» قال: لأن الكريم إذا قدر عفا.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«وأيم الله ما كان قوم قط في خفض عيش فزال عنهم إلا بذنوب اقترفوها، لأن الله ليس بظلام للعبيد، ولو أن الناس حين ينزل بهم الفقر ويزول عنهم الغنى، فرعوا إلى ربهم بصدق نياتهم، لرد عليهم كل شارد، وأصلح كل فاسد».

وهؤلاء قوم قصروا بأعمالهم فأمسك الله من نعمه عليهم، بذنوبهم وعيوبهم، فما شكروا ولا استغفروا، ولا فرعوا إلى الله بل ضلوا بطغيانهم وجبروتهم، فنزع الله نعمته منهم، وأحلهم دار البوار.

ومن أفضل الأعمال الوقوف عند الشبهات والاحتراز من الوقوع فى المهالك، فقد حدث السكونى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده عن عليّ أمير المؤمنين أنه قال:

«الوقوف عند الشبهه خير من الاقتحام فى الهلكه، وتركك حديثاً لم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحصه، وإن على كل حق حقيقه، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه».

والالتزام بهذا الأمر من الورع وهو من أفضل الأعمال، وفيه الأمر بترك ما خالف كتاب الله، والأخذ بما وافق كتاب الله.

وقد كرر الإمام الصادق عليه السلام فيما يروى هذه الوصيه عن سفيان الثورى. ومن أرقى درجات الأعمال الفاضله، أن يمكن الإنسان من قضاء مهام إخوانه، ويوظف عمله عند السلطان فى إغاثة الملهوف، وإسعاف ذى الحاجه، فقد ورد بما معناه: أن من فضل الله عليكم، حاجه الناس إليكم، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «منفعه الإخوان كفاره عمل السلطان».

وقال الصادق عليه السلام أيضاً: «إن لنا فى أبواب الظلمه من نور الله به البرهان، ومكّن له فى البلاد، فيدفع به عن أوليائه، ويصلح به أمور المسلمين».

للعلم أهميه خاصه فى تراث أهل البيت الحضارى ف - «العلماء ورثه الأنبياء» و «علماء أمتى أفضل من أنبياء بنى إسرائيل» وحسب العلم والعلماء أن قال تعالى: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ» ١ .

وقال تعالى: «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» ٢ .

وتتوالى الأحاديث الشريفه فى إعلاء شان العلم وبيان منازل العلماء، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «إن مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم فى السماء، يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر، فإذا طمست النجوم أوشك أن تضل الهداه».

وهذا التشبيه التمثيلي الذى اعتبر العلماء فى هدايتهم للعقول، كالنجوم فى هدايتها للسراه، فكما يضل السارون إذ انطمست النجوم، فكذلك يضل المتعلمون إذا فقد العلماء.

وقد لخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضيله العلم فى جمعها لخير الدنيا والآخره، وتحقيقها لهدف الإنسان فى سعيه، وحثه فى ذلك على طلب العلم، فعنه (صلى الله عليه واله) أنه قال: «من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخره فعليه بالعلم، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم».

وورد فى الأثر ما معناه إذا خرج طالب العلم لطلب العلم ظللته الملائكه بأجنحتها حتى يرجع».

وتحدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن منازل العلماء، وكونهم أمناء الرسل ما لم ينحازوا إلى سلطان أو ظالم أو جائر، ممن يجعلون الدين سيلا إلى مداخل الدنيا، حينذاك، يخون أولئك الأمانه، ويخونون الرسل. فقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال «العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان، فإذا خالطوه، وادخلوه الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم».

وعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لأصحابه.

«تعلموا العلم وتعلموا له السكينه والحلم، ولا تكونوا من جبابره العلماء..».

والتواضع شيمه العلماء، والتجبر صفة الطواغيت، وقد أمر العلماء

بالتواضع والحلم إلى جنب المعرفة والعلم.

ومن تعليمات أمير المؤمنين عليه السلام في صقل روح من نصب نفسه لقياده الأمة، وما له وما عليه في تعليم نفسه وتعليم غيره، فقد روى عنه سلام الله عليه أنه قال:

«من نصب نفسه للناس إماما، فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه" والذى عليه طغاه الحاكمين فيما مضى واليوم أن تركوا العلم، وأهملوا تعليم أنفسهم، ودأبوا على أخذ الرشوات، واختلاس أموال الدوله، فجمعوا ما يخشاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هلاك الأمة في مثل ذلك، فقد روى عنه انه قال:

«هلاك أمتي في شيئين: ترك العلم، وجمع المال».

وقد قسم أمير المؤمنين (عليه السلام) الناس على ثلاثة أصناف، فقال: «الناس ثلاثة: عالم ربانى، ومتعلم على سبيل نجاه، وهمج رعاع ينحفون مع كل ناعق، ويميلون مع كل ريح، لا يستضيئون بنور العلم، ولا يلجئون إلى ركن وثيق».

وقد شخص الإمام الصادق عليه السلام هذه الأصناف الثلاثة في ضوء الإعلان عن حقائق الأشياء، فقد روى انه قال «الناس عالم، ومتعلم، وغثاء، فنحن العلماء، وشيعتنا المتعلمون، وسائر الناس غثاء».

وعن أمير المؤمنين في بيان شرف العلم انه قال «كفى بالعلم شرفا أن يدعيه ما لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل ضعه أن يتبرأ منه

من هو فيه، ويغضب إذا نسب إليه».

وهذه حقيقه معاصره شأنها فى ذلك شأن العصور قديمها وحاضرها. ولقد روى عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فى بيان فضل من علم على المتعلم، انه قال «من علم شخصا مساله فقد ملك رقيه (رقبته) فليل له: أبيعته؟. فقال - صلوات الله عليه -: لا، ولكن يأمره وينهاه».

ويتفرع عن هذا ويتشرح منه، ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: «من علمنى حرفا ملكنى عبداً».

ووظيفه أهل العلم تعليم الناس، والحرص على إفادتهم علم محمد وال محمد، وإنقاذهم من الظلمات إلى النور فيما يستطيعونه. فعن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال «ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى اخذ على أهل العلم أن يعلموا».

وروى «ما اخذ الله على العلماء أن يعلموا حتى أخذ عليهم أن يعلموا».

ولقد كان أئمه أهل البيت عليهم السلام هم العلماء الحقيقيون الذين حذبوا على توجيه الناس وتعليمهم، وخلق جيل صاعد متقدم فى علوم القرآن والحديث الشريف والفقه والأصول، ويكفيهم بهذا شرفا آلاف الطلاب والمتعلمين على أيديهم الطاهره، فأصبحوا ببركتهم من القاده الهداه، والدعاه إلى الله عز وجل.

وقد أثنى الإمام الصادق عليه السلام على تلك الطبقات الفضلى من

حملة العلم والدين، فروى انه قال: «ما أحد أحميا ذكرنا، وأحاديث أبي إلا زرارته، وأبو بصير ليث المرادى، ومحمد بن مسلم، ويزيد بن معاوية العجلي. ولولا- هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا. هؤلاء حفاظ الدين، وأمناء أبي على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا فى الدنيا، والسابقون إلينا فى الآخرة».

وقد ورد فى المأثور: (مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء). وليس العلم فى الطلب وحده، ولكنه فى الطلب والإنايه والتوفيق وصدق النيه، فقد ورد عن أهل البيت - عليهم السلام - القول: «العلم نور يقذفه الله فى قلب من يشاء».

وروى عن الشافعى أنه قال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظى فأرشدنى إلى ترك المعاصى

وأخبرنى بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصى

وكان مما أوصى به الإمام الصادق عليه السلام عنوانا البصرى «... اسأل العلماء ما جهلت، وإياك أن تسألهم تعنتا وتجربه، وإياك أن تعمل برأيك شيئا، وخذ بالاحتياط فى جميع ما تجد إليه سيلا، واهرب من الفتيا هروبك من الأسد، ولا تجعل رقبتك للناس جسرا».

وقد قيل: ما من شىء أشد على الشيطان من عالم معه حلم، إن تكلم تكلم بعلم، وان سكت سكت بحلم، يقول الشيطان: «سكوتته أشد من كلامه».

ص: ٣١٨

كان أمير المؤمنين - عليه السلام - قد أوصى كميل بن زياد النخعي بالقول: «يا كميل، هلك خزان الأموال، والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقوده، وأمثالهم فى القلوب موجوده».

ومن أمثاله السائده بالمقارنه بين العلم والمال وسوى ذلك، اعتبر أمير المؤمنين «العلم يزكو على الإنفاق» كما أن المال قد ينفذ بالإنفاق.

وقد روى عنه عليه السلام أنه قال: «كل وعاء يضيق بما وضع فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع». وهذا ما نشاهده خبره وعيانا.

وكان أمير المؤمنين نفسه موئل العلم، والملجأ فى الفتيا، وعليه المعول فى شدائد المسائل، ومعضلات المشاكل، وإحداث ذلك أكثر من أن تحصى، ونموذج من علمه اللدنى بذكره، يؤكد ما لم نذكر، فقد روى أن عمر بن الخطاب جئ له بستة رجال شهدوا عليهم بالزنا، فلما تمت أربع شهادات أمر بان يجلد كل منهم مائه جلده، وكان على أمير المؤمنين حاضراً فقال: «ليس هذا حكمهم، فقام عمر من مكانه، وقال تقدم يا أبا الحسن فاحكم فيهم بحكم الله، فكان الحكم كالاتى: - ضرب الأول على عنقه بالسيف، وقدم الثانى فرجمه، وقدم الثالث فجلده مائه جلده، وقدم الرابع، فجلده خمسين جلده، وقدم الخامس فعزره، وقدم الخامس فأطلق سراحه.

ويبدو إن الإمام استجوبهم وعرف تفصيل أحوال كل منهم حينما زنى، فسأله القوم وعمر عن هذه الأحكام المتفاوتة فى موضوع واحد، فقال الإمام، والعهد على من روى ذلك.

أما الأول. فهو ذمى زنى بمسلمه، فخرج عن ذمته، ونقض ميثاقه فضل.

وأما الثاني فهو محصن، والمحصن إذا زنى فحده الرجم.

وأما الثالث فهو غير محصن، فحده أن يجلد مائه جلده.

وأما الرابع فهو رق، والرق إذا زنى يجلد نصف الحد فجلدناه خمسين جلده.

وأما الخامس: فانه وطأها شبهه، فحكمه التعزير.

وأما السادس: فهو مجنون مغلوب على عقله، سقط عنه التكليف، ولا يقام عليه الحد.

وكانت الصديقه فاطمه الزهراء عليها السلام سيده نساء العالمين، ملجأ نساء المسلمين فى الإفاده منها، ومسائلها بالعلم وأحكام الشريعة، على قصر المده وشده الفتنة.

فقد روى أن امرأه حضرت عندها، وقالت لها: إن لى والده ضعيفه، وقد لبس عليها فى أمر صلاتها، وبعثتنى أسالك، فقالت الزهراء - عليها السلام -: «سلى ما شئت" فسالت عن مساله فأجابت عنها الزهراء، ثم ثنت وتلفت حتى سألت عن عشر مسائل والزهراء تجيبها، ثم قالت: لا أشف عليك يا ابنه رسول الله، فقالت عليها السلام: «هاتى وسلى عما بدا لك!! أرايت من أكرى يوما ليصعد إلى سطح بحمل ثقيل، وكراه مائه ألف دينار، أيتقل عليه؟ قالت المرأه لا، فقالت الزهراء - عليها السلام -: «اكرتيت أنا لكل مساله بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش، فأحرى أن لا يتقل على.

(فسلام الله على الزهراء يوم ولدت، ويوم ماتت، ويوم تبعث).

ومسيره علمائنا الأعلام، وفقهائنا الأمناء، فى استمراريه متصاعده من عهد الأئمه إلى عصر الغيبه إلى عصرنا هذا، مستندين فى ذلك إلى علم أهل البيت الذى لا ينضب، وهو عن رسول الله عن الله تعالى، فعن الإمام الباقر انه قال "لو كنا نغشى الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكننا نغشيمم بآثار من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصول علم تتوارثها كابرنا عن كابرنا، فكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم، وفضتهم".

وعن الإمام الحسين - عليه السلام - انه قال: «علم الناس، وتعلم علم غيرك، فتكون قد أتقنت علمك، وعلمت ما لم تعلم، والسؤال نصف العلم».

وعن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: «وجدت علم الناس كله فى أربع:

الأول: أن تعرف ربك.

الثانى: أن تعرف ما صنع بك.

الثالث: أن تعرف ما أراد منك.

الرابع: أن تعرف ما يخرجك عن دينك.

وحديث الإمام الصادق عليه السلام لا- ينظر فيه إلى موضوع العلم الذى يبحث فيه عن عوارضه الذاتيه فحسب، وإنما يتعدى ذلك إلى العلم

ص: ٣٢١

بالفيض الإلهي، وما ينبغي أن يعرفه العبد في إصلاح دينه، وتثبيت يقينه.

فالأول أن يعرف الإنسان ربه بدقائق صنعه، وعجائب خلقه في الكون والأرض والسموات والبشر والعوالم كلها المرئية والمصورة، فالله تعالى قد دل بذاته على ذاته، وتنزه عن مخلوقاته، فليس كمثلته شيء، وغير خاضع للآيين والزمان والمكان وحوادث الأقدار، فهو المؤين وهو المقدر.

فإذا عرفت ذلك نظرت في نفسك لتعرف ما صنع بك ربك من عظيم التركيب، وجميل الخلق، وتعدد الحواس، وسلامه الأطراف، ورهافة الجوارح، وجلال العقل، وجمال التصوير.. الخ. فإذا عرفت ذلك، وأقررت به، وشاهدته عن تبصر وتفكر وإمعان، فعليك أن تعرف ما أراد منك ربك، وما فرضه عليك، وما نهاك عنه، وما حبه إليك، وما حذر منك منه، وما بشرك به.

وإذا تم لك هذا العرفان، فعليك أن تعرف ما يخرجك من دينك - والعياذ بالله - فلا تقر به، ولا تصل إليه، ولا تتعامل معه، فما يخرجك من دينك هو عدوك الأكبر الذي لا يرحم، أعادنا الله تعالى من ذلك.

ومع هذا كله فآفه العلم شيان:

الأول: فرار الناس من العلماء.

الثاني: انخراط بعض العلماء في زمرة وعاظ السلاطين.

فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: «سيأتي زمان على أمتي يفرون من العلماء كما يفرون من الذئب، فإذا كان كذلك ابتلاههم الله بثلاثة أشياء:

ص: ٣٢٢

الأول: يرفع البركة من أموالهم.

الثاني: يسلط عليهم سلطاناً جائراً.

الثالث: يخرجون من الدنيا بلا إيمان».

والبلاء الثاني ما جاء في الحديث الشريف: «إذا رأيتُم الأمراء على أبواب العلماء، فقولوا: نعم العلماء ونعم الأمراء، وإذا رأيتُم العلماء على أبواب الأمراء، فقولوا بئس العلماء وبئس الأمراء».

وقد اقتبسه المرحوم الشيخ محمد على الأعسم فقال:

ملك يعاتب عالماً في تركه لزيارته.. فأجابه العرفاء

نخشى فعال الناس حين يرونه بئس الملوكة وبئس العلماء

وأما الأحاديث الشريفه الوارده في فضل العلم وطلبه، وتسجيل العلماء وإعلاء شأنهم فهي بالمئات نختار منها ما بين أيدينا:

١ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم... به يطاع الرب ويعبد، وبه توصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام، العلم إمام العقل، والعقل تابعه، يُلهم به السعداء، ويحرمه الأشقياء»^(١)).

٢ - وعنه - صلى الله عليه وآله -: (أكثر الناس قيمه أكثرهم علما،

ص: ٣٢٣

١- (١) الطوسى / الأمالى: ٤٨٨.

وأقل الناس قيمه أقلهم علماً»(١).

٣ - وعنه - صلى الله عليه وآله -: «أقرب الناس من درجة النبوه أهل الجهاد وأهل العلم»(٢).

٤ - وعنه - صلوات الله عليه -: «يوزن يوم القيامة مداد العلماء، ودماء الشهداء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء»(٣).

٥ - وعنه - صلى الله عليه وآله -:

«إن فضل العالم على العابد، كفضل الشمس على الكواكب، وفضل العابد على غير العابد كفضل القمر على الكواكب»(٤).

٦ - وعن الإمام على - عليه السلام -:

«إن العلم حياه القلوب، ونور الأبصار من العمى، وقوت الأبدان من الضعف»(٥).

٧ - عن الإمام الصادق - عليه السلام -: «لو علم الناس فى طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج»(٦).

٨ - عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن العلماء ورثه الأنبياء»(٧).

ص: ٣٢٤

١- (١) الصدوق / الأمالى: ٧٣.

٢- (٢) المتقى الهندى / كنز العمال: الحديث رقم (١٠٦٤٧).

٣- (٣) السيوطى / الدر المنثور: ٤٢٣/٣.

٤- (٤) المجلسى / بحار الأنوار: ١٩/٢.

٥- (٥) الصدوق / الأمالى: ٧١٣.

٦- (٦) عوالى اللالى: ٢٨٥/١.

٧- (٧) الكلينى / الكافى: ٣٢/١.

٩ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

«طالب العلم طالب الرحمه، طالب العلم ركن الإسلام، ويعطى أجره مع النبيين»(١).

١٠ - عن الإمام الكاظم موسى بن جعفر - عليه السلام -:

«لا علم إلا من عالم رباني، ومعرفة العالم بالعقل»(٢).

١١ - عن الإمام زين العابدين - عليه السلام -:

«حق سائسك بالعلم: التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وان لا ترفع عليه صوتك، وأن لا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدث في مجلسه أحداً، وأن تدفع عنه اذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدو، ولا تعادى له ولياً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلمت علمه لله - جل اسمه - لا للناس»(٣).

١٢ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال:

«من استقبل العلماء فقد استقبلني، ومن زار العلماء فقد زارني، ومن جالس العلماء فقد جالسني، ومن جالسني، فكأنما جالس ربي»(٤).

ص: ٣٢٥

١- (١) المتقى الهندي / كنز العمال، رقم الحديث (٢٨٧٢٩).

٢- (٢) تحف العقول: ٣٨٨.

٣- (٣) الصدوق / الخصال: ٥٦٧/١.

٤- (٤) المتقى الهندي / كنز العمال، رقم الحديث (٢٨٨٨٣).

١٣ - عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«على العالم إذا علم أن لا يعنف، وإذا علم أن لا يأنف»^(١).

١٤ - عن الإمام علي - عليه السلام -:

«إذا رأيت عالماً فكن له خادماً»^(٢).

١٥ - عن الإمام علي - عليه السلام -:

«على المتعلم أن يدأب نفسه في طلب العلم، ولا يمل من تعلمه، ولا يستكثر ما علم»^(٣).

١٦ - وعنه - عليه السلام -:

(من أكثر الفكر فيما تعلم أتقن عمله، وفهم ما لم يكن يفهم)^(٤).

١٧ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«العلماء أمناء الله على خلقه»^(٥).

١٨ - عن الإمام الصادق أنه قال:

«علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريتته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته»^(٦).

ص: ٣٢٦

١- (١) تنبيه الخواطر: ٨٥/١.

٢- (٢) غرر الحكم / ٤٠٤٤.

٣- (٣) المصدر نفسه / ٦١٩٧.

٤- (٤) المصدر نفسه / ٨٩١٧.

٥- (٥) المتقى الهندي / كنز العمال، رقم الحديث (٢٨٦٧٥).

٦- (٦) الطبرسي / الاحتجاج: ٧/١٣/١.

١٩ - عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«قسم ظهري عالم متهتك، وجاهل متنسك، فالجاهل يغش الناس بتنسكه، والعالم يغرمهم بتهتكه» (١).

٢٠ - وعنه سلام الله عليه: «أعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعايه لا عقل روايه، فان رواه العلم كثير، ورعايه قليل» (٢).

٢١ - عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال:

«العامل على غير بصيره كالسائر على غير الطريق، ولا يزيده سرعه السير من الطريق إلا بعداً» (٣).

٢٢ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«تناصحوا في العلم، فان خيانه أحدكم في علمه أشد من خيانته في ماله، وان الله سائلكم يوم القيامة» (٤).

٢٣ - عن الإمام على (عليه السلام) أنه قال:

«لا يستوى عند الله في العقوبه الذين يعلمون والذين لا يعلمون، نفعنا الله وإياكم بما علمنا، وجعله خالصاً، أنه سميع مجيب» (٥).

هذا وقد شددت الروايات على ذم علماء سوء ووعاظ السلاطين،

ص: ٣٢٧

١- (١) منيه المريد: ١٨١.

٢- (٢) نهج البلاغه / الحكمه رقم (٩٨).

٣- (٣) الصدوق / الأمالي: ٧٠٥/٥٠٧.

٤- (٤) الطوسي / الأمالي: ١٩٨/١٢٦.

٥- (٥) المفيد / الإرشاد: ٢٣٠/١.

وإتباع الجائرين من الحاكمين، ومن لم يعمل بعلمه، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: "من أزداد علماً ولم يزد هدى، لم يزد من الله إلا بعداً" (١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في هذا المنحى:

«أشد الناس عذاباً عالم لا ينتفع من علمه بشيء» (٢).

وعنه - عليه السلام - أنه قال:

(ملعون ملعون عالم يؤم سلطاناً جائراً، معيناً له على جورهِ) (٣).

وعن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في ذم علماء السوء: «وهم آخر على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي وأصحابه، فإنهم يسلبونهم الأرواح والأموال، وهؤلاء علماء السوء.. يدخلون الشك والشبهه على ضعفاء شيعتنا فيضلونهم» (٤).

ونحتم هذا المبحث بأنباء الإمام علي عليه السلام انحصار العلم بأهل البيت: «لو اقتبستم العلم من معدنه، وشربتم الماء بعدوبته، وادخرتم الخير من موضعه، وأخذتم الطريق من واضحه، وسلكتم من الحق نهجه، لنهجت بكم السبل، وبدت لكم الأعلام» (٥).

ص: ٣٢٨

١- (١) تنبيه الخواطر: ٢١/٢.

٢- (٢) المجلسي / بحار الأنوار: ٥٣/٢٧/٢.

٣- (٣) المجلسي / بحار الأنوار: ٣٨١/٧٥.

٤- (٤) الطبرسي / الاحتجاج / ٥١٢/٢.

٥- (٥) الكليني / الكافي: ٣٢/٨.

قضاء الحوائج في الميزان

لقضاء حوائج البشر في الميزان الإنساني مساحه كبرى تتسع في الموروث الحضارى لأهل البيت بكثير من العناية والاعتبار، وتنشر في أحاديثهم انتشار ضوء الفجر في السماء، حتى يخيل لمن يقرأها أنها - دون سواها - هي التي تقرب العبد إلى ربه، وتوفر ميزان أعماله بالصالحات وقد كان الحث على ذلك، والانتداب المتواتر له قولاً وعملاً، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال:

«من مشى مع أخيه في حاجه فناصره فيها، جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق، ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض».

وهذا وحده داعيه حافله بالوعد الحق، وأداه ناطقه بانفصال المؤمن عن النار بخنادق هائله من الابتعاد.

وعنه صلوات الله عليه انه قال:

«من كان في حاجه أخيه، كان الله تعالى في حاجته، ومن فرّج عن

ص: ٣٢٩

مسلم كربه فرج الله عنه كربه من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة».

فأى فضيله للمرء أفضل من أن يكون الله فى قضاء حاجته إذا مشى فى حاجه أخيه، وأى فرج أسمى من فرج الله اذا فرج عن أخيه كربه، فيفرج الله عنه كربه من كرب يوم القيامة.. فإذا ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة.

وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أقرب ما يكون العبد إلى الله عز وجل: إذا أدخل على قلب أخيه المؤمن مسره».

والأعظم من هذا أن المسلم إذا أجرى الله على يده فرجاً لمسلم كان كما روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: " من أجرى الله على يده فرجاً لمسلم فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة».

ويروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لجابر بن عبد الله الأنصارى: «يا جابر من كثرت نعم الله تعالى عليه، كثرت حوائج الناس إليه، فإذا قام بما يحب لله فيها فقد عرضها للدوام والبقاء، ومن لم يقم بما يحب لله فيها عرض نعمه للزوال».

وهذا من أبلغ موارد الترغيب فى قضاء حوائج الناس، ومن اشد موارد الترهيب فى زوالها.

وهذه طريقه أمير المؤمنين عليه السلام فى تنبيه أوليائه وحثهم على السعى فى حوائج الآخرين، وهى كثيره الورود فى نصائحه وخطبه ورسائله، فقد ورد عنه أنه قال لكميل بن زياد النخعى رضى الله عنه:

«يا كميل مرّ أهلك أن يروحوا في كسب المكارم، ويدلجوا في حاجه من هو نائم، فوالذي سمع الأصوات، ما من أحد أودع قلباً سروراً إلا- خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفاً، فإذا نابتة نائبه جرى إليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غرائب الإبل».

قال الشاعر:

إذا أذن الله في حاجه أذاك- النجائح على رسيله

فلا تسأل الناس من فضلهم ولكن سل الله- من فضله

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«ما أدخل رجل على مؤمن من سرور إلا خلق الله من ذلك السرور ملكاً يعبد الله تعالى، ويوحّد. فإذا صار العبد في قبره أتاه ذلك السرور، فيقول: أما تعرفني؟ فيقول له من أنت؟ فيقول أنا السرور الذي أدخلتني عل فلان، فأنا اليوم أؤانس وحشتك، وألقنك حجتك، وأثبتك بالقول الثابت، واشهد مشاهدك يوم القيامة، وأشفع لك إلى ربك، وأريك منزلتك في الجنة».

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إن الله خلقاً خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه أن لا يعذبهم بالنار، فإذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى، والناس في الحساب».

وهذه منزله عظيمه مؤدّاها أن السعى في حوائج الناس يحدث الله على منابر من نور، فلا يحاسب كما يحاسب الناس.

وهناك توجيه سديد، وحث عميق من رسول الله صلى الله عليه وآله

ص: ٣٣١

وسلم على السعى في حاجه المسلم قضيت أو لم تقض، يصاحب ذلك الغفران للذنوب، والبراء من النار والنفاق.

فقد روى عنه - صلى الله عليه وآله - أنه قال: «من سعى لأخيه المسلم في حاجه، فقضيت له أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق».

وهناك بشاره عظمى من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن يتصدى لقضاء حوائج الآخرين، لا تعادل بجزء مهما ملا قدره وسما أثره، فيروى أنه قال: «من مشى في حاجه أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوه سبعين حسنه وكفر عنه سبعين سيئه، فأن قضيت حاجته على يده خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فان مات خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب».

وقد أعطيت الشفاعه لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وهى المقام المحمود الذى وعده الله به بما أورده المفسرون.

وقد روى عنه فى ذلك أنه قال فيمن قضى لأخيه حاجه: «من قضى لأخيه حاجه كنت واقفاً عند ميزانه، فان رجح وإلا شفعت له».

وكذلك الحال لمن أسدى خدمه للمسلمين كبرت أو صغرت فقد روى عنه صلى الله عليه وآله أنه قال:

«أيما مسلم خدم قوماً من المسلمين إلا أعطاه الله مثل عددهم خداماً فى الجنة».

ومع هذا كله ينبغى للمؤمن أن يطلب الحاجه من أهلها، ومن المؤهلين

لها، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «فوت الحاجه أهون من طلبها إلى غير أهلها».

وروى عن الإمام الحسن عليه السلام أنه كان جالساً فمرّ به سائل، فقال له الإمام: «ألا أدلك على شيء يحصل لك به الخير الكثير» قال: نعم يا ابن رسول الله، قال «إن الخليفة؟ توفيت له بنت فأذهب فعزّه بما أقول لك، قل له: «الحمد لله الذى سترها بجلوسك على قبرها، ولم يهتكها بجلوسها على قبرك».

فقالها الرجل، فذهب عن المعنى بها الحزن، وأمر له بجائزه، وقال له: أهدا الكلام لك؟ قال: لا، ولكنى تعلمته من الحسن بن علي عليه السلام قال: صدقت فانه معدن العلم والحكمه، ثم أمر له بجائزه أخرى لصدقه.

قال صفوان الجمال: دخلت على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فدخل عليه رجل من أهل مكة يقال له «ميمون» فشكا إليه تعذر الكراء عليه!! فقال عليه السلام له: «قم فاعن أخاك» فقمّت معه فيسير الله كراه، فرجعت إلى مجلسي، فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام «ما صنعت في حاجه أخيك، قلت: قضاها الله بأبي أنت وأمي، فقال عليه السلام: «أما إلى من طواف أسبوع في البيت» أي طواف سبعة أشواط حول الكعبه.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يروى عنه:

«الخلق كلهم عيال الله، فأحب خلقه إليه أنفعهم لعياله».

ولقد كان أمير المؤمنين - عليه السلام - دقيقاً في استخلاص المعروف

إيثاراً وإنصافاً وإحساناً ومن أبرز آثاره في هذا المجال قوله: «أبذل لأخيك دمك ومالك، ولعدوك عدلك وإنصافك، وللعامة بشرك وإحسانك».

والحكمه الأولى في قوله عليه السلام تؤكد على التضحيه في بذل الدم والمال للأخ المسلم، والثانيه تعنى الاستقامه في العدل والإنصاف، والثالثه تلخص التعايش مع جمهور الناس بالبشر والإحسان.

أداء حق المؤمن نوع من أنواع العباده، بل هو من أفضلها عند الإمام الصادق عليه السلام فيما روى انه قال: «والله ما عبد الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن».

ولالإمام الصادق عليه السلام إنذار لمن حبس ماله عن المؤمن وهو بحاجه إليه، فالمفروض أن يبّره، والعرف الإسلامى أن يؤثره، وإلا فقد حرم من كرامه الله يوم القيامه فيما يطعم ويشرب.

فقد قال عليه السلام فيما روى عنه: «أَيُّمًا مَوْمِنًا حَبَسَ مَالَهُ عَنِ الْمَوْلَى، وَهُوَ مَحْتَاكُ إِلَيْهِ لَمْ يَذِقْ وَاللَّهِ مِنْ طَعَامِ الْجَنَّةِ، وَلَا يَشْرَبُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ».

ويريد الإمام الصادق عليه السلام من المسلم أن يؤثر أخاه المسلم في شتى المجالات، وأن يواسيه في الضراء والسراء في المفردات التي ذكرها فيما يأتي، فقد روى أنه قال:

«المسلم أخ المسلم، وحق المسلم على أخيه أن لا يشبع ويجوع أخوه، ولا يروى ويعطش أخوه، ولا يكتسى ويعرى أخوه، فما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم».

وفى هذا الصدد نجد الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام متفرغاً لنصح على بن يقطين وزير الرشيد وهو من أولياء الإمام ومواليه، فقد حصر قضاء حاجه أوليائه وأتباعه ضماناً من القتل والسجن والفقير.

فروى أنه قال له: «أضمن لى واحده أضمن لك ثلاث، أضمن لى إن لا تلقى أحداً من موالينا فى دار الخلافه إلا قمت بقضاء حاجته، أضمن لك أن لا يصيبك حد السيف أبداً ولا يظلك سقف سجن أبداً، ولا يدخل الفقر بيتك أبداً».

وعنه أن علياً بن يقطين كان عند حسن الظن، فما قصده أحد بحاجه إلاّ قضاها، وقد نفس عن المكروبين زمن الرشيد، وقام بما ينبغى لمثله أن يقوم به.

فقد روى أنه أستأذن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فى ترك عمل السلطان فلم يأذن له، ويروى انه عليه السلام علل ذلك بالقول له: «لا تفعل فأن لنا بك أنساً، ولإخوانك بك عزاً، وعسى أن يجبر بك الله كسراً».

يا على كفاره أعمالكم الإحسان إلى أخوانكم، أضمن لى واحده أضمن لك ثلاث، أضمن لى أن لا تلقى أحداً من أوليائنا إلا قضيت حاجته وأكرمته، وأضمن لك أن لا يظلك سقف سجن أبداً، ولا ينالك حد سيف أبداً، ولا يدخل الفقر بيتك أبداً.

يا على: من سر مؤمناً فبالله بدأ، وبالنبى ثنى، وبنا ثلث»

وبذل الجاه فى قضاء حاجه المؤمن مما يحرم الله به وجه المرء من النار

والعكس بالعكس، وذلك في إضماحه من توجيه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فيما يروى عنه أنه قال:

«ما من مؤمن بذل جاهه لأخيه المؤمن إلا حرم الله وجهه على النار، ولم يمسه قتر ولا ذله في الدنيا والآخرة، وأصابته وجهه يوم القيامة لفحات النيران، معذباً كان أو مغفوراً له.»

ومن طرائف هذا الباب أن نعتبر قضاء حوائج الناس من المعروف الذي ندب إليه الإسلام، وقد روى عن الإمام الصادق أنه قال: «نظرت في المعروف فوجدته لا يقوم إلا بثلاث: تعجيله وستره وتصغيره»

ويبدو أن قضاء الحاجه بالقرض والاستدانه أفضل من الصدقه في كثير من الأحيان، فقد روى أبو أمامه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«رأيت على باب الجنه مكتوباً القرض بثمانيه عشر، والصدقه بعشر، قال، قلت: يا جبرئيل ما بال القرض أعظم أجراً من الصدقه؟ قال: لان صاحب القرض لا يأتيك إلا محتاجاً، وربما وقعت الصدقه على غير أهلها.»

وهذا الباب تسع المعالم وعديد الظواهر، ومفرداته كثيره جداً، ومن عائديته أن المتصدى لقضاء حوائج الناس يسرّ بعجله لأنه أدخل السرور على غيره، وأصبح قدوه للآخرين في الاستباق إلى الخيرات، والمسارعه إلى المبرّات.

وقد لا يكافئ عامل الخير في هذا المجال على عمله، فينبغي له أن يقنط ولا يصاب بخيبه الأمل، فهذه سنه الحياه في عدم الوفاء ونكران الجميل،

والناس أبناء الزمان في تقلباته وغدره ومكره، والمرء ينبغي أن يعمل لله عز وجل، وأن يصبر على ذلك، والصبر عليه من كرائم الأعمال.

ومن أنفس ما أطلعت عليه، تلك الرسالة التي كتبها الإمام الصادق عليه السلام لعبد الله النجاشي والي الأهواز، في تأكيده عليه السلام على إغاثة الملهوف، وقضاء حاجة المؤمن، وإكساء الفقراء، وإطعام الجياع، مما يعتبر من أنفس ذخائر الموروث الإنساني في الإيثار والتعاون، ويعد أرقى صحائف التوجيه البشري في الإحسان وإسداء المعروف في أجزائه ومصاديقه العديده.

كتب الإمام الصادق عليه السلام قال: حدثني أبي عن علي (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال:

«من أغاث لهفان من المؤمنين أغاثه الله يوم لا- ظل إلا ظله، وآمنه يوم الفزع الأكبر، وآمنه من سوء التقلب، ومن قضى لأخيه المؤمن حاجه قضى الله تعالى له حوائج كثيره من أحدها الجنة، ومن كسا أخاه المؤمن من عرى كساه الله من سندس الجنة وإستبرقها وحريرها، ولم يزل يخوض في رضوان الله مادام على المكسو منها سلك، ومن أطعم أخاه من جوع أطعمه الله من طيبات الجنة، ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن أخدم أخاه المؤمن أخدمه الله من الولدان المخلدين، وأسكنه مع أوليائه الطاهرين.

ومن حمل أخاه المؤمن... حمله على ناقه من نوق الجنة، وباهى به ملائكته المقربين يوم القيامة، ومن زوج أخاه المؤمن امرأه يأنس بها ويشد

عضده ويستريح إليها، زوجه الله من الحور العين، وآنسه بمن أحب من الصديقين ومن أهل بيت نبيه وإخوانه، وآنسهم به، ومن أعان أخاه المؤمن على سلطان جائر أعانه الله على إجازة الصراط عند زله الأقدام ومن زار أخاه المؤمن إلى منزله، ولا لحاجه منه إليه، كتب من زوار الله، وكان حقيقاً على الله أن يكرم زائره».

ص: ٣٣٨

للدعاء آداب وشروط ندب إليها الموروث الإسلامي في تعليمات أهل البيت عليهم السلام، وليس في آدابه ولا شروطه ولا أوقاته عسر أو حرج، فالله سبحانه وتعالى يدعى على كل حال، وفي أي وقت دون قيد أو شرط، ولكن لآداب الدعاء مرجحات ينبغي الالتزام بها، ليكون الدعاء متقبلاً ومتساوياً مع طبيعه الإنابه، والتوجه وخلص النيه.

فمن آدابه أن يكون الداعي على طهور وخشوع مخلصاً لا مرئياً، ومتوجهاً لا شارد الفكر وسوى ذلك ومظنه الدعاء في الأماكن المقدسه كالبيت الحرام والمسجد النبوي وعند ضريح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي المسجد الأقصى وفي مسجد الكوفه وعند الضرائح الطاهره لأئمه أهل البيت عليهم السلام والأولياء والصالحين، ومن شروطه أن تتجنب موانع الدعاء، كالظلم وأكل المال الحرام، وعقوق الوالدين والإصرار على الكبائر

بل والصغائر أيضا فإذا انتفى ذلك كله تحققت للدعاء شروطه الاعتيادية، أما أوقاته فهي كثيرة في الأيام والساعات والأشهر والمواسم، فالدعاء عند الفجر وبين الطلوعين وعند بزوغ الشمس وعند الزوال، وعند الغروب وعند صلاة العشاء، وفي السحر تلك أوقات يومية، وأبرزها الدعاء في ليالي الجمع، وآخر ساعه من ساعات يوم الجمعة، وهناك أشهر للدعاء أبرزها الأشهر الحرام، رجب، شوال، ذى القعدة، ذى الحجة، رمضان الذى أنزل فيه القرآن وشهر شعبان المعظم، وآناء الليل وأطراف النهار، فى الأيام والأسابيع ولكل يوم دعاؤه المخصوص به، كما إن لرمضان أذعته الخاصة صباحاً ومساءً وعشاءً وسحراً والدعاء فى الحج وعرفه، ولدى المشعر الحرام ومنى وعند الطواف، والدعاء عند الإمام الحسين فى كل وقت لاسيما فى ليالى الجمع وعرفه وأول رجب ونصفه والنصف من شعبان وفى كل الأوقات قائماً وقاعداً، خاشعاً خاضعاً ذليلاً متعبداً.

وآثار أهل البيت غنيه بالدعاء فى شتى الأغراض، ويكفى ما صرح به القرآن العظيم: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ» .

وقوله: «قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۗ» .

والدعاء مآثور عند أداء الواجبات والأعمال المفترضه كما دعا إبراهيم

وإسماعيل لدى رفع القواعد من البيت الحرام.

وقد ورد عن رسول الله بما رواه الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله خير وقت دعوتكم الله عز وجل فيه الأسحار، وتلا هذه الآية في قول يعقوب «قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ۝١» .

وقال آخرهم إلى السحر(١).

وعن رسول الله أنه قال: «اغتنموا الدعاء عند الرقة فإنها رحمه».

ومن آداب الدعاء ما روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من كانت له حاجة إلى عز وجل فليبدأ بالصلاة على محمد وآله، ثم يسأل حاجته، ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد فإن الله - عز وجل - أكرم من أن يقبل الطرفين، ويدع الوسط، إذ كانت الصلاة على محمد وآل محمد لا تحجب عنه»(٢).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:

«ثلاثة أوقات لا يحجب فيها الدعاء الله: في أثر المكتوبه، وعند نزول القطر، وظهور آية معجزه لله في أرضه»(٣).

والدعاء في حد ذاته مندوب إليه، فقد روى الطبرسي في «مكارم

ص: ٣٤١

١- (٢) الكليني / الكافي: ٤٧٧/٢.

٢- (٣) مكارم الأخلاق: ١٨/٢.

٣- (٤) المجلسي / بحار الأنوار: ٣٢١/٨٥.

الأخلاق» عن رسول الله أنه قال يوماً لأصحابه:

«ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويُدو أرزاقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، فقال صلوات الله عليه:

«تدعون ربكم بالليل والنهار، فإن سلاح المؤمن الدعاء».

وروى عن رسول الله أنه قال:

«لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد العمر إلا اليسر».

وكان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أراد سفراً قال متضرعاً إلى الله تعالى:

«اللهم إنى أعوذ بك من وعشاء السفر، وكآبه المتقلب، وسوء المنظر فى الأهل والمال، اللهم أنت الصاحب فى السفر وأنت الخليفة فى الأهل ولا يجمعها غيرك لأن المستخلف لا يكون مستصحباً، والمستصحب لا يكون مستخلفاً».

وقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله يعلم حاجتك وما تريد، ولكنه يجب أن تبث إليه الحوائج».

وهذا الأمر مندوب إليه فيحسن الإلحاح فى الدعاء فإن الإلحاح مظهره الإجابة فقد روى عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (والله لا يلح عبد مؤمن على الله عز وجل فى حاجه إلا قضاها له».

وأكد الإمام الصادق عليه السلام هذه الحقيقة بما روى عنه أنه قال:

ص: ٣٤٢

«إن الله عز وجل كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في المساله، وأحب ذلك لنفسه، إن الله عز وجل يحب أن يسأل ويطلب ما عنده».

وليس غريباً أن يدفع البلاء بالدعاء، فقد رفع بلاء أيوب بالدعاء، ولا عجب أن يداوى المرضى بالصدقه، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «داووا مرضاكم بالصدقه وادفعوا البلاء بالدعاء».

وهناك دواعٍ ومسببات لإجابة الدعاء تلخصها وصيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأئمة المؤمنين فيروى أنه قال: «يا على أربعه لا ترد لهم دعوه: إمام عادل ووالد لولده، والرجل يدعو لأخيه بظهر الغيب، والمظلوم يقول الله عز وجل: «وعزتي وجلالي لا نتصرن لك ولو بعد حين».

وهذا الحصر بهؤلاء لا يقتصر عليه في استجابته الدعاء ولكنه ابرز المصاديق لمن لا ترد دعوتهم، وهذا تعليم لنا أن ننظر ونعتبر ونتعظ، فالإمام العادل مستجاب الدعوه لما عمل به في ضوء الكتاب والسنة في المساواه بين الرعيه، وإشاعه مبدأ العدل الاجتماعى.

والولد البار بوالده يستجاب بحقه الدعاء من أبيه لرضاه عنه، وأيما رجل دعا لأخيه المؤمن بظهر الغيب فهو مستجاب له، لأنه صادر عن نفس تحب الخير لها ولغيرها.

والمظلوم ينتصر له الله تعالى وإن طال المده، واشتدت المحنه فهو بعين الله تعالى، وقد التجأ إليه، والالتجاء لله عز وجل ركن وثيق، وحصن أمين فهو فى رعايه جبار السماوات والأرض ولا بد لهذا الالتجاء أن يسفر عن

نصره المظلوم.. قال الشاعر:

تنام عينك والمظلوم منتبّه يدعو عليك.. وعين الله لم تنم

ووصايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم) بالدعاء باب متسع الجانب، وما زال يوصى أمته بذلك بشتى العبارات القيمه، فمن ذلك ما ورد عنه أنه قال:

١ - اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنع الآخرة، وأعوذ بك من حياه تمنع خير الممات، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل».

وهذه من كلماته الجامعه، فقد أوتى صلوات الله عليه جوامع الكلم وفصل الخطاب، فهو يستعيد بدعائه من الدنيا التي تمنع رحمه الآخرة وثوابها، ويستعيد به من شر حياه تمنع خير الممات، ويستعيد من أمل يمنع عمل الخير وخير العمل.

٢ - الدعاء مخ العباده.

٣ - إن الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين، ونور السماوات والأرض.

٤ - ليس شيء أكرم على الله من الدعاء.

٥ - إن الله عز وجل كريم يستحي إذا بسط الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً ليس فيهما شيء.

٦ - إذا فتح الله على عبده الدعاء فليكثر فإن الله يستجيب له.

٧ - واستعاذ رسول الله من الكفر والفقر وعذاب القبر.

ص: ٣٤٤

٨ - لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بذنوب يصيبه.

٩ - وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرؤه عقب كل صلاة: «اللهم إن مغفرتك أرجى من عملي، وإن رحمتك أوسع من ذنبي، اللهم إن لم أكن أهلاً- إن أبلغ رحمتك، فرحمتك أهل أن تبلغني، لأنها وسعت كل شيء يا أرحم الراحمين.»

١٠ - ويستحب للإنسان لرد الطيره والتشاؤم أن يدعو بدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا- خيرك، ولا- إله غيرك، اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.»

وهذه الشذرات الثمينه من إثبات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الدعاء تدل ألفاظها على المعاني، وحكمها على المباني، وهي ليس بحاجة الى شرح وتعليل لأنها: سبوح لها منها عليها شواهد، وكل دعاء دعاه رسول الله صلوات الله عليه فهو مستجاب، ودلائل ذلك كثيره ومن أروعها ما جرى لأئمه الكفر من قريش حينما أشد أذاها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصه حينما وضعوا الفرث والسلا على ظهره صلوات الله عليه وهو في الصلاة، فيروى أنه دعا عليهم مع انتهائه من الصلاة قائلاً:

«اللهم عليك بقريش - ثلاث مرات - فلما سمع القوم صوته ودعاؤه ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته إذ قال:

ص: ٣٤٥

«اللهم عليك بأبى جهل، وعتبه وشيبه، والوليد وأميه بن خلف» فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

(والذى بعث محمداً بالحق رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر). وروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل المسجد فرأى رجلاً من الأنصار أسمه «أبو أمامه» جالساً فيه فقال صلى الله عليه وآله وسلم له:

يا أبا أمامه مالى أراك جالساً فى المسجد غير وقت الصلاة؟». قال: هموم لزمتنى وديون ركبتنى، يا رسول الله!!،

فقال صلوات الله عليه: «ألا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك، وقضى عنك دينك؟»، قال: بلى يا رسول الله!! فقال صلوات الله عليه: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت:

«اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من البخل والجبن، وأعوذ بك من غلبه الدين وقهر الرجال».

قال: فعلت ذلك، فأذهب الله همى، وقضى دينى.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال:

«لا- يرد دعاء أوله: بسم الله الرحمن الرحيم، وان أمتى يأتون يوم القيامة يقولون: بسم الله الرحمن الرحيم، فتثقل حسناتهم فى الميزان، فتقول الأمم: ما أثقل موازين امه محمدا؟

فتقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

«ابتداء كلامهم ثلاثه من أسماء الله تعالى، لو وضعت في كفه الميزان، ووضعت سيئات الخلق في كفه، لرجحت كفه الأسماء»

ومن أروع ما عبر به عن الدعاء، إن أمير المؤمنين - عليه السلام - سئل: كم بين السماء والأرض؟ فقال (عليه السلام) "دعوه مستجاب".

فيا لها من حكمه فياضه الأداء، عجيبه الاستحضار.

قال الدكتور (الكسيس كارل) الحائز على جائزه نوبل في الطب: «إن التأثير الذي يتركه الدعاء لا يقل عن تأثير أمواج الراديو ولا أقول ذلك بصفتي مؤمناً بالله، بل بصفتي طبيباً عالجتُ الكثير من مرضى بالدعاء، وبعد أن عجزت العقاقير الطبيه عن معالجتهم». وقد ورد بهذا الكثير من أصناف الدعاء، فروى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله يعلم حاجتك وما تريد.. ولكن يجب أن تبث إليه الحوائج»

وسمع أمير المؤمنين (عليه السلام) رجلاً يقول: وهو متعلق بأستار الكعبه - يا من لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلظه المسائل، ولا يبرمه إلحاح الملحين، أذقنى برد عفوك، وحلاوه مغفرتك. فقال الإمام (عليه السلام):

«والذى نفسى بيده، لو قلتها وعليك ملء السماوات والأرض من الذنوب لغفر لك».

ص: ٣٤٧

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال:

«ادفعوا أفواج البلياء بالدعاء».

وكان من دعاء أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال:

«اللهم صن وجهي باليسار ولا تبدل جاهي بالإقتار، فاسترزق طعاماً رزقك من غيرك واستعطف شرار خلقك وابتلى بحمد من أعطاني وافتتن بدم من منعني وأنت من وراء ذلك ولي الإجابة والمنع».

وعن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وقد ذكر عنده عرفه والمشعر الحرام فيروى انه قال:

«ما وقف أحد بتلك الجبال إلا استجيب له فأما المؤمنون فيستجاب لهم في آخرتهم وأما الكفار فيستجاب لهم في دنياهم»

ومن غرر كلام أمير المؤمنين عليه السلام انه قال:

«ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة، ولا يفتح على عبد باب الدعاء ويغلق باب الإجابة، ولا يفتح على عبده باب التوبة ويغلق عنه باب القبول».

وعن أمير المؤمنين انه قال: «عجباً لمن يهلك والنجاه معه!! قيل له: ما هي؟ قال: الاستغفار».

والاستغفار طلب المغفرة من الله في الدعاء وسواه.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام انه إذا وقع في شيء يكرهه

قال:

«اللهم اجعل أدباً، ولا تجعله غضباً».

وعنه صلوات الله عليه للأمر المهم تقول ثلاث مرات:

«اللهم أنت لها ولكل عظيمه، ففرجها عني».

وروى عن الإمام أبي الحسن عليه السلام لمن أوجس في نفسه شيئاً «اعتصمت بك يا رب من شر ما أجد في نفسي، فاعصمني من ذلك».

وربما كان هذا لدفع الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنه والناس، والله العالم

قال طاووس اليماني: كنت في الحجر ليله، إذ دخل الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، فقلت: رجل من أهل بيت النبوه، والله لأسمعن دعاءه، فسمعته يقول في أثناء دعائه:

«عبيدك بفنائك، وسائلك بفنائك، مسكينك بفنائك».

قال طاووس: فما دعوت بهذه إلا فرج الله عني.

هنالك أربع كلمات يفرع إليها في الشدائد، وربما نسبت الى الإمام جعفر الصادق (عليه السلام).. والله العالم.

١ - قول «حسبنا الله ونعم الوكيل» لمن خاف.

٢ - لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» لمن اغتم.

٣ - «وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد» لمن مُكِر به.

ص: ٣٤٩

٤ - و «ما شاء الله لا قوة إلا بالله» لمن أراد الدنيا بزینتها.

قال الشاعر متوجهاً الى الله سبحانه وتعالى:

يا من تحل بذكره عقد النوائب والشدائد

يا من إليه المشتكى واليه أمر الخلق عائد

يا حى.. يا قيوم يا صمد.. تنزه عن مضاد

أنت الرقيب على العباد.. وأنت فى الملكوت واحد

أنت المعز لمن أطا عك والمذل لكل جاحد

إنى دعوتك.. والهموم.. جيوشها نحوى تطارد

فأخرج بحولك كربتى يا من له حسنُ العوائد

وفى موروث أهل البيت عليه السلام الرواى عدده أحاديث شريفه فى فضل الدعاء وأدب الدعاء، والحث على الدعاء، وموانع استجابته واختار شذرات من تلك الجواهر اللاكى الغوالى:

١ - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«أفضل العباده الدعاء، فإذا أذن الله للعبد فى الدعاء فتح له باب الرحمه، وانه لم يهلك مع الدعاء أحد»^(١).

٢ - وعن الإمام الصادق عليه السلام (الدعاء أنفذ من السنان

ص: ٣٥٠

١- (١) تنبيه الخواطر: ٢٣٧/٢.

٣ - ومن وصيه الإمام على لولده الإمام الحسن عليه السلام أنه قال:

«أعلم إن الذى بيده خزائن ملكوت الدنيا والآخرة قد أذن لدعائك وتكفل لإجابتك، وأمرك أن تسأله فيعطيك، وهو رحيم كريم لم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه.. ثم جعل فى يدك مفاتيح خزائنه بما إذن فيه من مسأله فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب خزائنه»(٢).

٤ - عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال:

«عليك بالدعاء، فأن فيه شفاءً من كل داء»(٣).

٥ - وعن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال:

«عليكم بسلاح الأنبياء!! فقل: ما سلاح الأنبياء، قال: الدعاء»(٤).

٦ - وعن الإمام على (عليه السلام) أنه قال:

«ادفعوا أمواج البلاء بالدعاء، فما لمبتلى الذى استدر به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء»(٥).

٧ - عن الإمام محمد الباقر - عليه السلام - أنه قال: «ينبغى للمؤمن

ص: ٣٥١

١- (١) الكليني / الكافي: ٤٦٩/٢.

٢- (٢) المجلسي / البحار: ٢٠٤/٧٧.

٣- (٣) مكارم الأخلاق: ١٢/٢.

٤- (٤) الكليني: ٤٦٨/٢.

٥- (٥) المجلسي / البحار: ٣٠١/٩٣.

أن يكون دعاؤه في الرخاء نحواً من دعائه في الشدة»(١).

٨ - وعن الإمام محمد الباقر - عليه السلام - أنه قال:

«لا تحقروا صغيراً من حوائجكم: فإن أحب المؤمنين إلى الله تعالى أسألهم»(٢).

٩ - وعن الإمام علي - عليه السلام - لما سئل عن قوله تعالى «ادعوني استجب لكم»(٣) فما بالناس ندعو ولا نجاب؟ فقال - عليه السلام -: «لأن القلوب خانت بثمانى خصال: أولها إنكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه كما أوجب عليكم، فما أغنت عنكم معرفتكم شيئاً.. فأى دعاء يستجاب لكم مع هذا، وقد سددم أبوابه وطرقه؟!»(٤).

١٠ - وعن الإمام الصادق - عليه السلام - فى استجابته الدعاء وموانعه أنه قال: «إذا أراد أحدكم أن يستجاب له فليطيب كسبه، وليخرج من مظالم الناس، وإن الله لا يرفع إليه دعاء عبد وفى بطنه حرام وعنده مظلّمه لأحد من خلقه»(٥).

١١ - وعن الإمام الباقر - عليه السلام - فى موانع استجابته الدعاء أنه قال: «إن العبد يسأل الله الحاجه، فىكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب أو

ص: ٣٥٢

١- (١) الكلينى / الكافى: ٤٨٨/٢.

٢- (٢) مكارم الأخلاق: ٩٧/٢.

٣- (٣) سورة غفر / ٦٠.

٤- (٤) اعلام الدين / ٢٦٩، وفيه تمام الحديث.

٥- (٥) المجلسى / بحار الأنوار: ٣٢١/٩٣.

والى وقت بطئ، فيذنب العبد ذنباً، فيقول الله تبارك وتعالى للملك: لا- تقضى حاجته وأحرمه إياها فإنه تعرض لسخطى واستوجب الحرمان منى»(١).

١٢ - وعن الإمام الصادق - عليه السلام - أنه قال: «إن الله عز وجل يقول: «وعزتى وجلالى لأجيب دعوه مظلوم دعانى فى مظلمه ظلمها، ولأحد عنده مثل تلك المظلمه»(٢).

١٣ - وعن الإمام على - عليه السلام - فى عدم استجابته للظالم أنه قال: «إن الله عز وجل أوحى إلى عيسى بن مريم - عليه السلام -: قل للملأ من بنى إسرائيل.. إنى غير مستجيب لأحد منكم دعوه ولأحد من خلقى قبله مظلمه»(٣).

١٤ - عن الإمام الصادق - عليه السلام - أنه: جاء رجل لأمير المؤمنين - عليه السلام - فقال: إنى دعوتُ الله فلم أر الإجابة، فقال عليه السلام: «لقد وصفت الله بغير صفاته وان للدعاء أربع خصال: إخلاص السريره، وإحضار النيه، ومعرفة الوسيله، وإنصاف فى المسأله فهل دعوتُ الله وأنت عارف بهذه الأربعه؟، قال: لا، قال عليه السلام: «فأعرفهن».

١٥ - روى عن سيده نساء العالمين - عليها السلام - أنها قالت:

«من أصدع إلى الله خالص عبادته اهبط الله عز وجل له أفضل

ص: ٣٥٣

١- (١) المصدر نفسه: ٣١٢/٧٥.

٢- (٢) الصدوق / الخصال: ٣٣٧.

٣- (٣) تنبيه الخواطر: ٣٠٢/١.

١٦ - عن الإمام الصادق - عليه السلام - في عدم استجابته الدعاء لأسباب ذكرها: «أربع لا يستجاب لهم دعاء: رجل جالس في بيته يقول: يا رب ارزقني، فيقول له: ألم أمرك بالطلب؟ ورجل كانت له امرأة فدعا عليها فيقول: ألم أجعل أمرها بيدك؟، ورجل كان له مالٌ فأفسده، فيقول: يا رب ارزقني، فيقول له: ألم أمرك بالاعتقاد؟ ورجل كان له ماله فأدانه بغير بينه، فيقول له: ألم أمرك بالشهادة»(٢).

ص: ٣٥٤

١- (١) المصدر نفسه: ١٠٨/٢.

٢- (٢) حميد الحسيني / منتخب ميزان الحكمه / ٢٣٨، وانظر مصدره.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الإربلى / على بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٢ هـ -): كشف الغمّة في معرفة الأئمّه، المطبعه العلميه، طهران، ١٣٨١ هـ -.
٣. البخارى / محمد بن إسماعيل البخارى (ت ٢٥٦ هـ -): صحيح البخارى، مطبعه محمد على صبيح، القاهره (د. ت.).
٤. البيهقى (نفسه): السنن الكبرى، طبع الهند، ١٣٤٤ هـ -.
٥. الترمذى / محمد بن عيسى بن سوره (ت ٢٧٩ هـ -): الجامع الصحيح، نشر المكتبه الإسلاميه، القاهره (د. ت.).
٦. ابن أبى جمهور: غوالى اللآلى، إيران، ١٤٠٤ هـ -.
٧. الحاكم النيسابورى / أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ -): المستدرک على الصحيحين، طبعه الهند، ١٣٤٢ هـ -، ودار الكتب العلميه، بيروت، ١٤١١ هـ -.
٨. ابن أبى الحديد / عبد الحميد بن هبه الله المدائنى (ت ٦٥٦ هـ -): شرح نهج البلاغه للإمام على، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيه، القاهره، سنه ١٩٥٩ م، ودار إحياء الكتب العربيه، القاهره ١٩٥٩ م.

٩. الحر العاملی / محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ -): وسائل الشیعه إلى تحصیل مسائل الشریعه، المکتبه الإسلامیه، ایران.
١٠. السیوطی/جلال الدین عبد الرحمن بن أبی بکر (ت ٩١١ هـ -): الدر المنثور فی التفسیر بالمأثور، طبع مصر، ١٣٧٧ هـ -.
١١. ابن شعبه / الحسن بن علی الحرّانی الحلبي (من أعلام القرن الرابع عشر): تحف العقول عن آل الرسول، تحقیق: محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعه الحیدریه، النجف الأشرف، ١٣٧٥ هـ -.
١٢. ابن شهر آشوب/ محمد بن علی المازندرانی (ت ٥٨٨ هـ -): مناقب آل أبی طالب، المطبعه العلمیه، طهران.
١٣. ابن الصباغ / علی بن محمد المغربی المالکی (٨٨٥ هـ -): الفصول المهمه فی معرفه الأئمه، المطبعه الحیدریه، النجف الأشرف، ١٣٨١ هـ -.
١٤. الصدوق / محمد بن علی بن الحسن القمی (٣٨١ هـ -): الأمالی، المطبعه الحیدریه، النجف الأشرف، ١٣٨٩ هـ -.
١٥. الصدوق (نفسه): الخصال، منشورات جماعه المدرسین، ایران، ١٤٠٣ هـ -.
١٦. الصدوق (نفسه): علل الشرائع، المطبعه الحیدریه، النجف الأشرف، ١٣٨٥ هـ -.
١٧. الطبرانی سلیمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ -): المعجم الکبیر، تحقیق: حمدی عبد المجید السلفی، دار إحياء التراث العربی، بیروت، ط ٢، ١٤٢٢ هـ - / ٢٠٠٢ م.
١٨. الطبرسی / أبو علی، الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ -): مجمع البیان فی تفسیر القرآن، مطبعه العرفان، صیدا، ١٣٣٣ هـ -.
١٩. الطبرسی، أحمد بن علی بن أبی طالب (٥٨٨ هـ -): الاحتجاج، دار النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ -.
٢٠. الطوسی / أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ -): الاستبصار، النجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ -.

٢١. الطوسي (نفسه): الأمل، طبعه النجف الأشرف، العراق.

٢٢. الكليني / محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ -): أصول الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨ هـ -.

٢٣. المتقى الهندي / علي المتقى بن حسام الدين الهندي (ت ٦٧٥ هـ -): كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، طبع الهند، ١٣٨١ هـ -.

٢٤. المجلسي / محمد باقر بن محمد تقى (ت ١١١١ هـ -): بحار الأنوار، مؤسسه الوفاء، بيروت، ١٤٠٣ هـ -.

٢٥. محسن بن عبد الكريم الأمين العاملي (ت ١٣٥١ هـ -): أعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت، ١٤٠٣ م.

٢٦. محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، مؤسسه الأعلمي، بيروت، ١٣٩٣ هـ -.

٢٧. محمد حسين علي الصغير (نفسه): الإمام علي سيرته وقيادته في ضوء المنهج التحليلي، دار العارف، بيروت، ٢٠٠٢ م

٢٨. المفيد / محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (ت ٤١٣ هـ -): الإرشاد في معرفه حجج الله على العباد، مطبعه سرور، قم، ط ١، ١٤٢٦ هـ - / ٢٠٠٥ م.

٢٩. النوري المحدث: الميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠ هـ -): المستدرک على وسائل الشيعة، منشورات المكتبة الإسلامية، طهران، ١٣٧٢ هـ -.

المحتويات

المقدمه ٥

الفصل الأول: المثلُ الرُّوحِيَّه

القرآن العظيم في آثار أهل البيت ١٣

الاحتجاج وعلم الكلام في ضوء التوحيد ٥٦

الإخبات والإنباه لله تعالى ٨٨

حياه الدنيا والآخره وعالم الغيب ١٠٧

الفصل الثاني: المثل الأخلاقيه

السلوك الإنساني في منظور أخلاقي ١٣٣

نظرات في العفو والغضب والمغفره ١٦١

«بُرِّ الوالدين... وصله الأرحام» ١٧٣

«من مساوي الصفات: الغيبه والحسد والعجب» ١٨٧

١ - الغيبه ١٨٨

ص: ٣٥٩

٢ - الحسد ١٩٥

٣ - العُجب ١٩٨

الفصل الثالث: المثلُ المتقابلة

«الرساله واستعلاء الطواغيت» ٢٠٥

«ظواهر الابتلاء وعوائد العافيه» ٢٢٩

مكاره الدهر وانتظار الفرج ٢٤٩

ارتكاب الذنوب.. والغفله عن ذكر الله ٢٦٩

١ - الهموم والأحزان ٢٧٨

٢ - الأمراض ٢٨٠

٣ - الأعراض فى الحياه الدنيا ٢٨١

٤ - الحسنات والأخلاق الكريمة ٢٨٢

٥ - السجود واستغفار الملائكه ٢٨٣

٦ - الحج والعمره والصلاه على النبي وآله ٢٨٤

الفصل الرابع: المثل الاجتماعي

أفضل الأعمال فى الموروث الإسلامى ٢٩١

فضائل العلم ومنازل العلماء ٣١٤

قضاء الحوائج فى الميزان ٣٢٩

آدابُ الدعاء وتهذيبُ النفس ٣٣٩

المصادر والمراجع ٣٥٥

ص: ٣٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩